محمد كامل الخطيب

جيوبوليتيكيات

يوميات المكان والزمان والإنسان

٠٠٢١

جيوبوليتيكيات

يوميات المكان والزمان والإنسان

١

الكتاب: جيوبوليتيكيات- يوميات المكان والزمان والإنسان
المؤلف: محمد كامل الخطيب
الناشر: ٢٠٢١ — بيروت ، لبنان
الطبعة الأولى. ٢٠٢٣ ، (إصدار خاص)

محمد كامل الخطيب

جيوبوليتيكيات

يوميات المكان والزمان والإنسان

منشورات ٢٠٢١

تقديم

كتابة- اليوميات-، أي تســـجيل الوقائع اليومية، وتأريخها لحفظها، أو تدوين ردود الفعل والانفعالات تجاهها، طريقة قديمة وجميلة في التدوين، وهي موجودة بكثرة في مختلف الثقافات، وفي مصـادر التاريخ العام للثقافات والإنسـان عموما، أو التاريخ العام للـ- أزمنة والأمكنة-، وحياة البشر فيهما، وكذلك للحيوات الشخصية للأفراد، وربما كان من أشــهر ما كتب في هذا المجال يوميات الفيلســوف الرواقي- الإمبراطور الرومـاني- مـاركوس أوريليوس-، أمـا في الثقـافـة العربيـة فنجـد يوميـات- البـديري الحلاق- الشهيرة، وغيرها كثير مما لا مجال لذكره هنا .

ألا أن أهمية كتابة- اليوميات العامة- ، أو اليوميات التاريخية الشـــخصـــية، تضاءلت بعد انتشار الصحافة المكتوبة، وبعدها الإذاعة والتلفزيون، ومن ثم الانترنت في العصــــور الحديثة، فهذه- المدونات- الحديثة، ومنها المدونات المرئية، باتت تسجل- يوميات البشر- لحظة بلحظة.

لكن البشـر، كأفراد، تابعوا تدوين يومياتهم الشـخصـية، لأسـباب داخلية ونفسـية وعاطفية وفكرية يرتئيها كل مدون، لكن هذه اليوميات الشـخصـية، تظل مركزة على الأحـداث اليوميـة التي تهم مـدونهـا، من حوادث وانفعـالات وأفكـار وعواطف، أو تأملات شخصية مما قد لا يستطاع الكلام- العلني- فيه، أضافة ألى ردود الفعل على مجريات وأحداث الواقع الخارجي المحيط وأحداث العالم العامة، بمختلف أنواعها.

ما أحاوله في هذه الكتاب الجديد

- جيوبوليتيكيات، يوميات المكان والزمان والإنسان-

هو تدوين يوميات شخصية، وعن أحداث عامة كذلك، بطريقة

- رد الفعل، والانفعال-

على وبأحداث عامة، أو شخصية رأيتها، أو عشتها، مع غيري، في هذا العالم الممتد، في هذه السنوات الصاخبة الأخيرة من هذا الزمن نعيش- يومياته- في القرن الحادي والعشرين، مرئية، هذه الأحداث، لحظة بلحظة، وصورة بصورة.

وبعد

يبدو لي أن- المكان والزمان والإنسان- هو مثلث وجودنا، فنحن نعيش في مكان وزمان محددين، وبشخصيات انسانية، جمعية وفردية، تتفاعل مع غلافها الخارجي، أو ما يسميه النحاة العرب-

ظرفا *المكان* و *الزمان*.

أي أن ظرفي الزمان والمكان، هذين، ومع دواخلهم، او ذواتهم الداخلية، وأوضاعهم الزمانية والمكانية المحددة، ومن تفاعلات هذا المثلث متساوي الأضلاع يصاغ وجودنا، وتنسج مصائرنا على هذه الارض، فنحن كمؤرخين وكتاب مذكرات، أو أفراد عاديين من يعبر عن تفاعله مع هذين الظرفين، وفيهما بكتابة- يوميات-، هي في حقيقتها تدوين للتاريخ، سواء أكان تاريخ العالم، أم كان تاريخا شخصيا، وسواء أم تاريخ العالم القديم، أم تاريخ أشخاص منعزلين مع- دفتر اليوميات الشخصي- ، أو العائلي، وسواء أكان التاريخ تاريخ أحداث وشخصيات تاريخية هامة، أو هو تاريخ- موضوعات كبيرة- ، أم كان تدوين- نثريات الحياة اليومية العدية- فالبشر لا يأتون عظيم الأعمال وجليلها كل يوم، لكنهم يأكلون ويشربون

ويلعبون ، أي-يعيشـــون- يجدون ويهزلون، وخلال ذلك تنســـج حياتهم اليومية، ويصنعون-تاريخهم- العام والخاص .

بهذه الرؤية، أو هذه الروح، أو هذه الطريقة، دونت يوميات شـخصـية في، وعن العالم، في هذين- الظرفين- الغلافين، أي- الزمان والمكان- اللذين أوقفني، أو قذفني قدري ، مثل غيري، في خضـمهما، أو في لجج وهائج بحرهما، فكان علي، مثل غيري وغيري من البشر، أن أتعلم السباحة في هذا الخضم المائج أحيانا والهادئ حينا، حتى أعيش، أو أنجو، أو ينجو المرء- المرأة عموما بنفسه على الأقل، أي حتى نعود، كلنا، أفردا وجماعات، ثقافات وحضـارات، غابات وصـحارى ومحيطات، عصـافير وأزهار وأحجار، إلى المكان الذي جئنا منه الى .....

- العدم-.

ختاما، أتوجه بالشكر للصديقين المهندس- نبيه نبهان، والأستاذ أحمد م. أحمد- ، فلولا مساعدتهما وجهودهما ما كان لهذا الكتاب أن يتم، على الأقل بالشكل الذي هو عليه.

القرية الإسبانية
محمد كامل الخطيب ـ ٢٠٢٣.

جيوبوليتيكيّات

٢٢فبراير ٢٠١٥

في الستينيات من القرن العشرين قليلا ما كنا نرى سياحا اوربيين في طرطوس. مرة، وكنت في الصف التاسع، رايت شابة سائحة، فتحرشت بها لغويا- انكليزيا، وقصدي من ذلك شريف- آنذاك- وهو ان اثبت لنفسي اولا، ولها، وللاوربيين، بطبيعة الحال، انني، واننا، نحن العرب، نعرف اللغة الانكليزية. كانت السائحة المانية تتكلم الانكليزية. المهم استعملت ما اعرفه من مفردات للكلام ودعوتها الى فنجان قهوة في مقهى بحري "رومانتيكي ."ونحن نشرب القهوة لاحظت السائحة الشابة، الحسناء، الالمانية على باب المقهى وقوف سيارة مرسيدس المانية و"طنبر "عربي، في الشارع امام المقهى، فالتفت الالمانية الي وقالت، مشيرة لي بسبابتها اليمنى، الى المرسيدس والطنبر، قائلة، وكانها تجاملني، او كانها ترى وتمتدح لوحة فنية جميلة اعجبتها: انظر. . هذه بلادنا، وهذه بلادكم. من وقتها، وطعم هذه الملاحظة البريئة- الصحيحة، بصريا وتاريخيا، في نفسي غريب ويشبه طعم القبلة الاولى لي في حديقة عامة دمشقية، وانا طالب جامعي- سنة اولى اتدرب على الحب وعلى قراءة الشعر الجاهلي في قسم اللغة العربية، مثلما يشبه-كذلك-طعم "الكف "الاول على وجهي من مدرس التاريخ في طرطوس، وهو ما سأدونه لاحقاً.

٢٧ فبراير ٢٠١٥

المنطقة الشـرق أوسـطية حتى لا نسـميها اسـما آخر يثير حسـاسـية أحد- امتلكت، او تميزت، على مدى التاريخ، بثلاثة من الأشياء هي:

١-الموقع الاســـتراتيجي- الحيوي، وقد انتهت، أو ضــــعفت هذه الأهمية بعد تحول طرق الحرير والتجارة العالمية الهامة من البحر الأبيض المتوسـط إلى المحيطين الأطلسـي والباسـفيكي بعد اكتشـاف- الحلم الامريكي.

٢ -كونها مهد الحضـــارات والأديان والثقافات القديمة، وها نحن، بعون الله، ندمر ما تبقى من تراث و شـــواهد. أما الأديان، والإســلام آخرها، مثلما هو دين المنطقة، فها انتم ترون حاله، إرهاب في إرهاب في نفط في تخلف. ، بعد عز سابق، وأما المسيحية فقد خرجت-عالميا- من حلبة الصراع- وحسنا فعلت-منذ قرون.

٣-النفط: كل الأخبار العلمية تفيد بأنه- ولله الحمد والشـــكر- إلى نضوب قريب.

وهكذا سـنعود قريبا- بعون أفعالنا، وعون أنفسـنا- كما ولدتنا أمنا- الطبيعة- إلى الغابة أو الصـــحراء- لا موقع حيويا ولا تراث ولا أديان أو ثقافة نفاخر بها. وحتى بلا نفط ننفق أمواله على الغانيات في أوروبا وطبع الكتـب السـقيمـة وتمويـل الحروب بين الطوائف والقوميـات والأديان وشراء الأسلحة الأمريكية- الروسية، وتمويل البنوك العالمية. وبرأيي المتواضع أن هذه الحالة أفضل، وهي ما يليق بما فعلنا، ففيها- هذه الحالة- من الأصـــالة ما فيها، فهي عودة إلى- البراءة الأولى- المفقودة، على مذهب جان جاك روسو، أو هي عودة إلى أصالتنا، أو- بنيتنا-، حسب المدرسة البنيوية.

ملاحظة: حتى الآن لا اعرف متى سـيفجرون الأهرام، فننتهي من كل هذا الهراء.

١١ مارس، ٢٠١٥٠

عرض خاص، أفضل؟:

يبدو أن ملالي إيران يحاولون- اليوم- تقديم عرض أفضل لأمريكا من عروض السعودية وتركيا التي صارت- اليوم-، على ما يبدو مثل معلبات أو دواء فاقد الصلاحية.

فإيران- هذه الأيام- تقدم عرضا للوكالة الإقليمية- امبريالية محلية صغيرة-، وكيل للسيد الأكبر المعروف، بدل تركيا والسعودية اللتين أديتا دوراً انتهى مع انتهاء الحرب الباردة على الشيوعية في النصف الثاني من القرن العشرين.- كومبرادور محلي جديد وأكثر قوة من الوكيل السعودي الهش الذي لا يملك إلا براميل النفط، وتركيا المضطربة والحائرة بين الشرق والغرب منذ تولى السلطة السيد اردوغان، وتابعه السيد داوود أوغلو، السلطة.

ما من وكيل حصري دائم لصاحب الشركة:

إسرائيل باتت- بضاعة قديمة ومكلفة، السعودية لا تملك إلا براميل النفط، تركيا، ومنذ تولى السيد اردوغان السلطة، وهي حائرة بين الشرق والغرب، العلمانبة والدين، وفي الوقت نفسه، ثمة ظروف جديدة، قوى فتية ومسلحة جديدة، ثمة إيران التي تحلم باستعادة امبرطورية، أو حلم قديم، مثل حلم اليهود بالعودة الى فلسطين، ثمة قومية محلية ناهضة مستيقظة: كردستان، لم لا؟ ثمة لاعبون إقليميون جدد بدل اللاعبين القدامى الذين خدموا زمن الحرب الباردة في النصف الثاني من القرن العشرين ضد الشيوعية ؛ السعودية- تركيا- اسرائيل، وكلها تبدو اليوم مثل طعام أو دواء منتهي الصلاحية.

فراغ جيوبولوتيكي وسياسي في المنطقة العربية، أنظمة وأفكار بالية وشعوب مقهورة في المنطقة، وما من وكيل منها على قدر المهمة، لكن ما من زبون دائم في النظام الراسمالي وخاصة إذا أفلس هذا الزبون، وعند السيد، المهم أن تكون (قبضاي)على قدر المهمة.

القبضاي الأقوى هو الوكيل الأفضل، قاعدة معروفة

- ملاحظة: ســـأقدم فيما بعد عرضـــا تاريخيا- جيوبوليتيكيا مختصـــرا وموجزا جدا لعلاقة ايران بالمنطقة العربية، و منذ القرن السادس قبل الميلاد، وحتى- ساعة إعداد هذه النشرة.

١٣ مارسً ٠ ٢٠١٥

بيان الى الاصـدقاء المهتمين: انشـر على صـفحتي نصـوصـا عن العلمانية "وفصـل الدين عن الدولة، ليس باعتبارها نصـوصـا مقدسـة، فما من مقدس في الامور الفكرية، بل للاســتئناس بها، باعتبارها، فيما اظن، نصوصا مهمة، مجهولة غالبا. املا ان يكون في مساهمتي هذه بعض الفائدة. وربما للإشـــارة الى حركة اصـــلاح ديني- ســـياســـي اسلامي، كان مصيرها، فيما يبدو، وحتى اليوم، الاخفاق الذريع.

١٤ مارس، ٠ ٢٠١٥

تمهيد: عام-٢٠١١-كتبت دراســـة بعنوان-ســـوء الفهم المتبادل ين االعرب والاتراك-، وقد نشرت في كتاب-مائة عام من العذاب-بيروت-٢٠١١-، وكان في نيتي ان الحقها بدراســـة تكميلية موازية عن: العرب وايران، لكن الاحداث سبقتني، وسبقتنا جميعا، اضف الى ذلك ان احاطتي بالموضـــوع- وقتها- لم تكن مقنعة بالنســـبة لي لمعالجة الموضـــوع بالطريقة التي اريدها، وهكذا قضـــيت اوقاتا طويلة في الاعداد لهذه الدراسـة-تاريخيا وجيوبولوتيكيا- والتي سـاعرض بعض استنتاجاتها خلال الاسبوع الجاري. لا ادعي الوصول الى-حقائق-بل هو-تثقيف- للنفس، و-شـــبه-اراء وقناعات احب ان اشـــاركها، او ان عرضها على الاصدقاء.

١٥ مارس، ٠ ٢٠١٥ ٠

عن الجيوش الداخلية" :ان وجود جيش مســـلح في الداخل لأخطر من وجود ثلاثة جيوش مدججة معادية على الحدود "احد المواطنين

المشـــاركين في الثورة الفرنســـية- ١٧٨٩- من كتاب ؛تاريخ الثورة الفرنسية- تأليف: البير سوبول

١٥ مارس. ٢٠١٥٠ ٠

صعود المحيطات- ٢-:

في عام-١٥٧١- وقعت معركة ليبانتو البحرية في البحر الأبيض المتوسـط بين أسـطول الدولة العثمانية والأسـاطيل الأوربية المتحالفة، فهزم الأســطول العثماني، وأوقف تقدم العثمانيين في أوروبا، فكانت تلك اخر المعارك الإسـتراتيجية في- بحرنا- البحر الأبيض المتوسـط، بحر العالم القديم.

منذ هذا التاريخ- المعركة، ســتدفع إلى الخلف الإمبراطوريات البرية- الداخلية، ومعها منطقة الشـــرق الأوســط، ومن ثم ســتتوجه الفعالية الحربية- الأوربية- الاســتعمارية إلى الغرب، إلى أمريكا لاســتعمارها، وتجديد- شــباب (العالم القديم) بــــ: حلم جديد: الحلم الأمريكي. ذلك أن أمريكا كانت قد اكتشفت عام-١٤٩٢، بالتزامن، في العام نفســه، مع ســقوط غرناطة وتصــفية آخر الممالك العربية في أوروبا.

لم يطل الوقت حتى حدثت أهم معركة بحرية في هذه الظروف الإســتراتيجية- الجيوبوليتيكية الجديدة، ففي عام-١٥٨٨- وفي المحيط الأطلسي، أي على الطريق البحري الذاهب إلى أمريكا، هزم الانكليز- الارمادا- الاسـبانية، أعظم قوة بحرية أنشـأت حتى ذلك الوقت، وبذلك خلا البحر للأسطول البريطاني البحري الذي بقي متحكما في الأوضاع العســكرية والاســتعمارية والاســتراتيجة العالمية حتى القرن التاســع عشـــر، بينما كانت الدولة- القوة البحرية المحيطية الأمريكية التي سـترث العالم في الفرن العشـرين تتكون وتصـعد، لكن باسـتراتيجيات ومسالك بحرية أخرى، وباتجاه مناطق أخرى، وهذا ما سنتابعه لاحقا.

. . . .

١٧ مارس ٢٠١٥ ٠

صعود المحيطات- ٣-: رسمت، او نسجت خارطة الشرق الاوسط في اعقاب الحرب الاوربية- العالمية الاولى بريشـة، او مغزل فرنسا وبريطانيا اللتين اقتسمتا المنطقة مثل كواسر تقتسم غنيمة، ف- زعل- الرئيس الامريكي ودرو ولسون وغادر مسرح- الاقتسام- هذا معاودا، ومعلنا العودة الى-العزلة الامريكية، في الحديقة الخلفية-: امريكا الجنوبية. بالطبع كانت فرنسا وبريطانيا إمبراطوريتين من عالم المفاهيم والاوضاع الجيوبولوليتيكية القديمة، أي المفاهيم التي ما تزال تنظر الى البحر الابيض المتوسط ك: سرة العالم القديم ومركز مبادلاته وعقدة اتصالاته، وخصوصا الطريق الى اسيا، ثم هناك الكنز الذي ظهر حديثا في المنطقة: النفط، وقبله شريان المواصلات الهام: قناة السويس، ولهذه كان يجب رسم خريطة، وانشاء- دول- تخدم هذه المصالح، اما الشعوب والارض والتاريخ وباقي- الحقائق الاخرى-فلم يكن لها مكان في هذا التصور للمنطقة، والذي خلق من المشكلات أكثر مما حل كما أظهر تطور الأحداث اللاحقة، وهكذا انشا لبنان- ولا تزعلوا- ليكون الحارس لمصالح فرنسا، ودعك من الاكاذيب الدينية و والمذهبية في مجال السياسة الدولية، وانشأ الاردن، وهو دولة لا تملك أياً من مقومات الدولة الا مصلحة بريطانيا، وذلك لتأمين خطوط نقل البترول من العراق والجزيرة العربية الى شواطئ المتوسط، واخيرا ا نشأت اسرائيل لحراسة هذا كله، ومما تبقى أنشأت سورية والعراق. كانت الامبراطورية المحيطية الامريكية البازغة والتي ساعدت في كسب الحرب الاولى غير معنية وربما متضايقة من- ضيق الافق الاستراتيجي- الانكلو- فرنسي هذا، وعلى كل حال، فالذي يهمها هو المحيطان الاطلسي والباسفيكي، وهما طريقها الى العالم القديم، وربما لهذا غادر الرئيس ولسون- العالم القديم- اوروبا ومشكلاته حزينا و- قرفان- من ذئبية كلمنصو ولويد جورج، تاركا لهما اقتسام هذه العنزة الصغيرة- الشرق الاوسط-ومنتظرا الحرب العالمية الثانية ليفهم العالم القديم ان اللعبة الحقيقية هي مدار الكرة الارضية، وان العالم الجديدهو عالم المحيطات، ، ليس بحر الحضارات الصغير القديم-بحرنا- الابيض المتوسط. نتابع لاحقا

٢٠١٥/٣/١٨

العربة ذات الجوادين-٢-

(كل سياسة داخلية هي سياسة خارجية، بالضرورة)، مبدأ أساسي معروف من مبادئ فهم الدول وسياساتها الداخلية والخارجية، وإيران، كدولة وقوة إقليمية، لن تكون خارج هذا المبدأ- القانون.

سبق وأشرنا إلى وجود طبقة وسطى، وفئة مثقفين- غير فئة رجال الدين- غير معادية للغرب في ايران، بل وتمثل- القومية الايرانية- التي نفخ فيها الشـــاه ومرحلته بقوة، كما هو معروف، وكانت قوية في إيران ما قبل الخميني. إضــافة إلى مجموع الشــعب الإيراني المتدين، شــأن عامة شــعوب المنطقة الشــرق أوســطية، وربما من هذا الوضــع برزت الحاجة لدى حكومة الملالي باعتماد، وخاصــة بعد تنامي القوى المعادية- سرا وجهرا- لسيطرة رجال الدين على الحكم، سياسة تحقق الســيطرة على هاتين القوتين الداخليتين: القومية- المتغربة، والشــعبية المتدينة، وضمن شروط مكان ومكانة إيران في المنطقة.

هكذا جاء-الجواد الفلســطيني- ورقة المقاومة- لإرضــــاء التيار الشعبي المتدين وقيادته من الملالي، مما ربطهم بالنظام، ثم جاء الجواد الثاني لإرضـاء القوى القومية الإيرانية- المتغربة، ومداعبة إحســاس- الدولة العظمى- لدى كل فكر قومي، وهو القنبلة النووية.

أما رفض الغرب لتســلح ايران النووي فيصـــب في خانة الملالي، وكأن الملالي يقولون للقوميين الإيرانيين: هذا هو- صــــديقكم- الغرب الذي تتبعونه يقف ضد عظمة إيران وقوّتها، فاتبعونا.

. مثل اي (ثورة)، أو دولة لديها مشــكلات داخلية، فإن هذه الدولة تميل إلى تصـــدير- ثورتها- مشــكلتها إلى الخارج، وهذا أمر تاريخي معروف ومتكرر، ويكون التصـدير أولا إلى دول الجوار، وخاصــة إذا كان هذا الجوار مأزوما، ويعاني فراغا جيوبولوليتيكيا ومشـــكلا ت وضــعفا ســياســيا مفوتا ومنخورا، وهذا هو حال المنطقة العربية الذي تزامن مع صـــعود الملالي، وهكذا أســـرج الملالي الإيرانيون، لحمل

بضاعتهم المصدرة إلى المنطقة الجاهزة لذلك (المنطقة العربية) عربة ذات جوادين:

- التسلح النووي، وعظمة إيران لإرضاء القوميين
- وفلسطين لإرضاء المتدينين، بل ولإرضاء المنطقة العربية، الهدف المقصود.

وهكذا تجلبب المحارب والهدف الإيراني بثوب الملا لي رافعا راية فلسطين وعظمة إيران القومية، وتوجهت هذه العربة ذات الجوادين، على بركة الله، إلى حيث كان الإيرانيون يتوجهون، في كل فترة، أو دورة تاريخية، منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وإلى اليوم، توجهت العربة نحو الغرب، أي نحو المنطقة العربية، وشواطئ المتوسط، فكان الوضع، أو المشهد الذي ترونه، أو تعيشونه الآن.

١٨ مارس ٢٠١٥

غرائب: ..

ومن غرائب القرن العشرين، والقرن الحادي والعشرين- واحنا لسه بأول يوم- من هذا القرن، انهما- هذان القرنان-اضافا الى مفهوم الثورة " وهو مفهوم ارتبط في اذهان الناس بالتقدم ورفض الظلم الوطني-والاجتماعي " ومفهوم الثورة المضادة، مفهوم جديد هو :

(الثورة الرجعية) مثل ثورة الملالي في ايران، ومفهوم ثان هو : (الثورة المجرمة)مثل ثورة داعش واخواتها.

ولله الامر من قبل ومن بعد.

١٨ مارس ٢٠١٥

انهيارات كبرى:

غداة انهيار الاتحاد السوفياتي وتعليقاً على هذا الحدث الجلل، قال لي الاستاذ سعد الله ونوس، و بالحرف الواحد :

[والله يا محمد عشنا وشفنا احداثا تاريخية كبرى]

ترى ماذا يقول اليوم مثقف وطني في رهافة وعمق ثقافة سعد، وهو يرى هذا الانهيار العربي الشامل؟

بمناسبة الحديث عن هذا الانهيار العربي الشامل، ألا تلاحظون معي أن الدولتين اللتين كان فيهما هذا الانهيار واضحا ومدويا،- وبغض النظر عن الاحداث والتطورات والتفاصيل- هما الدولتان- سورية والعراق- اللتان رفعتا علم العروبة، و-البعث العربي- عالياً؟

إنها مجرد ملاحظة وصفية.

١٩ مارس ٢٠١٥

قوانين، وليست أهدافاً:

للتاريخ، أحداثا ومسيرة، فيما يبدو لي، هو قوانين، وليست له أية غايات، أو أهداف، إنه- جاهلي-، مثل ناقة الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى- يخبط خبط عشواء. إنه ببساطة: أعمى. أعمى لا يرى أحداً، لاسيما أولئك الذين يصنعونه، أو يصنعهم، لست أدري.

أعمى لا يرى أهدافنا وأخلاقياتنا وآمالنا وآلامنا البشرية.

أعمى لا يرى كل ما- أنجزنا- من مآثر وآثام، من حضارات ودمارات، أعمى، أعمى، وكل حلمنا وثقافتنا أن- نروض هذا الوحش العصي على الترويض-. كل حلمنا، حلم الإنسانية، هو أن نجعله، مبصراً، مبصراً رائياً لنا، ومهتما بنا، حلمنا أن نجعله- إنسانياً-، وليس مجرد، قوانين طبيعية، نحن- البشر- مجرد أدوات، أو ممثلين على خشبتها، أو حتى مجرد: مفعولات لهذه القوانين.

٢٠ مارس ٢٠١٥

اذا كان نصف الحقيقة كذباً، فإن نصف المعرفة جهل، أو كالجهل.

لكن المعرفة الكاملة غير موجودة، وربما غير ممكنة، ولهذا نحن في شبه جهل دائم، وشبه معرفة، دائمين، أو، بعبارة ملطفة:

نحن في حقائق نسبية تتسع، وتتسع معها مجاهيل جديدة، كل يوم، كل يوم.

٢٠ مارس٢٠١٥

هكذا التاريخ :

[هذا هو مكر التاريخ على ما يبدو، وتلك هي طريقة التاريخ- ظاهرياً- في تحقيق مساره وحفره، أو، وبعبارة- هيجيلية- حتى لا نستخدم عبارة- ماركسية- تلك هي طريقة- تبَدي- التاريخ، وهذا هو- تمظهر- حركته في العالم، مثلما في منطقتنا ومجتمعنا العربيين، إنه التاريخ الذي يسير بالدم والدموع والآلام والعنف، عبر آلية تكوين المجتمعات والدول وانحلالها، يسير بالجرائم والنهب، مثلما يسير على إيقاع حفيف الشجر وتلاشي الأمواج على الرمل وحبو طفل على عشب يانع.

ذلك هو التاريخ الذي يعلو على احكامنا البشرية، مثلما يعلو على آلامنا وأفراحنا، على انتصاراتنا وهزائمنا.

ذلك هو التاريخ البارد عندما يسري على عواطف البشر وحيواتهم.
]

من كتاب: وردة ام قنبلة؟ اعادة تكوين سورية. -منشورات-٢٠٢١- دمشق-٢٠٠٦ -

٢٥ مارس ٢٠١٥

قبل صعود المحيطات: صعود العرب- ٢-

في عالم متحارب منذ ألف عام، دون غالب نهائي أو مغلوب، عالم مقسم بين مشرق ومغرب، عالم مستنزف القوى ومنهوك بحروب وغارات متبادلة بين إيران واليونان ثم روما والقسطنطينية، قبل أن يكون هناك إسلام ومذاهب إسلامية، وفي هذا الفضاء الفاصل- الواصل بين هاتين القوتين، في الأرض التي كانت تعبر ها جيوش داريوش وكسرى في طريقها نحو اليونان وإنطاكية والقسطنطينية

واليمن ومصــــر، مثلما تعبرها جيوش الاســكندر و روما وبيزنطة في طريقها نحو الشرق وايران والهند، ومن قبائل- حرس الحدود العرب- الذين كان مناذرتهم في العراق يحمون حدود الجبهة الايرانية، بينما غســـاســـنته في بلاد الشـــام يحمون الحدود الرومية- البيزنطينية، ومتحالفين- المناذرة والغســـاســـنة، أي جميع العرب آنذاك- مع قبائل العمق الصـــحراوي في نجد والحجاز التي قادت المعركة والتحالف وأعطتهما لاحمها وشــعارها العقائدي، ظهر، مثل مفاجأة إســتراتيجية كبرى، قوة عســـكريـة- إيديولوجيـة، وحدت قبـائـل- حرس الحدود العرب- هؤلاء وقبائل الداخل الصـــحراوي الأكثر بداوةً وفقراً وجفافاً، ليهـاجموا- متحـدين- قوتي المشـــرق والمغرب الإمبراطوريتين، المنهمكتين والمنهوكتين في حروبهما الألفية، رافعين، كلاحم عقائدي، شـعاراً جديداً: (لا شـرقية ولا غربية- إلهكم واحد، وهو رب المشـرقين والمغربين) وهذا هو- الإسلام- وهؤلاء هم العرب- مادة الإسلام-، كما سماهم- الجاحظ-..

هذه هي القوة- المفاجأة الجديدة التي ظهرت على الســـاحة، وفي وسط ميدان المعركة الألفية بين الروم والفرس، فقلبت كل جيوبوليتيكة المنطقة والعالم القديم من حدود الصين، إلى اسبانيا، بضربة عسكرية- عقائدية، أشبه ما تكون بـــ، الحرب الخاطفة، على الطريقة الألمانية في القرن العشـــرين، فخلال اقل من مـائـة عـام انتشـــر هؤلاء العرب- عسكرياً- من حدود الصين إلى حدود فرنسا، عبر الشمال الأفريقي و مستوعبين بذلك البحيرة الرومية- بحرنا- وعالمنا، عالم البحر الأبيض المتوسـط، فكان أن ولدت امة وثقافة جديدتين في خضـم هذا الفضـاء- المعركة- الميدان الحربي الذي كانت تتقاتل عليه وفيه- دولتا المشـــرق والمغرب: الفرس والروم-، فكان أن ولدت (الأمة العربية)، وولد دين جديد، أو لاحم عقائدي لهذه القوة العســـكرية- العقائدية الجديدة، هو: الإسلام.

كانت النتيجة العســكرية المباشــرة لهذه الضــربة الاســتراتيجية أن خرجـت إيران- دولـة المشـــرق- ككيـان دولتي امبراطوري- من المعركة، بل ومن: الوجود، وإن لم تخرج كثقافة وحضـــارة وشـــعب

ديناميكي عريق وحي يتحرك ويعيش في مداه وحيزه الجغرافي- الجبوبوليتيكي كبير الأهمية، بل اندمجت في المفهوم الجديد لتوازن القوى العربي- الإسلامي الجديد، ريثما تستعيد أنفاسها وشخصيتها وأهمية موقعها الجغرافي ومكانتها، شيئاً فشيئاً، في عملية- إعادة بناء- للذات، والشخصية الايرانية، وهي عملية استمرت كذلك، وإن بغطاء الإسلام، ما يقارب الألف عام، وها نحن نرى اليوم نتائج عملية الاستعادة تلك، والتي تشبه، من بعض الوجوه، عملية استعادة الإسبان لكيانهم وشخصيتهم، ومن ثم إخراج العرب من الأندلس.

أما ما فعلته هذه الضربة العسكرية المفاجئة على الجبهة الإمبراطورية الرومية في القسطنطينية، فإن لهذا حديثا اخر.

ملاحظة أرجو الاهتمام بها وقراءة ما تقدم على ضوئها:

أتكلم هنا على مستوى الجيوبوليتيكا والتاريخ والسياسة المجرد، ولا علاقة لكلامي هنا بما يسمى: التحليلات والرؤى القومية والدينية والمذهبية لهذه الصراعات التاريخية- الحوبولوليتية، وهي تحليلات الوعي البائس والرائج في هذه الأيام، فآخر ما يفكر فيه- شخص مثلي- هو الانخراط في هذا الوعي البائس والمؤسف، تفسير التاريخ بـ: أدوات ومناهج وأفكار قومية و أو دينية، أو مذهبية، أما تفسير هذه الجيوبولوليتيكية- البشرية وهذا التاريخ، فله مكان آخر.

٢٠١٥/٣/٣١

المشكلة مع داعش- مثلاً- حتى لا نذكر غيرها، أنها جعلت- الإرهاب- الاسرائيلي ضد العرب شيئا- صغيراً-، والمشكلة مع- الأخت المسلمة- إيران الملالي، أنها جعلت- المطامع الاسرائيلية- أيضاً- في أرض العرب، فلسطين، تبدو مثل: قطعة- صغيرة أيضاً، فإيران لا ترضى، على ما يبدو، إلا بـ: شعارنا العربي الخالد " من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر "، وإذا تبجحت اسرائيل بأنها سيطرت ذات يوم على عاصمة عربية فـ- الأخت المسلمة- تتبجح اليوم بالسيطرة على أربع عواصم عربية وتحلم بالباقي، وسلاحها ليس

قواها العسكرية بالتحديد، بل الضعف العربي وميليشيات " الطابور الخامس ".

ملاحظة- ١ -:

أنا لا اتخابث وأقول أن- الأخت المسلمة- فعلت مثلما فعلت اسرائيل-، بل أقول وبصريح العبارة: إيران تفعل- اليوم- ما هو أدهى وأمر.

ملا حظة- ٢ -:

إسرائيل تريد الأرض لـ: ١٦ مليون شخص، أما الأخت المسلمة فتريد الأرض والتاريخ، والثقافة، بل والعقيدة كذلك، وأعتقد ان هذا طمع غير معقول وغير حكيم وغير استراتيجي- أيضاً-، لاسيما إذا اتى هذا من- أخت مسلمة-.

إنها- غطرسة قوة- على الأغلب لن تدوم، واقرأوا التاريخ، إن كنتم تظنون أنني أهرف بما لا أعرف: فهذا الهرف- موضة- دارجة هذه الايام.

ملاحظة- ٣ -:

إذا كانت إيران الملالي تريد ان تعود الى أيام الشاه لتكون- امبريالية محلية- صغرى ووكيلة للإمبريالية الأمريكية، فهذا شأنها وخيارها، لكن رجاء: لتترك فلسطين جانباً، فهذا ليس من شأنها، وحتى الشيخ رفسنجاني صرح منذ شهور قليلة بأن فلسطين- شأن عربي-.

٢٠١٥/٣/٣١

عندما قابل الأمير فيصل في باريس، عقب خروج الأتراك من سوريا رئيس الوزراء الفرنسي كلمنصو، مفاوضاً حول مستقبل سورية، جلس إلى يمين الأمير العربي الكولونيل الانكليزي المشهور لورانس مرتدياً اللباس العربي الذي تعرفون، فما كان من كلمنصو إلا ان بدأ الحديث مخاطبا لورانس: انت يا كولونيل، اذهب والبس لباس كولونيل انكليزي حتى أعرف كيف أتكلم معك، أما أن تلبس لباساً عربياً فهذه خدعة لا تنطلي علي.

منذ زمن، وكلما رأيت رجل دين يتكلم في السياسة مثل- قبضاي- أو يعلق على الأحداث الجارية، ويكذب بوقاحة، مثل- معلق- من الدرجة الثالثة في الفضائيات العربية، فإنني أتذكر- شفافية- الذئب الفرنسي كلمنصو، وأقول للواقف أمامي في التلفزيون: اذهب يا أستاذ، يا شيخ، يا آية الله، يا بطريرك، يا حاخام، والبس لباس الميليشيا، ووقتها قد- أفهم عليك- أكثر، أنا وغيري، فمن شروط النص الجيد، مهما كان سريالياً، أو خياليا، أن يتطابق الشكل والمضمون.

٢٠١٥/٤/١

توضيح فكري- سياسي:

أعتبر منطقة الشرق الأوسط-القريب- منطقة أربع أقوام- الإيرانيون والأتراك والأكراد والعرب- فهم شعوب وثقافات بينها روابط ثقافية وحضارية وتاريخية وعقائدية وجيبولوتيكية عميقة الجذور، وكثيرا ما تضامنوا، مثلما اختلفوا عبر التاريخ، لكنهم- معاً- بنوا ثقافة المنطقة وتاريخها وحضارتها ومشاركتها في الحضارة والتاريخ الإنسانيين، ولا أغمض عيني عن اختلافات موجودة- أيضا- بحكم طبيعة البشر والتاريخ والسياسات، ولا أفاخر بتميز أي منها، مثلما أكن الاحترام للجميع، بل وأحلم بيوم تستطيع فيه شعوب ودول هذه المنطقة تحقيق نوع من التعاون والتضامن لخير شعوبها وخير العالم، أو أن تتضامن على نمط- الاتحاد الأوربي- مثلاً، لا أن تتعادى- كما يحدث اليوم، عندما ترتقي إلى مستوى تتجاوز فيه نفسها وتنمي ما هو مشترك وإنساني بينها، وتتناسى- ما أمكن ذلك- عقد التاريخ والمذهبيات الضيقة، فنحن في عالم جديد حقا، عالم لا تفيدنا فيه مذهبيات ورؤى وعقليات وسياسات العالم القديم الضيقة والصغيرة بالمقياس العالمي الجديد، وما أحاول القيام به إنما هو تحليل أوضاع تاريخية وسياسية راهنة، آمل من كل قلبي أن تستطيع شعوب المنطقة ودولها أن تتجاوزها ذات يوم.

٢٠١٥/٤/٢

الحروب الخدمية، أو: الطريقة العثمانية في ادارة الإمبراطورية العالمية:

من يقرأ تاريخ وطريقة إدارة الإمبراطورية العثمانية اثناء سطوتها، يلاحظ، فيما يلاحظ، كثرة حروب واشـتباكات الولاة العثمانيين مع بعضـهم بعضـاً، وتحت رعاية وادارة السـلطان، أو الباب العالي، بل يلاحظ تعدي الولاة على- أملاك- بعضهم، بينما السلطان في العاصمة الامبراطورية- اسـتامبول-، يضـرب هذا بذاك، وذاك بهذا، حسـب مصـلحته، وحسـب تنامي قوة، أو- صـعود هذا الوالي او ذاك، لكن السـلطان يبقى دائما هو سـلطان كل الولاة الذي إليه يرجعون دائما، ومن يتمرد- بشكل جدي وخطر- يقتل.

المهم ان الولاة يؤدون الضـريبة أو المال السـنوي للسـلطان على حساب الناس الذين يموتون في حروب الولاة وقت الحرب، ويكدحون ويدفعون المال للوالي والسلطان وقت السلم.

ما يجري في الشـرق الاوسط من حروب، هذه الأيام، يذكرني بهذا الوضع المذري للإدارة العثمانية وولاتها، فالحقيقة أن هناك- اليوم- في هذه المنطقة، أربع قوى- ولاة- تتقاتل وتتنافس في خدمة، او على خدمة السلطان، أو الامبراطور في "اسـتمبول -" واشـنطن-دعك من التوصـيف، أو الوضـع التاريخي، أو الداخلي، أو العقائدي لكل قوة او وال، فثمة:

- أولاً بالطبع، إسـرائيل وهي قوة، قبضـاي، والٍ، باتت صـغيرة وقديمة ومسـتهلكة ومكلفة وغير مناسـبة للخريطة الجيولوبوليتيكية في الصـراعات العالمية، لا المتوسـطية القديمة، لكنها تبقى، في كل حال- الولد الوالي البكر المدلل للسلطان.

- وهناك السـعودية ثانياً، وهي والٍ قديم من ابناء المنطقة ومجرب في محاربة حركة التحرر العربية والشيوعية والاتحاد السوفياتي.

- ثالثا، هناك تركيا التي لها تاريخ، أو سـجل خدمات باهر و لا يمكن نكرانه من حلف بغداد في الخمسينيات، إلى حلف الاطلسي، إلى

الحرب الكورية، إلى معاداة الاتحاد السوفيتي والشيوعية، أيام كان هناك حاجة لذلك.

- وأخيراً، أو رابعاً، ثمة- العرض الخاص- الجديد، الا وهو- الفتى- القبضاي- الجديد الذي يطلب ولاية، أو مكاناً ومكانة جديدة بين هؤلاء الولاة- من الدقة القديمة- هؤلاء، أعني بالطبع: نظام الملالي في إيران، بعد أن قام باستعراض قوة وعرض عضلات متميز، ومستمر الآن، في المنطقة.

أربع قوى، أو ولاة يعرضون خدماتهم، وخلال ذلك يستعرضون قوتهم، بل ويجربونها ضد بعضهم بعضا، مستخدمين في ذلك، حسب تقاليد المنطقة القديمة، كل الأحقاد الدينية والمذهبية والقومية وأوهام الحق والمجد التاريخي السالف والمجد التاريخي المضيع، وفي استعراض القوة هذا، أو في- مناورة الذخيرة الحية- هذه، يدوسون شعوبهم ومدنهم ويستهلكون قواهم.

لم أنس القوة التي قد تكون خامسة وهي- كردستان- ولكن لها حديث خاص، نظراً لجدتها وخصوصيتها.

من سيفضل السلطان- الامبراطور لخدمته يا ترى؟

هذه كلها قوى من بقايا الخريطة الجيوبوليتيكية التي كان البحر الابيض المتوسط مركزها، أما اليوم فالمحيطات، وبالتالي الصين والهند واليابان وأوربا هي الأهم من- بحرنا- ومن هنا فإن هذه القوى الشرق أوسطية التي ما تزال تتقاتل حول سياسات الماضي، متوهمة انها ما تزال، هي وأرضها وبحرها وتاريخها، مركز العالم، صارت، في واقع الأمر قوى وولاة طرفين، فليتقاتلوا ما شاؤا على أوهامهم، وهم على اطرافهم وفيها، فالمعركة الكبرى، بالنسبة للسلطان، ما عادت في الشرق الاوسط وبحره وشواطئه، بل في المحيطات وشواطئها.

ربما لهذا يبدو- اليوم- إمبراطور البيت الابيض وكأنه في مثل وضع هارون الرشيد في القصة المشهورة، وهو يقول للغيمة: أمطري حيث شئت، فخراجك عائد إلي، أو في وضع السلطان العثماني، الذي

قدمناه، وكانه يقول للولاة، تقاتلوا ما شئتم على حدود ولاياتكم ودياناتكم وقومياتكم ومذهبياتكم وأمجادكم واوهامكم، هذه خصوصيتكم التاريخية وفولكلوركم، لكنكم كلكم أبنائي. . ويا أبنائي: الأب لا يميز بين أبنائه، ويا ولاتي وسأسوي تلك " الأمور الصغيرة " بينكم، وأرضيكم كلكم، غير ناس خدمات أحد منكم.

شكرا لكم على حسن حربكم وخدماتكم.

ليعد كل واحد إلى كرسيه- ولايته. لدينا شغل آخر أهم.

٢٠١٥/٤/١٢

موقف فكري- سياسي، وليس موقفاً عاطفياً :

شـــخصـــياً، لا أرى إلى ما حدث وما يحدث في المنطقة العربية، ومنطقة الشرق الأوسط عموماً، قديماً وحديثاً، من وجهة نظر عقائدية أو قومية أو مذهبية أو ايديولوجية، أو حتى من وجهتي نظر فلســـفة التاريخ، أو الجيوبوليتيكا الباردتين اللتين لا تباليان بحيوات ومصـــائر البشر، الشعوب- الأفراد الحياتية- اليومية.

إنني- بكل تواضـــع وصـــدق- أنظر، وأرى إلى الأحداث، قديمها وحديثها ومن وجهة نظر الشـــعوب- الأفراد، هؤلاء الذين لا يريدون- فقط- إلا أن يعيشـــوا حياتهم اليومية العابرة على هذه الارض بســـلام، يذهبون إلى أعمالهم، يربون أســـرهم، يذهبون إلى عطلهم الأســـبوعية مع عائلاتهم وأصـــدقائهم، يذهبون إلى الســـينما، إلى المعابد والآثار والمســـابح والغابات والمراقص، وهم آمنون وألا تحصـــدهم الســـيوف وطلقات الرصـــاص حيث هم، غير مبالين بكل- الجعجعات الكبرى- عن العقائد والأفكار والأديان والايديولوجيات والمذاهب، وربما لهذا- وهذا ســـري الخاص- ينزف قلبي دماً خلف- تحليلاتي- وكتاباتي التي قد تبدو- باردة- أو محايدة أو ساخرة، أحياناً.

إنني أتعمد هذه اللغة- الباردة- الساخرة، وهذه اللغة- المتعقلة- ربما لأخفي ألمي ودموعي أحياناً، ولأنني، وببســـاطة، أريد أن أرى إلى

الأحداث كما تجري في الواقع، لا كما أريد لها أن تســـير في قلبي ومشاعري وأحلامي.

أدعوا بالتوفيق لي ولكم، ولكافة- المؤمنين-.

٢٠١٥/٤/١٣

خمسة اخطاء اقترفناها :

لا أذكر بالضبط، لعله الداهية السياسـي تاليران- ١٧٥٤- -١٨٣٨ وزير خارجية نابليون هو القائل عندما ســمع باغتيال الامبراطور- نابليون- أحد معارضـيه " هذه ليسـت جريمة. . . هذا خطأ "والفرق واضـــح بين الجريمة والخطأ، فالخطأ هنا أكبر وأخطر من الجريمة، ذلك أن دوافع الجريمة غالباً ما تكون- غريزية- بدائية- فردية، وأما- الخطأ- فهو غالباً نتيجة- قصـــور- معرفي، أو عقلي، أو خطا في الحســاب، أو المحاكمة، ويؤدي الى كوارث تفوق في مداها وتاثيرها- الجريمة-.

تخيلوا مثلا خطأ ســائق قطار، أو طائرة، في المحاكمة العقلية، أو الحساب، إلى ماذا يؤدي.

وبهذا المعنى للخطأ، في- المحاكمة والحســاب-، وبالتالي في اتخاذ القرار- الخطأ- فإنني أرى، أو أقترح خمسة- أخطاء- استرتيجية كبيرة اقترفها- بعض- الحكام العرب وأدت- فيما بعد- إلى الانهيار- الاستراتيجي- السياسي- الجيوبوليتيكي الذي تعيشه المنطقة، أو الأمن العربي اليوم- دون تفصيل- :

١- قرار الرئيس انور السادات بإخراج مصر من ميدان الصراع العربي الاســرائيلي، مما أدى إلى إضــعاف كل من مصـــر والعرب معاً.

٢- قرار الرئيس العراقي صدام حسين بشن الحرب على ايران، مما أدى إلى فتح- جبهة شـرقية- ربما كان العرب في غنى عن فتحها، واكتســاب عدو- جديد- وإحياء- لغة- شـوفينية حقودة وقديمة، كالكلام عن- الفرس والقادسية- وأشباه ذلك.

٣- قرار الرئيس العراقي بدخول الكويت، مما قضـــى نهائيا على فكرة- التضامن العربي-، إن لم نقل فكرة- الوحدة-.

٤- قرار التوريث في الســلطة لدى- الجمهوريات العربية التقدمية- مما أفقد الشعوب العربية الثقة بـــ- ديمقراطية رؤسائها، أو احترامهم لرغبات الناس في اختيار حكامهم، أضف إلى ذلك الشك بـــ- تقدمية- الحكام الجمهوريين وثوريتهم المعلنة.

٥- إدخال ميلشيا- حزب الله- إلى سوريا، وبتغطية أعلام ايرانية، مما أعطى الصراع والمشكلات في المنطقة- لوناً- قومياً- مذهبياً كانت في غنى عنه، وهو غير صحيح.

ملاحظة ختامية:

لا أدري إن أخطأت أم أصبت، أو أنني ذكرت الأخطاء كلها، لكنني أقول، وكما يقولون: هذا- اجتهادي- وباب الاجتهاد مفتوح للآخرين، لكني أريد أن- أؤكد- أن كل الاخطاء التي ذكرت وما لم أذكر، لم يلعب- الاســتعمار والصــهيونية والرجعية والشــيوعية والصــليبية والماســونية وأمريكا، وكل- المشــاجب- التي اعتدنا تعليق- اخطائنا- عليها، أي دور فيها، بل- نحن- فعلناها- بيدنا و- رأســـنا- غير المدبر وغير العاقل.

إنها- أخطاؤنا- ارتكبناها بكل فخر واعتزاز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٠١٥/٤/١٧

قناعتي- المعلنة- منذ عام ٢٠٠١ -...:

[في حين أن الأحزاب الطائفية، أو القبائلية، أو الإثنية، كالكتائب وحزب الله، والإخوان المسلمين، ساهمت في تهديم الوحدة الاجتماعية والوطنية، وقوضت مفهوم السياسة الوطنية والمدنية، وبذرت الشقاق والتسلط والإرهاب، بل والحروب الأهلية مع بعضها، غالب الأحيان، وحصرت المواطنين، ومعهم المجتمع، في دوائر مغلقة قوامها، أكثرية وأقلية مغلقتان، أو متســلطتان، دوائر لن يســتطاع الخروج منها إلا

بكسرها، وتهديم بناها وأسس ترابطهما قبل السياسي، أو ما قبل المدني الحديث.]

:من مقالة بعنوان- مقالة في المجتمع المدني- مجلة الطريق اللبنانية- العدد الخامس- ايلول تشرين ١-- السنة الستون- ٢٠٠١- الصفحة- ١٥-.

ملاحظة في ١٧ /٢٠١٥/٤:

هذه كانت قناعتي منذ هذا التاريخ المبين أعلاه، ، وما زلت عليها أتكل حينما أفكر وأكتب في- الشأن العام- ولا أقول- في السياسة، فأنا لست سياسياً، ولكنني إنسان- مواطن- سوري، قبل أية صفة أخرى قد أطلقها على نفسي، أو قد يطلقها الآخرون علي.

١٧/٤/٢٠١٥

عن نابليون وماركس وابي حنيفة، قالوا:

في تقديري إن عبارة نابليون الشهيرة [ليس هناك رجل لا يمكن الاستغناء عنه [قد تكون أكثر دقة، وبالتالي صحة، إذا أضفنا اليها الاستدراك التالي :" لكن ليس أي رجل يستطيع الحلول محل أي رجل ".

قد يكون الأقرب إلى الصحة- هنا- قول ماركس الذي مؤداه: كل- طبعة ثانية- هي مسخرة- بما فيها- طبعات- الرجال، بالطبع.

شخصياً، أرى أن الأقرب الى الصواب، وربما الدقة، هو قول الإمام أبي حنيفة اذ يقول مشيراً الى صحابة الرسول السابقين وآرائهم واجتهاداتهم ومكانتهم :

"هم رجال ونحن رجال ."

٢٠١٥/٥/١٦

[التاريخ ليس حيوانا يمكن استئناسه]- انطونيو تابوكي- من رواية: بيريرا يدعي-

٢٠١٥/٥/١٦

لا أعرف لماذا أشعر أن الرئيس الأمريكي السيد الدكتور في العلوم السـياسـية، باراك اوباما، وبكامل وعيه ومعرفته، كأسـتاذ جامعي في العلوم السياسية إياها التي كان يدرسها في الجامعة، يحاول- عامداً- في فترتي رئاسـته غير سـعيدتي الطالع، أن يكون- طبعة ثانية رديئة- للرئيس الأمريكي- الخائب جداً، بالمناسـبة- أثناء الحرب الأوربية- العالمية الثانية، الرئيس- الفاشل- وودرو ولسون.

١٥/٥/٢٠١٥

يوميات كاتب:

قال امبراطور المانيا مخاطبا الرؤسـاء الحربيين والبحريين الذين فرضوا عليه الحرب عام-١٩١٤:

" أيها السادة: ستعيشون وتتندمون على هذا "

أما من الجانب الانكليزي المقابل، فقد قال اللورد- غراي- وزير خارجية بريطانيا :

"إن المصـابيح أخذت تنطفئ في جميع أوروبا، ولن نراها موقدة ثانيا طوال حياتنا "

ملخصـة عن كتاب- سـقوط الأسـر الحاكمة- تأليف- ادموند تيلور- ترجمـة- علي عزت الانصـاري- مراجعـة الـدكتور-محمـد انيس- القاهرة- ١٩٦٥.

أقول- الآن- وأنا الفقير إلى رحمة الله تعالى: ، قول غليوم وغراي هذين، ولن اسـتغفر الله، أو أغفر لأحد من الذين فرضـوا علينا هذا الخراب، أو أطفأوا مصـابيح سـورية، ومصـاييح حياتنا، وحتى لأصدقائي، و لنفسي الضالة أبداً، لن استغفر أبداً.

١٦/٥/٢٠١٥

الزمن، التـاريخ، لا- يغرران- بنـا، ولا يلعبـان ألعـابنـا الغبيـة- السـاذجة،- يخالها بعضــهم ذكية-، التاريخ والزمن لا يخدعاننا، إنهما فقط، وببرود ولامبالاة يكشـــفان عن حقيقتنا العارية، دون وملابس وتشــدقات لغوية، بل ربما جعلانا ندفع الثمن الباهظ أحياناً لغبائنا، أو محاولتنا خداعهما.

المشكلة أن بعضنا من- الفهلوة- إلى درجة أنه- يعتقد- أنه يستطيع، هو وأمثاله، مخادعة هذا- المسكين-، فاقد الذاكرة والبصـر، في رأيهم = وهمهم، أعني: التاريخ.

١٧/٥/٢٠١٥

لا أدعي أنني أعرف- الحقيقة-، فتلك- أقصد الحقيقة- كلمة مراوغة ومحيرة. وربما متقلبة، بالنسبة لي، فكيف أدعي أنني أقولها أو أكتبها؟

كل ما-أدعيه- هو أنني أقول قناعتي و- أدلي بدلوي في خضــم هذه الدلاء المدلاة-، أقول قولي وأقدم- شهادتي، أو: أصف ما أرى وأحيانا : مـا أحس، ومن- زاويـة النظر، في المكـان- الزمـان- الموقف الـذي أوقفني اجتهادي، وربما حظي، أو صــادف أن أكون واقفا على مفارق دروبـه، أ و فيـه، ، مثلمـا لا أدعي- أبداً- أنني أقف في، على أرض- محايدة- فأنا لســت ســويســريا، على الرغم من أنني أطمح إلى ذلك أحيانا، فما من أحد يستطيع أن يكون- فوق الصراعات، خصوصا إذا كان مشلوحاً بين- أقطاب- أرحيتها.

كل ما أدعيه، وأصر على حقي في هذا الادعاء، هو أنني أحاول أن أقدم رؤية- موضـــوعية- من وجهة نظري، قدر إمكان المرء أن يكون موضوعياً.

٤/٦/٢٠١٥

بمناسبة-٥- حزيران- ١٩٦٧ - "عن جيلي ونفسي":

[" ونجوت وحدي لأخبرك " سفر ايوب.]. . .

كنا مجموعة أصـــدقاء في المرحلة الإعدادية، نقرأ الكتب في طرطوس، ونحلم بالســفر إلى أمريكا للدراســة والعيش، وفي-٥- حزيران- عام-١٩٦٧- تقدمنا إلى امتحان الثانوية فنجحنا، بعد أن كانت بلادنا قد هزمت في حرب ذاك العام، وعلى كل حال فقد ذهب الصديقان، وهما الآن في أمريكا، الأول طبيب نفسي، والثاني مدرس أدب أمريكي، أما أنا فقد قررت أن أتخلى عن حلمي الأمريكي، وأن أبقى في سورية، وأن اذهب لدراسة الأدب العربي في جامعة دمشق، وفي جامعة دمشــق تحول حلم العدالة الذي رافق الصــبي في الدكان- دكان الأب- إلى حلم متعين في الاشتراكية. ربما لهذا السبب، أي لأن- ٥- حزيران- عام-١٩٦٧- غير قراري وطريقي وهدفي في هذه الحياة، فإنني أعتبر أن ما حدث في هذا العام هو الحادث الرئيس في حياتي.

إنني، ببساطة، واحد من جيل الـ-٦٧-، ولهذا أرجوكم ألا تؤاخذوني على شدة يأسي وانقطاع أملي.

- من ملحق رواية: الأشجار الصغيرة- كتبت عام ١٩٨٧- ونشرت عام ١٩٩٩- منشورات-٢٠٢١- دمشق-

[وهكذا، حين اندمجنا في التاريخ بعنف، لم يكن لنا سوى أن نصنع أدباً ذا طابع تاريخي]

جان بول سارتر- ١٩٠٥- ١٩٨٠- فيلسوف فرنسي

[ولا ضوء سوى الضوء الذي يشع على حربة الجندي المسلولة، المستعدة أبدا]

كينث فيرنغ- شاعر امريكي من القرن العشرين-

٢٠١٥/٩/١٢

المنافسة التاريخية على السلطة:

[- كانت- الراقصة شفيقة القبطية- تجوب شوارع القاهرة بالعربة الفخمة الموشــاة بالذهب التي تجرها ســتة خيول مطهمة، وبجوار كل جواد قمشجي يلبس الطربوش الأحمر المغربي ذا الزر الطويل ويتقدم

العربة اثنان من القمشجية يفسحان الطريق للموكب صائحين: وسع ياجدع..

كان هذا الموكب صورة طبق الأصل من موكب الخديوي عباس.. وكان الناس يصفقون لها في الشوارع أكثر مما يصفقون للجالس على العرش.

ولهذا حقد عليها الخديوي، وأرسل إليها من يأمرها أن تكف عن الظهور في الشوارع بهذا الموكب.-]

من كتاب- شفيقة القبطية- تأليف: جليل البنداري- القاهرة-١٩٦٢- الصفحة-٤-

٢٠١٥/٩/١٧

في كل الأحوال:

[. . . . . . في كل الأحوال أعتقد أننا المسؤولون عما نختار، وكاتب هذه السطور لا يقول- فقط- أنه يفضل خيار الدولة ذات العاقد البشري- الوطني- السياسي- الثقافي- المدني، بل يقول- أيضا- أنه ضد خيار الدولة الدينية، أو مشروعها، أياً كانت هذه الدولة: إسلامية، أم طائفية، أم غير إسلامية، بل ويدعو إلى مقاومة هذا الخيار ويحذر من أخطاره، سواء أتى هذا على شكل حرب أهلية، وكل مشروع دولة دينية وطائفية يدفع إلى الحرب الأهلية، كما علمنا التاريخ، بل وينتجها، أم أتى هذا الخطر على شكل توترات وتعقيدات دولية وإقليمية.

كما أن هناك خطراً ناتجا عن العودة إلى اللاحم الديني، وهو خطر تقسيم على أساس طائفي أو قومي، ستدعمه، بحجة حماية- الأقليات- قوى لها رغبة و- تاريخ- في ذلك، على ما يبدو، كما حدث، وما يزال يحدث، في بلاد الشام- لبنان- منذ القرن التاسع عشر من تدخل للقوى الخارجية وبداية تأسيس الكيان الطائفي اللبناني، ثم ما حدث أوائل القرن العشرين، وقت انهيار السلطنة العثمانية وتأسيس الكيان- اليهودي في فلسطين، ثم ما يحصل الآن في العراق بعد دخول

الأمريكان إليه على أبواب القرن الحادي والعشـــرين، وبداية صـــراع قائم، على ما يبدو، على خلفيات وأسس دينية- طائفية- عرقية.]

: من كتاب " وردة أم قنبلة- اعادة تكوين ســـورية "-ص-٩٠- ٩١ / منشورات- ٢٠٠١- دمشق- ٢٠٠٦.

٢٠١٥/٩/٢٤

- قولان من القرن التاسع عشر لنيكولاي غوغل- ١٨٠٢- ١٨٥٢:

كنت- وما زلت- معجباً بتعبيرين- قولين للكاتب الروســـي- نيقولاي غوغل وهما:

-١- [-. . إذا ما أخرج احدهم أنفه ودسه في مشـاكل هذا العالم.[. لكنني لاحظـت مؤخراً، أن هـذا القول الجميـل، على الرغم من أنني سـأظل معجبا به، غير دقيق دائماً، وأنه ربما صـح على القرن التاسـع عشـــر، و الأدق ما قبله، لكنه قد لا يكون- دقيقاً- منذ القرن العشـــرين، وما بعده. ذلك أن: (العالم صـــــار هو الذي يخرج انفه ويزجه في حيواتنا نحن الناس العاديين، فيقلبها- رأســـاً على عقب- كما يقولون، وكما ترون هذه الأيام في كل بقاع الأرض، وفي الشـــرق الأوســـط، وخصوصاً في- بلدنا سورية- على وجه الدقة، أو على وجه المأساة.

وقال أيضاً، رضي الله عنه

-٢ -:[وي. . إن ما يطبع في هذه الأيام لأكثر من حاجة الناس إلى ورق اللف والصر.]

قال غوغل قوله هذا، دون أن يسـتغفر أحداً، في النصـف الأول من القرن التاســع عشــر، فماذا كان ســيقول لو عاش في أيامنا، ورأى ما نرى من- مطبوعات ورقية-؟

لكن المصـيبة الأدهى والأمر- اليوم- أو المشـكلة الجديدة باتت اليوم هي: ماذا نفعل بهذا- الهذر- الفضائي، وعلى الشبكة؟

بســـيطة: نغلق الجهاز عندما نرى أو نســـمع ما لا يقنعنا، أو ما لا يعجبنا.

٢٠١٥/٩/٢٦

تاريخ يتنزه ويغرد على هواه، وعلى قوانينه:

. . . ومازال سكان هذا الشرق الأوسط العتيد يرفضون- كلامياً-، ويندون باتفاقية سايكس- بيكو- سازانوف، الفرنسة- الانكليزية- الروسية، وحدودها- المصطنعة-، منذ كشفها البلاشفة الروس بعد ثورتهم عام-١٩١٧- حتى وصلنا اليوم في- نضالنا- ضد هذه الاتفاقية، إلى وضع صارت فيه هذه الحدود- المصطنعة- مطلباً وطنياً- إنقاذياً-، وربما من الصعب الحفاظ عليه، أو الوصول إليه، على ما هو عليه.

ربما لهذا يبدو- اليوم- وكأن هؤلاء السادة الساسة الاستعماريين كانوا أرأف بنا، وربما أكثر- فهماً- بشعوب هذه المنطقة وحقيقة روابطها وانتماءاتها من أهلها، أو سكانها أنفسهم.

وعلى كل حال :

على الشعوب تدور الدوائر، وعلى البشر عاقبة مثل هذه الأمور والاتفاقيات والسياسات، الخارجية منها والداخلية.

ولا حول ولا قوة لأحد ممن يقتلهم، أو يشردهم ما يتفق عليه، أو ما يحدث.

٢٠١٥/٩/٣٠

ظل الشرق الأبدي- دام ظله- :

١-- الإمام- الآية- الشاه علي خامنئي في السلطة- إلى الأبد.

٢-- الخليفة- السلطان- رجب طيب اردوغان في السلطة- إلى الأبد.

-٣- القيصر- البطريرك فلاديمير بوتين في السلطة- إلى الأبد.

-٤-الجنرالات- الرؤساء في بلاد عربستان في السلطة- إلى الأبد.

وغيرهم وغيرهم، قصص كثيرة.

بينما :

-١- ونستون تشرشل، المنتصر في الحرب العالمية الثانية، يخسر الانتخابات ويخرج من- السلطة- .

-٢- الجنرال شارل ديغول، مقاوم الاحتلال النازي لفرنسا، ورئيس الجمهورية فيما بعد، يستقيل من- السلطة- لأنه اعتبر أن التفويض عبر الأغلبية الانتخابية الذي حازه في الانتخابات غير كاف، وغير مجمع عليه من الأغلبية التي يريدها.

-٣- الرئيس الامريكي المنتصـــر في الحرب العـالميـة الثـانيـة- روزفلت يغادر البيت الأبيض- السلطة- بعد انتهاء مدة ولايته.

وغيرهم وغيرهم، قصص كثيرة.

ما قصة هذا الشرق مع هذه الـ:- إلى الأبد-؟

ربما لله في شرقه وغربه شأنان وشجنان ومكيالان. والله أعلم.

٢٠١٥/١٠/١٤

القيصـــر الروســـي فلادمير بوتين يريد إعادة- مجد- الإمبراطورية الروســية- الســوفياتية، والســلطان رجب طيب اردوغان يريد إعادة- مجد- الإمبراطورية الإســـلامية- العثمانية، والإمام على خامنئي يريد إعادة- مجد- الإمبراطورية الشاهنشانية- الإيرانية، والمشير عبد الفتاح الســيســي يريد إعادة- مجد- الحقبة العســكرية الناصــرية، والخليفة الداعشـي ابراهيم يريد إعادة- مجد- الخلافة الإسـلامية، وحسـن نصـر الله يريـد إعـادة- مجـد- الخلافـة إلى الخليفـة الرابع، وكـل عربي، أو مسلم- تقريباً- يريد إعادة- المجد الماضي-.

كما ترون كلهم يريدون العودة إلى الوراء، إلى- المجد الماضـــي-، ولا أحـد منهم يريـد النظر، أو التقـدم إلى الأمـام، ولـهـذا ترون الثمن الغالي الذي يجعلوننا ندفعه لقاء عودتهم المســـتحيلة والعبثية إلى هذا- المجد- الذي مضى.

ملاحظة :

وضعت كلمة- مجد- أعلاه بين قوسين لأنني غير، مقتنع بدقتها، أو محتواها، أو دلالتها، ويستطيع غير الراضي عن عدم رضائي عن هذه اللفظة التي اعتبرها- وعرة ونرجسـية ومضـللة- أن يحذف القوسـين، ويفهم، أو يستخدم- المجد- على هواه.

٢٠١٥/١٠/٢٣

فودكا وروليت روسية مغشوشتان، مرتين:

الفودكا معروفة للجميع، وأما الروليت الروسـية فمقامرة شـجاعة تقوم على وضـع طلقة في مسـدس ثم إدارة- الكرة = المخزن- مثل دولاب القمار = الحظ، بحيث لا يعرف الفاعل فيما إذا كانت الرصاصة قد استقرت في بيت النار، أم في حجرة أخرى، ثم يوجه المسدس الى صدغه، ويضغط على الزناد.

مات كثير من الشباب الروس المقامرين = الشجعان بهذه المقامرة الشجاعة لكن- العبثية- .

أحيانا أفكر أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين كـ- روسي أصيل- يلعب هذه اللعبة في سورية، لكنه كـ- ضابط مخابرات- متمرس يغش بها، إذ- يتفق- مع شـهود اللعبة، على إفراغ المسـدس من الطلقة الوحيدة، ثم يتظاهر بأنه يقامر.

وهذا هو الغش الأول في اللعبة.

أما الغش الثاني فهو أن أحد- أولاد الحرام-، وأنا اقدر من هو، قد تسلل إلى اللعبة والمسدس المأمون- المتفق عليه-أو ربما أبدل المسدس إياه، ، ودس في المسدس رصاصة حقيقية.

الآن، على لاعب- الجيدو- ولاعب الروليت الروسـية أن يلعب في سورية- لعبة حقيقية خطرة-، بعد أن صمم اللعبة على أساس أن تكون آمنة ومتفقاً عليها، أي دون طلقة- حظ- قد تكون قاتلة.

أما- أمثالي- فإنهم- دون حماسـة، أو شـماتة- يتفرجون على هذه- الروليت الروسـية الخطرة- التي سـتصـيبنا- نحن المتفرجين- رصاصاتها، على الأغلب. .

إضـافة، أو اسـتدراك في ٢٠١٥-١١ -٢٥-، بمناسـبة إسـقاط الطائرتين الروسـيتين في سـمائي سـيناء وسـوريا: هذه هي- الطلقة المغشوشة- التي جرى الحديث عنها أعلاه بتاريخ / ٢٠١٥ -١٠-٢٣ / لست شامتاً، وأنا آسف ومتأثر بشأن الطائرة المدنية في شرم الشيخ،

لكن الحقائق هي الحقائق،- كما يعرف- بعض الناس-، فقط، وربما لهذا أستميح الأصدقاء عذراً في إعادة نشر هذه المدونة غير القديمة.

٢٠١٥/١٠/٢٣

العشاق والأصدقاء المزيفون:

ثمة عادة معروفة عند العشـــاق والأصـــدقاء غير الجديين، وربما- غير الشـــرفاء- وهي أنهم يشـــهرون ببعضـــهم بعضـــاً، بل ويكشـــفون أســـرارهم المتبادلة الدفينة والتي يظنون أن لا أحد غيرهما يعرفها، عندما- يختلفون على أصغر- تفصيل- .

على سبل المثال فقد- كشـف- الرئيس الروسـي فلاديمير بوتين أن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تقول أنهـا تحـارب داعش بينمـا هي تستخدمها لمصلحتها في إعادة رسم الخرائط في الشرق الأوسط.

وبالمقابل كان الرئيس الأمريكي باراك أوباما قد كشـــف أن الاتحاد الروسـي يقول انه جاء إلى سـورية لمحاربة الإرهاب وجبهة النصـرة، بينما هو في الحقيقة يســـاعد طرفا معروفا، ونيته المعلنة هي آخر ما يهدفه، أو ما يسعى إليه.

هي آخر ما يفعل.

كما ترون- الصـديقان، وهما يعرفان بعضـهما ونواياهما جيداً- هنا- يقولان-الحقيقة التي يعرفها كل صـديق عن صـديقه قبل الخلاف، حتى ولو كان هذا الخلاف صغيراً.

الطريف في الموضوع أن ما يظنه هذان الصديقان- اللدودان- سراً " مشـــتركا بينهما " فقط لا غير- هو- فضـــيحة علنية- يعرفها جميع الناس.

٢٠١٥/١١/٢٥

يبدو لي- أحياناً- أن الحروب الأهلية والثورات، وهما تســـميتان مختلفتان لمســـمى واحد- فيما أرى وأعرف- مثل المقامرة، يدخلها، أو

يلعب بها اللاعبون وكل لاعب، أو طرف من اللاعبين = المقاتلين يظن في نفســه انه الأذكى والأمهر الذي ســيربح اللعبة = الثورة = الحرب الأهلية، لكن المفاجأة، آخر اللعبة- غالباً، تكون أن خســائر الطرفين أكثر من أرباحهما. بحيث يتمنى الطرفان- أحياناً- لو أنهما لم يلعبا هذه اللعبة بالأرواح والدماء والبشر، وليس بالنقود- فقط لا غير.

- ومع كل ذلك تبقى الثورة، حتى ولو كانت مقامرة، أو مثل مقامرة، من ابســط وأنبل ما يقوم به كل شــعب، كما- أشــار إلى ذلك الفيلســوف الألماني- ايمنويل كانت- عند حديثه عن الثورة الفرنســية التي عاصــرها-، أو فرد مظلوم، مثلما هي جزء من طبيعة الحياة والبشر.

٢٠١٥/١٢/٢

" حرب تشــارلي ولســون الخاصــة " عنوان فيلم أمريكي إخراج- مايك نيكولاس- وتمثيل- توم هانكس وجسيكا لانج-

يعيد الفيلم ســرد القصــة الحقيقية لتزويد المعارضــة الأفغانية بصــورايخ- ســتنجر- من قبل الأمريكان، وهو ما أدى إلى إخراج الروس من البلاد الأفغانية.

ببســاطة كان للفيلم رســالة ســياســية- ســينمائية للروس مفادها: هزيمتكم- خارج بلادكم- لا تكلفنا- لا ولن- تكلفنا أكثر من- ١٠٠- صاروخ ستنجر.

أظن أن هذه الرســالة ما تزال مســتمرة في الإرســال من قبل الأمريكان إلى الروس.

على كل حال اقترح على الأصدقاء مشاهدة هذا الفيلم، لمن استطاع إلى ذلك سبيلا.

٢٠١٥/١٢/٣

" الخيط الاحمر الرفيع "

هو فيلم ل- تيرنس مالك- يدور موضوعه، أو حكايته حول محاولة الجنود الأمريكيين الاستيلاء على جزيرة في المحيط الهادئ يحتلها اليابانيون، ويمثل فيه كوكبة من الممثلين القديرين اللامعين مثل: شون بن + أدريان برودي +جورج كلوني + وودي هاريسون + جون كوزاك. . الخ

المسألة ليست في أهمية الموضوع والمخرج والممثلين، بل في مكان ورؤية الفيلم وطريقة تصويره.

فالفيلم مصور في- جنة بدائية-، وفي هذه الجنة الطبيعية يدور أعنف قتال وأشرسه على العشب الأخضر وبين غابات جميلة تتطاير، أو تموت فيها حيوانات الغابة وطيورها الملونة مثلما تتطاير أشلاء ودماء الجنود الشبان حتى يصطبغ العشب الأخضر بلون الدم الأحمر، وكل ذلك في سبيل حرب عبثية، وقتل طبيعة وبشر وطيور وحيوانات بريئة.

أشاهد هذا الفيلم مراراً، وأتذكر كل حروب وحماقات من يفرضون الحروب على الطبيعة والبشر.

أشاهد هذا الفيلم مراراً، حتى لا أنسى ما كان- سورية-.

أشاهد هذا الفيلم مراراً، حتى يبقى " ضميري ووعيي" صاحيان، وواقفان ضد كل الحروب.

٢٠١٥/١٢/٦

سيكولوجيات مجاهدة ومتناحرة في الشرق الأوسط:

ثمة- فيما أرى- فروق عميقة بين- الإسلام الإيراني- و- الإسلام التركي = العثماني- و- الإسلام العربي-، أهمها وأبسطها أن الإسلام العربي قام بتقويض الإمبراطورية الكسروية، بينما قامت الإمبراطورية العثمانية تحت اسم الإسلام ورايته.

ربما لهذا تبدو- السيكولوجية التاريخية الإيرانية، وكأنها سيكولوجية المقهور التي من ابرز سـماتها- الإعجاب بالغالب وتقليده، مع كرهه- كما يفعل العرب مع- الغرب- مثلاً.

أما السـيكولوجية التاريخية العثمانية = التركية، فتبدو أشـبه بسيكولوجية- صاحب الورقة الرابحة- والتي يظنها رابحة- إلى الأبد-، مع أنها قد ضاعت منذ زمن بعيد.

أمـا سـيكولوجيـة- الأخوة العرب- التـاريخيـة، ومنـذ سـقوط إمبراطوريتهم، فهي أقرب إلى سـيكولوجيـة- الآغـا المفلس-، وهي سيكولوجية من فقد الورقة الرابحة لكنه يتوهم أنها ما تزال- في جيبه-

شـخصـياً، وحتى لا يسـاء فهمي، فإنني أفهم الأمر كله فهماً تاريخياً وسيكولوجياً جمعياً بعيداٍ، وبعيداً جداً، عن الفهم القومي، أو الديني. أو ما شابه ذلك من مفاهيم وسيكولوجيات مجاهدة ومتناحرة.

٢٠١٥/١٢/٧

يوميات قارئ:

١-- " لا أحد يحب أي واقعي في السياسة "

روبرت غبلن- ١٩٩٦-

"وبرأي عدد كبير من منظري السـياسـة، تشـكل الواقعية نقيض التأمل الأخلاقي، لا أحد تجلياته. "

دنكن بل.

من كتاب- الفكر السـياسـي والعلاقات الدولية: تنويعات على أوتار الواقعية- .تحرير: دنكن بل. ترجمة فاضل جتكر. منشورات: وازارة الثقافة- دمشق-٢٠١٥- من مقدمة المحرر.

٢-- "، اسـأل الله الكريم العفو عني وعن أحبائي من مكره وغضـبه ومن عذاب النار، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. "

من مقدمة كتاب- كفاية الأخيار في غاية الاختصـــار- فقه حنفي- للمؤلف الشيخ العلامة أبي بكر الحصيني الحسيني الدمشقي قدس الله سره،- متوفى عام- ٨٢٩ هجرية = ١٤٢٥ ميلادية. من المقدمة.

أظن أن لا داعي للتنويه بأن الذي يلفت النظر في النص المتقدم هو خوف المؤلف، قدس الله ســـره، من " مكر الله وغضـــبه " بالدرجة نفسها.

ربما معه حق، فمكر الله، خطير وملغز، مثل مكر التاريخ عند الفيلسوف الجدلي هيجل في القرن التاسع عشر.

٢٠١٥/١٢/٧

حتى الآن، كانت كل الوصــفات والمؤثرات والتدخلات في الحرب الأهلية السورية- الثورة- التمرد-الأحداث- الأزمة، سموها ما شئتم-، وصفات ومؤتمرات مثالية لإطالة هذه الحرب = المشكلة المتطاولة.

٢٠١٥/١٢/٨

من يوميات قارئ:

" وحتى عندما يريدون تفســير شـــيء ما عن علل الحركات، وأن يؤسسوا تقسيما لهذه العلل، فإنهم يضعون تمييزاً هو نفسه مستمد من تصـــور عامي، حيث ان الحركة العنيفة هي أيضـــا في الحقيقة حركة طبيعية، أي علة خارجية تجعل الطبيعة تعمل بطريقة مختلفة عما كانت عليه من قبل. "

من كتاب- الأورجانون الجديد-١٦٢٠-- تأليف: فرانسيس بايكون- ١٥٦٠- -١٦٢٦ ترجمة- د. عادل مصـــطفى ،- منشـــورات- رؤية- القاهرة-.-٢٠١٣ -الصفحة-٥٤-

ربما كان تعليل بايكون للـ- الحركة العنيفة- يصح على- الثورات = الحروب الاهلية- من أدق التعليلات والتفســيرات، ولا عجب في ذلك فبايكون من أهم واضعي أسس التفكير العلمي والفلسفي الحديث.

٢٠١٥/١٢/٨

توضيح رأي :

ثمة فارق كبير بين الثورات الشـــعبية = الحروب الأهلية، وبين الانقلابات العســـكرية و- وثورات القصــــر و- تغييرات صــــناديق الاقتراع، أو تغيير هذا الحاكم، أو الحزب، أو الطاقم السياسي، أو ذاك، وربما لهذا تكثر- التغييرات الســـياســـية- من النوع الســـالف، وتندر الثورات الشــعبية = الحروب الأهلية، وربما لهذا- أيضــــاً- تتريث الشــــعوب كثيراً قبل أن تغامر = تقامر في الدخول في ثورة، لأنها تعرف أنها تدخل في: حرب أهلية، فكل قتال بين مجموعات اجتماعية كبيرة متساكنة ومتباينة في المصالح والرؤى والانتماءات هو ثورة من قبل من يعتبرون أن الطرف الآخر مســـتبد وظالم، وبما أن هذا القتال يدور بين- أهالي- يعيشـــون في مكان واحد، ويختلفون على قضـــايا واحدة ومحددة، فهو- هذا القتال- حرب أهلية.

الثورة في احد وجوهها حرب أهلية ، هذا ما اعنيه بالضبط

لا داعي للأمثلة، فهي مضــللة، وكل- وجهة نظر- تفســر- الأمثلة- من وجهة نظرها المسبقة.

٢٠١٥/١٢/٩

نزع القداسة والنجاسة عن اللغة والعالم والفكر :

إنني من- جيـل- تربى على- تقـديس وتنجيس- كلمـات ومفـاهيم معينة، فـــ- :الثورة والوطن والشعب والاشتراكية- مثلاً، هي مقدسات مثل بتول، أو راهبة- ما باس تمها إلا أمها- أو المســيح- عليه الســلام، لأنه فعل هذا. أو تقديس أســـماء مثل هيجل والمتنبي، وأبي العلاء المعري وابن رشـد وعبد الناصـر. الخ، بينما نظر إلى كلمات ومفاهيم مثـل- الـديمقرطيـة الغربيـة- الرأســـماليـة- أمريكـا-- الحرب الأهليـة-

الوجودية- وأحيانا أوروبا والغرب عموما، وأمثالها- وكأنها- لقيطات خرجت توا من المبغى.

لكنني، ومع ما عشت ورأيت، وبمساعدة بعض القراءات التاريخية، ومساعدة مفكرين أمثال فرانسيس بايكون وماكس و فيبر وفؤاد زكريا- في هذا الموضوع بالذات- تعلمت أن انزع- القداسة والنجاسة-، معا، عن الأفكار واللغة والعالم، وككاتب يتوخى الموضوعية، وليس الحيادية، فإنني أستخدم- الثورة = الحرب الأهلية بمعنى- وصفي مجرد، نازعا- القداسة- عن الثورة، و- النجاسة- عن- الحرب الاهلية- . وقل القول نفسه عن كلمات مثال- الوطن- الشعب- أمريكا- الديمقراطية- الرأسمالية- الاشتراكية- وكل اللغة والمفاهيم عموما.

على كل حال، يبدو لي أن- الثورة = الحرب الأهلية، هي مثل كل انفجار طبيعي- بركان-، أو اجتماعي، أو تمرد فردي، وإن اختلفت التلوينات، والتمظهرات في هذا الزمان، وهذا المكان أو ذاك، ولسبب أو آخر.

٢٠١٥/١٢/١٣

أبعد من الإرهاب:

الإرهاب في التعريف هو- باستثناء- إرهاب الدولة- المقونن والمنظم- عادة- فعل فردي عنيف ويائس-، لكن من يطلق عليهم اليوم- إرهابيون- في منطقة الشرق الأوسط تحديداً، ليسوا مجرد بضعة أفراد أو- منظمات صغيرة- مثل ظاهرة الإرهاب الأوروبي في القرن التاسع عشر، بل والقرن العشرين، وخصوصا الإرهاب الفوضوي في روسيا واسبانيا، وبادر- ماينهوف في ألمانيا، والجيش الأحمر في ايطاليا-، فتقارير المخابرات الأمريكية والأوربية والروسية تنبأنا- مثلاً- أن عدد مجندي داعش يقارب- -١٠٠٠٠٠ وعدد مجندي جبهة النصرة يقارب- ٢٥٥٠٠-، وعدد إرهابيي- المليشيات المسلحة- لمن يعتبرهم إرهابيين- ، من سوريين ولبنانيين وعراقيين وأضرابهم يتجاوز- مئات الألوف- .

أظن إنني من أواخر الناس الذين يحبذون الإرهاب- والعنف عموماً- أو يدعون له، أو يسوغونه، أو- ينظرون له-، لكنها مجرد- دعوة- لتشغيل العقل النقدي- التحليلي، وهي- دعوة موجهة إلى- نفسي- أولاً.

٢٠١٦/١/٨

عن التاريخ السياسي للدين :

عندما اقرأ تاريخ الدين-السياسي- وخصوصا- الأديان التوحيدية الثلاثة- إياها- أي عملياً: الأديان السماوية التي ترمز للاستبداد السياسي الفردي- الطغيان والديكتاتورية والبطريركية، وتنجبه وتشرعنه، ثم أرى في الحاضر دول هذا- الدين- السياسية مثل اسرائيل وباكستان والسعودية وإيران ولبنان، ثم أرى إلى الشخصيات السياسية- الدينية أمثال- الخليفة البغدادي- و المقاوم- حسن نصر الله و- الجنرال ميشال عون- ورئيس الدولة التركية- اردوغان- و-الملك السعودي ورهطه- وآيات الله- الأشاوس في إيران، ورئيس الوزراء الاسرائيلي نتنياهو- و. .- هل نسيت أحدا يا ترى ليعتب أحدكم علي؟

أقول: بعد أن قرأت وتذكرت ورأيت كل ما تقدم:

كم كان الدكتور كارل ماركس مهذبا ولبقا وخجولا- عكس عادته- عندما قال :

- الدين أفيون الشعوب-

على الرغم من أن الذين يوردون هذا القول يوردونه مجتزءاً-، ولكن ليس هنا مكان إيراد القول كاملاً.

٢٠١٦/١/٨

القدرة على عدم التمييز :

مثل غيري، من كثيرين من البشر، لدي بعض الأوهام- غير الضارة بأحد- عن نفسي، منها- مثلاً-:

أن لدي أذنا موسيقية قادرة على التمييز بين موسيقى باخ وموسيقى بيتهوفن، كما أدعي- كذلك- أن لدي- ذائقة- و- حساسية بصرية- بحيث أميز بين رسام وآخر، وإن تشابه أسلوبهما، وأنني أستطيع تقدير مدى الجدة والجمال في صـــورة فوتوغرافية. كذلك، من جملة أوهامي عن نفسي، أو- ادعاءاتي- أكرر: التي لا تضر أحداً- أنني أستطيع أن أميز الأسلوب الجيد من الأسلوب الرديء، سواء في الكتابة أو الحديث.

أقول ذلك دون أي- تبجح ثقافي-

ومع ذلك فإنني، في هذه الأيام، لاحظت على نفســـي- ربما بحكم العمر، كما قد يقول أحدكم، أنني بدأت أفقد- قدراتي- التي تحدثت عنها، فأنا مثلاً لا أســتطيع- هذه الأيام الشــتائية- التمييز بين صــوت الرعد وبين أصوات الصواريخ والبراميل المتفجرة، مثلما لا أستطيع التمييز بين صور درسدن في ألمانيا عقب دمار الحرب العالمية الثانية وبين صور الدمار في حلب ودوما وحمص، كما أنني ما عدت استطيع التمييز بين أسلوب وصورة حسن نصرالله- على الرغم من العمامة الظاهرة في الصورة- وأسلوب وصورة شريف شحادة وفايز قنديل، ناهيك عن صور وأسلوب الشيخ القرضاوي أو الجنرال عون والنجم الجديد الذي أرجو له دوام الصعود والتألق السناتور الأمريكي ترامب- الذي أرجو له التوفيق في حملته الانتخابية-

أضيف إلى ذلك :

أنني ما عدت اســتطيع التمييز- الدقيق- بين صـــور المعســكرت والبشر الجياع في- او شفيتز وداخاوا- وبين صور وبشر مشابهين في دوما ومضايا، بل وعلى امتار قليلة مني في قدسيا.

- لكن تولد لدي- على ما يبدو هذه الأيام وهم، أو- ادعاء- آخر عن نفسي، وهو :

يبدو أنني بدأت امتلك- قدرة جديد ة- هي، ودون تبجح، ومع المؤاخذة أو عدمها:

عدم القدرة على التمييز.

٢٠١٦/١/١٨

يوميات قارئ:

- -١" التدخل العسكري الأوروبي في المشرق العربي:

* وكان أول تدخل عسكري منظم لدولة أوربية على سواحل المتوسط الشرقية، منذ الاحتلال العثماني، اشتراك الأسطول الروسي، إلى جانب قوات علي بيك الكبير و حليفه ضاهر العمر، في قصف منطقة بيروت وإنزال القوات فيها عام- ١٧٧٢ "

- نقلا عن كتاب- العرب والعثمانيون- ١٥١٦- ١٩١٦- تأليف: الدكتور عبد الكريم رافق- دمشق- ١٩٧٤.

ولمن يحب- التعمق- في التاريخ، أورد الحادثة كما رواها احد معاصريها:

-٢- " ثم في هذه السنة- ١٧٧٣- في آخر شهر حزيران أتى عسكر بحري من قبل سلطانة المسكف لمحاصرة مدينة بيروت بسبب الجزار السابق ذكره لأنه ضايق على النصارى وعلى حكام بيت شهاب وخرب اسكلاتهم واحرق حاراتهم وقطع املاكهم. فلذلك بموازرة حضرة الأمير منصور شهاب صار الصلح ما بين الشيخ ضاهر العمر حاكم مدينة عكا سابقاً ومدينة صيدا أيضاً حالا وبين جناب الأمير يوسف شهاب حاكم جبل الدروز وايالة طرابلس الى حدود الضنية وباتفاق المذكورين جابوا العسكر البحري باسم المسكف وحاصروا مدينة بيروت وحاكمها الجزار بالبحر والبر مقدار خمسة أشهر ورموا عليها نحو عشرين الف كلة مدفع بمدة ثمانية أيام ولم ينال عمارها إلا ضرر قليل. ثم بعد ذلك رفعوا القواس وحاصروهم بقطع المأكل والمشرب حتى سلمت المدينة وطلع الجزار سالم بقول الشيخ ضاهر وتسلم القبطان المسكوفي المدينة وسلمها لجناب الامير يوسف، وحضرة الأمير المذكور قدم خدمة ستماية كيس دراهم وخرج عسكره

ونصب القبطان راية الصليب على القلعة وبرج المينا ووقف من قبله قبطان وصار من ذلك ضيقة زايدة على المسلمين. "

من هامش للمطران- الياس الجميل- ١٧٢٦- ١٧٧٩- على مخطوط قديم-

النص الثاني منقول من كتاب: تاريخ احمد باشا الجزار للأمير حيدر احمد شهاب-- تحقيق الأب انطونيوس شبلي والأب اغناطيوس عبده خليفة- بيروت- ١٩٥٤-

٢٠١٦/١/١٨

يوميات قارئ:

" المادة الثانية عشرة :

الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الاثني عشري، و هذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير، وأما المذاهب الإسلامية الأخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم الإسلامية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية والأحوال الشخصية- الزواج، والطلاق والإرث والوصية- وما يتعلق بها من دعاوي المحاكم.

وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية، فان الأحكام المحلية لتلك المنطقة- في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية- تكون وفق ذلك المذ هب و هذا مع الحافظ على حقوق أتباع المذا هب الأخرى. "

- دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية

المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق- ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م

- ملاحظة: كتبت على نسختي الشخصية من هذا الدستور = الكتاب، وأمام هذه المادة- ١٢- الملاحظة التالية:

هذه المادة هي المأسسة والشرعنة الرسمية للطائفية والمذهبية في إيران.

لا يعاتبني أحد على ما كتبت على هامش الصفحة، فالكتاب لي، وقد اشــــتريته من- حر مالي-، وانا حر في أن اكتب و- أخربش- عليه ما أريد.

٢٠١٦/١/١٨

يوميات كاتب ومواطن من جيل السبعينيات:

ما سمعت خبراً، أو رأيت صورة من صور هذا الدمار السوري الكبير، في البشر والحجر والنفوس والعقول والماضي والمستقبل، إلا وتذكرت- جيلي-، وأفكاري، وتذكرت قصيدة الشاعر الألماني- برتولت بريخت-١٩٥٦ -١٨٩٨ -التي اسمها، أو- يوجهها- إلى من سيأتون بعدنا-، وفيها يقول، أو يختمها قائلا:

" نحن الذين أردنا أن نمهد الأرض للمحبة

لم يستطع أن يحب بعضنا بعضا

فاذكرونا وسامحونا ."

لكني بعد لحظة من ترددادي لـ:

- اذكرونا وسامحونا،

أتفاجأ من نفسي لأنني أطلق صوتي- عالياً-، على الرغم من أنني أكون وحدي في البيت، وانا، كخطيب دون مكبر في ساحة عامة، أزعق:

- لا. . لا تذكرونا، ولا تسامحونا.

٢٠١٥/١٢/٤

أحيانا- بالطبع: ليس دائما- تكون هناك حاجة لطرق ومناهج وأدوات جديدة للتفكير في ظواهر وأفكار وأحداث جديدة- طارئة-، وعلى سبل المثال:

١-- سياسة الرئيس الأمريكي باراك اوباما- الجديدة- في العالم وفي الشرق الوسط تحديدا.

٢-- سياسة الرئيس الروسي- فلادمير بوتين- الجديدة- في العالم، وفي الشرق الأوسط تحديدا.

الوضع العام في العالم- اليوم- والاضطراب الكبير- في الشرق الأوسط تحديدا.

ترى: هل هذا ممكن، مع- الفقر- الذهني والفكري والأخلاقي والمعرفي الملاحظ في عالمنا المعاصر.

٢٠١٦/١/٢٣

المهارة الحرفية في الأمور السياسية:

لن- أغامر- وأقول: إنني ضد، أو مع، سياسة الرئيس الأمريكي باراك أوباما في الشرق الأوسط، ولن- أفتي- فيما إذا كانت هذه السياسة- شرعية- أو أنها- لا تصح شرعاً-، ولكنني كـ- مراقب- لسياسته في هذه المنطقة من العالم، ألاحظ: الواقعة = الحقيقة التالية:

لقد جاء البروفسور في علم السياسة والقانون الأستاذ الدكتور- باراك أوباما إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية منذ ثماني سنوات، تنتهي بنهاية هذا العام- ٢٠١٦- وأمريكا- تملك- في الشرق الأوسط ثلاثة- حلفاء استراتيجيين حتى العظم- وهم اسرائيل وتركيا والمملكة العربية السعودية، لكنه سيغادر منصبه والولايات المتحدة الأمريكية على خلاف، باطن ومعلن، مع هؤلاء الحلفاء لبلاده منذ خمسينيات القرن العشر ين، وإلى اليوم.

ما رأيكم- دام فضلكم- بهكذا رئيس يؤدي هذه- الخدمة- لبلاده، أيا كانت هذه البلاد؟

لست مشفقا- أو متعاطفاً- على، أو مع أمريكا، أو حلفائها في الشرق الأوسط، لكني اسأل هذا السؤال من وجهة نظر- مهارة وحرفية وتقويم الأداء السياسي- للرئيس أوباما خلال فترة تولية مقاليد أهم وأقوى دولة مؤثرة في العالم الذي نعيشه، ومنه، بطبيعة الحال، الشرق الأوسط.

٢٠١٦/١/٢٧

يوميات قارئ:

- وقس الحاضر- ٢٠١٦-- على ما ستقرأ تالياً من هذا- الماضي- ١٨٤٤-:

"إن الدول الأوروبية الغربية الكبرى الراعية لسورية قد اختارتها لتكون ميداناً لحرب سياسية أبدية، وبينما لا تبدي هذه الدول من الاهتمام بخير شعب سورية أكثر مما يبدي اليابانيون من الاهتمام بتجارة الولايات المتحدة الأمريكية، فإنها تركز كل اهتمامها حصراً على ما يمكن أن تجنيه من منافع خاصة يجلبها لها ولاء الطوائف السياسي وتساهل الحكومة المحلية الاضطراري. ثم إن هؤلاء الأوروبيين، المتنورين المحبين للإنسان يجعلون، وهم يتنافسون فيما بينهم، يجعلون من السكان المحليين المتخلفين أداة طيعة لتحقيق مآربهم ومكائدهم، إذ يضعون هذه الطائفة أو تلك تحت حمايتهم الخاصة، ولا يكفون أبداً عن تقويض ما بين هذه الطوائف من سلم ووفاق، ولا عن تأجيج لهيب العداوة فيما بينها، ولا يفكرون إلا بالسيطرة على البلاد واحتلال موقع الصدارة في نظر الناس والسلطات. "

نفلا عن كتاب: سورية في رحلات روسية خلال القرن التاسع عشر.

من يوميات مسافر زار سورية وفلسطين (١٨٤٤- ١٨٤٧)

تحرير وترجمة: د. نوفل نيوف- د. عادل اسماعيل- دمشق ٢٠٠٩

ومع الأسف الشديد، فان وزارة الثقافة السورية، وهي ناشر هذا الكتاب، الطريف والهام، سحبته من الأسواق والتداول فور صدوره.

٢٠١٦/٢/٢٤

فن تضييع الفرص التاريخية عند الشعوب العربية:

التاريخ مثل الحظ، ومثل أوراق اليانصـــيب، قليلاً ما يكون كريماً ومواتياً، ومع ذلك فقد كان هذا التاريخ كريماً ومواتياً مع العرب في المائتي سنة الأخيرة- القرنان التاسع عشر والعشرون- فقد أعطاهم الفرص = الحظوظ =الظروف التاريخية و الدولية المواتية الأربعة التالية التي ضـيعوا ثلاثاً منها- مثلما بذروا النفط سـفاها-، وها هم في أتون الفرصة الرابعة.

وهاكم دعواي، أو هذه الفرص المضيعة:

١. تجربة وفرصة محمد علي التحديثية في القرن التاسع عشر، بالتزامن مع الثورة الصناعية العالمية آنذاك، ، والتي انتهت بالاحتلال الانكليزي لمصر عام-١٨٨٢-

٢. تجربة وفرصـــة الانســلاخ عن الإمبراطورية العثمانية، ومحاولة بناء الدولة العربية، والتي انتهت بتمزيق بلاد الشام واحتلالها مع العراق، عقب الحرب العالمية الأولى.

٣. تجربة وفرصـــة الدولة الوطنية المســتقلة بعد خروج الاستعمار، وتسلم أحزاب ما سمي- حركة التحرر الوطني العربي- الحكم عقب الحرب العالمية الثانية، والتي انتهت إلى الدولة الاستبدادية التي تعرفونها جيدا.

٤. تجربة وفرصـــة- الربيع العربي-، أو ما يحدث الآن من ثورات ومورات وثورات مضادة، والتي لا اعرف- مثل غيري، ربما- إلى ما ستنتهي إليه، على أمل الخير على المدى الطويل.

فبكم- بربكم- من الفرص والظروف والأوراق الرابحة التي يمكن للتاريخ ان يجود علينا بها لنضيعها؟

ملاحظة: سيتهم كثيرون الاستعمار ومؤامراته فيما حدث ويحدث، لكن- بالله عليكم- دعونا من هذا الهراء.

٢٠١٦/٥/٢٦

بشرى غير سارة، لكنها طبيعية ومنتظرة:

يبدو أن التجربة التركية السياسية بقيادة حزب العدالة والتنمية، والذي هو بقيادة السيد رجب طيب اردوغان قد بدأت رحلة العودة النادمة من هذه الطارئة:- الديمقراطية الغربية سيئة الصيت-، إلى حسن- السمعة-: الاستبداد الشرقي العتيد.

ربما يكون في هذه الرحلة الجديدة جواب لدى دعاة الإسلام السياسي، أو أنصاره من- إخواننا العلمانيين- أنصار فكرة أن هذه النبتة الآثمة، أو المحرمة مثل- الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله- أعني الديمقراطية، ولم أكن منهم في يوم من الأيام، تستطيع أن تنمو في، أو لدى مثل هذه- التشكيلات الدينية السياسية-.

آمل أن يفيق هؤلاء من مراهنتهم = أوهامهم حول قابلية الإسلام السياسي وطبعاته العربية والتركية والإيرانية لمثل هذه- الأوهام-.

يبدو أن السيد اردوغان يفضل أن يكون- سلطاناً إلى الأبد- بدل أن يكون رئيسا- ديمقراطيا- لفترة سياسية محددة.

٣٠/٥/٢٠١٦

عصر الابتذالات الكبرى:

يسمي- طيب الذكر والفكر المؤرخ- اريك هوبسباوم- القرن العشرين بـ:

عصر التطرفات الكبرى.

ربما يستطيع المرء أن يقترح اسما آخر لهذا القرن وهو: عصر الابتذالات الكبرى، في سبيل- دعم الحجة- لهذه التسمية- الناقمة- إليكم بعض ما ابتذله هذا القرن المرحوم:

- في هذا القرن ابتذلت، بل انحطت الفكرة القومية والوطنية حتى أدت إلى ظهور النازية والفاشية.

-وفي هذا القرن- كذلك- ابتذلت الاشتراكية حتى صارت بيروقراطية وسجنا كبيرا للشعب.

-كذلك ابتذلت وانحطت الماركسية إلى مستوى الستالينية.

- في هذا القرن ابتذلت فكرة الثورة واسمها إلى مستوى الانقلاب العسكري، كما في بلادنا العربية، أو الثورة الإسلامية في إيران.

- في هذا القرن- أيضاً- ابتذلت فكرة الحرية إلى مستوى الاحتكارات العالمية وحرية القوي في السطو على الضعيف والفقير أمما وشعوبا.

هل تريدون أمثلة أخرى؟

يكفي- يا رجل- تعداد الصفات السلبية للقرن الذي كان هو حياتك، ألا توجد صفات- ايجابية، يا ترى؟.

سامح الله القرن العشرين، وسامح الشاعر التركي ناظم حكمت القائل:

إنني من القرن العشرين، وأنا فخور بذلك.

١٠/٦/٢٠١٦

هاريكري تركي:

ربما لأن العلمانية والأتاتوركية والديمقراطية البرلمانية أنقذت تركيا من نتائج اتفاقية سايكس- بيكو- سازانوف، ولولا ذلك لحصل لتركيا ما حصل لأخوتها العرب من استعمار أوربي، مثلما أنقذها ما تقدم من الاستبداد العثماني وخلافة القرون الوسطى، ووضع تركيا على خطى الدولة الحديثة والتنمية الاقتصادية، فإن السيد رجب طيب اردوغان وحزبه ربما يريدان- المزاودة- على الشقيقة إيران في العودة إلى الماضي الديني- الاستبدادي، والتخلي عن كل انجازات تجربة تركيا السياسية- الحداثية.

انها- فيما ارى- عملية انتحار- على طريقة الهاريكاري اليابانية-.

ولله في سياسييه وأحزابه الشرق أوسطية شؤون. . وشجون.

١١/٦/٢٠١٦

وردة للمختلف :

أيها السيدات والسادة الغاضبون:

- كان فرنسيس بايكون سياسيا متلونا، وقاضيا ليس فوق الشبهات، ومع ذلك فهو احد بناة الفكر الفلسفي والعلمي الحديث وتفخر به بريطانيا والعالم.

- وذات مرة، بعد الحرب العالية الثانية، طالب برتراند رسل بضرب الاتحاد السوفيتي بالقنابل الذرية لوقف المد الشيوعي، كما قال، ومع ذلك هو من تعرفون في مقاومة الحرب والسلام إنسانياً وعالمياً وفلسفياً، ولا احد يستطيع التقليل من أهميته.

- وكان ألبير كامو معارضا لاستقلال الجزائر، ومع ذلك هو من أفضل كتاب القرن العشرين.

- وكان ت. س. اليوت من أهم شعراء ومثقفي القرن العشرين، لكنه كان رجعياً في السياسة والدين.

- وكان معلمه ازرا باوند فاشيا صريحا، ومعاديا لبلده أمريكا، ومع ذلك من يستطيع إنكار أهميتهما؟

- وقل القول نفسه عن اشبغلر وهيدجر. .

هل تريدون ان تطول القائمة أكثر؟ ذلك سهل ولا معنى له لأن المقصود والمهم من هذه القائمة هو حق كل كاتب ومفكر وإنسان في إعلان الرأي الفكري والسياسي والديني الذي يرتئيه، حتى ولو خالف الآخرين، أو خالفه الآخرون في ذلك الرأي.

ربما لهذا أرى- فيما أرى، يا رعاكم الله، أياً كان رأي أحدكم:

لا يختلف عن جدانوف وعلي عقلة عرسان وغوبلز و آيات الله في إيران ومفاتي الإخوان المسلمين، وزعيم العصابة، وشيخ العشيرة، من حيث التفكير، أولئك الذين يدينون، ولا يتفهمون، موقف، أو رأي كاتب أو مفكر، أو إنسان آخر، أياً كان الخلاف معه، وإن طاول هذا الخلاف-

المقدسـات-، مع العلم أن لا- مقدسـات- في الفكر أو العلم، فما بالك في السـياسـة، وأياً كان رأيه، وحتى لو تدثر هذا الخلاف بالرداء الفكري والديني، فما بالك بالخلاف السياسي !

أما لماذا يقف أكثر هؤلاء مع حرية سـلمان رشـدي في الكتابة والرأي- مثلاً- ويقفون- اليوم- منددين بـأمين معلوف وقبلـه بمحمود درويش، ونجيب محفوظ وأدونيس، متجلببين بعباءة- إسـرائيل-، فتلك ما عادت ازدواجية، إنها- بصريح العبارة:

- انتهازية وقلة نزاهة وضيق ومخاتلة في التفكير.

أما- التخوين- فهو الصيغة- الوطنية- القومية-: للتكفير.

٨/٦/٢٠١٦

١- - المشـاركون في الحروب الأهلية والثورات، وربما في هذه الحيـاة كلهـا، مثـل راكبي الأمواج في المحيطـات، يظنون أنفسـهم يمتطون أعـالي الأمواج والريـاح، ويسـوقونهـا في نزهـاتهم، بينمـا- الحقيقة = الواقع، أن هذه الأمواج والرياح هي التي تسـوقهم وتأخذهم إلى حيث تذهب هي، أو إلى حيث تشاء.

٢- كل الأسـئلة مباحة ومشـروعة، أما أكثر الأجوبة فلا أعرف ماذا أقول عنها.

٢٤/٦/٢٠١٦

[- -١ليس هناك من وسـيلة في الدنيا أقوى من الضـحك لمواجهة كل العالم والقدر، إن أقوى عدو يرتعب أمام هذا القناع السـاخر، والشؤم بنفسه لسوف يتراجع إن تجرأت على السخرية منه، وهل من شـيء آخر غير الشيطان والتهكم والسخرية تستحقه الأرض إذن، مع تابعها العاشق- القمر-.

-–٢ إن السلطة السائدة، والحقيقة السائدة لا تريان نفسيهما في مرآة الزمن، كما لا تريـان نقطـة انطلاقهمـا، حدودهمـا ونـهايتهمـا، وجهـهـا الشائخ والسخيف. وغرابة نشدانهما للأبدية.]

- من كتاب: ميخائيل باختين- أعمال فارنسوا رابليه والثقافة الشعبية في العصر الوسيط وإبان عصر النهضة-

ترجمة- شكير نصرالدين، منشورات: دار الجمل- ٢٠١٥

٢٠١٦/٧/١٠

الوعود الأساسية للثورات السياسية :

كانت الوعود الأساسية للثورة البرجوازية الفرنسية هي: الحرية + العدالة + المساواة.

وكانت الوعود الأساسية للثورة البلشفية الروسية هي :

الأرض + التصنيع + لاشتراكية.

أما الوعود الأساسية، واسمحوا لي هنا ان اضع كلمة- ثورة- بين قوسين، للـ (ثورة) الإسلامية في إيران فكانت، او هي :

١-- المهدي المنتظر.

٢-- الولي الفقيه.

٣ -- الثأر لرجل، أو أسرة قرشية لم تستطع منذ أكثر من ألف عام أن تصل إلى منصب الخلافة.

من جهتي، ليس لي أن أقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٠١٦/٧/١٧

يوميات كاتب

أمل:

شخصياً، آمل أن يعتبر السيد رجب طيب اردوغان أن خروج الشعب التركي ضد الانقلاب العسكري كان- تصويتاً وانتخاباً- للديمقراطية، وليس لحزبه، أو لشخصه الكريم، وبالتالي أن يراجع-

عميقاً- مشروعه الاستبدادي الذي يعمل عليه منذ زمن بعيد، و إلا فلن يختلف شخصه، أو حكمه عن حكم العسكر المنقلبين عليه في شيء، وربما يضطر الشعب التركي للنزول إلى الشارع مرة، أو مرات أخرى.

٣/٦/٢٠١٦

نحن عند سوء ظنكم بنا :

كأني بالسيد رجب طيب اردوغان وحزب العدالة والتنمية = طبعة- طبق الأصل- للإخوان المسلمين العرب، وبالسيد علي خامنئي ورهطه من آيات الله = طبعة- معدلة ومزبدة نحو الأسوأ- من الإخوان المسلمين العرب والأتراك، يريدون أن يقولوا لناقديهم، فكرا وعملا، ومن مختلف الأنواع :

تسيئون الظن بنا وتتهموننا بالتخلف عن العصر وبالاستبداد الشرقي؟

حسنا، ليكن، وسنثبت لكم حقيقة سوء ظنكم بنا، وحقيقة كذبكم عنا.

٢٠١٦/٧/١٩

توضيح:

كتبت تدوين- أمل- أمس عن الأمل في أن يتجه السيد رجب طيب اردوغان نحو العودة عن مشروعه الاستبدادي بدل الديمقراطية في الحكم، لأنني- كنت وما زلت- مقتنعا بنزعة اردوغان- والإسلام السياسي عموماً- نحو الاستبداد، بل والفاشية، وهذا ما أوضحته في مدونات سابقة للحدث التركي الأخير، وقد أعدت- أمس- نشرها للتذكير و- التحذير-، لكن طريقتي في الكتابة والتفكير هي:

حاول أن ترى احتمال، وان تعمل حسب مبدأ:- الأمل-، ولا تنعب- كالبوم، وهو رمز الحكمة عند الإغريق- ولا تبشر بالخراب- الحتمي- ، فالتاريخ، في نظري، هو- أفق احتمالات-، وليس طريقا أحادي الاتجاه، وربما كان من الأفضل، على الرغم مما نعتقد ونرى وتشير

إليه اتجاهات الأحداث والأفكار، أن نعمل و- نظهر- أن هناك احتمالات أخرى ممكنة- وأفضل-.

٢٠١٦/٧/٢٤

يوميات كاتب:

الإحساس بالتاريخ، والإحساس بالحاضر والمستقبل:

على الأغلب، لا يمكننا فهم الحاضر- الواقع، وربما المستقبل، دون معرفة الماضي وفهمه وتمثله، لكن فهم الماضي وتمثله لا يعني- بالضرورة أن نظل- مرابطين- أو أن نبقى عائشين فيه، أو أن نعود إليه، أو أن نوقفه، أو- نجمده-، فهم الماضي وتمثله يعني- بالنسبة لي على الأقل- هو ما يمكن تسميته: الإحساس بالتاريخ.

على سبيل المثال: نحن نحترم ونتذكر بالخير بعض الأفكار والشخصيات- التاريخية- لكن ذلك لا يعني أن نقف عندها، أو أن نعود إليها، أو أن- نؤسطرها و نصمننها-، وإذا كنا- نفهمها ونحبها- حقاً- لأنها فعلت عكس هذا بالضبط، إننا نقدرها لأنها عبرت عن، ومثلت- مطالب وحاجات زمنها ومكانها، فكانت منسجمة مع لحظتها- التاريخية، ولم تكن تعبر عن ماضي مرحلتها الزمنية، فهم و- نحن أيضاً- لا يمكن أن نسبح في النهر مرتين، مثلما لا يمكن للمياه نفسها أن تجري تحت الجسر الواحد مرتين، فدائما تتغير المياه والجسور والبشر والطبيعة.

على سبيل المثال- أيضا- :

أحب وأثمن- عاليا- من السياسيين السوريين- التاريخيين حقا- الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وخالد العظم للأسباب المشروحة أعلاه، لكن ذلك لا يعني أن أفكر عام- ٢٠١٦- مثلهما.

هذا مثال من عالم السياسة، ومن حقل الأدب مثال آخر: إنني أحب- جداً-: أبا حيان التوحيدي والمعري وطه حسين يحي حقي، من العرب، ومن الأوربيين والأمريكان اللاتين: تشيخوف والبير كامو وبورخيس وايتاليو كالفينو، لكن ذلك لا يعني أن أقلدهم، ناهيك عن عجزي، أو استحالة ذلك.

أتذكر في هذا المجال مقالة- ت- س- اليوت:-التقاليد والموهبة الفردية- وخلاصـــتها أن كل موهبة فردية- في كل الأجناس والفنون الأدبية- هي اســـتمرار لتراثها وللتراث العالمي، وهذا لا يتناقض مع إعجابي بـ- صرخة- جون اسبورن:- أنظر وراءك بغضب-، بل- ربما يوضحه ويعمقه، يوضح ويعمق طريقة فهمي للتاريخ، ولـــ- الإحساس التاريخي-

٢٠١٦/٧/٢٤

يوميات قارئ:

- ولن أترك أحدا يقنعني بترك الأمل في هذه اليوتوبيا، مجتمع لا نفعية فيه ولا طبقات-

الكاتب الألماني- هنريش بول-

بالنسبة إلي كعربي، ربما تكون يوتوبيايا هي :

مجتمع لا اســتبداد عســكرياً، أو مدنياً واو دينياً، وأنا- شــخصــياً، كمواطن إنساني وعربي وسوري-:

لن اترك أحدا، أو ظرفا تاريخيا، يقنعني بترك الأمل في هذه- اليوتوبيا العربية-

٢٠١٦/٨/١٦

-١- يوميات قارئ:

من بردون إلى كارل ماركس :

- إلى السيد ماركس:

. . . لنبحث معاً، إذا سـمحت، عن قوانين المجتمع وعن الصــيغة التي تتحقق فيها هذه القوانين، وعن مدى التقدم الذي نتوصـــل بموجبه إلى اكتشـــافها. ولكن، بالله عليك، يجب أن لا تفكر بعد أن دمرنا كل العقائديات القبلية بأن نخضع الشعب بدورنا إلى عملية تبشير. لنتجنب الوقوع في التناقض الذي وقع فيه مواطنك مارتن لوثر الذي شرع، في

الحال، بعد أن أسقط المذهب الكاثوليكي في تأسيس المذهب البروتستانتي مستعينا بالحرم واللعنات. . علينا أن لا نجعل من أنفسنا، ونحن على رأس الحركة، رؤساء لتعصب جديد، وأن لا نضع أنفسنا موضع الرسل لديانة جديدة، ولو كانت هذه الديانة دين المنطق والعقل. علينا أن نصغي لجميع الاحتجاجات وأن نشجعها. لننَدد بكل حرمان- المقصود حرمان الكنيسة. م. ك، خ.- وبكل- صوفية. علينا أن لا ننظر مطلقاً إلى أية مسألة على أنها منتهية.

بهذا الشرط أدخل مسروراً في شركتك وإلا فلا.-

من- رسالة إلى ماركس في- ١٧- أيار- ١٨٤٦-

نقلاً عن كتاب: مؤلفات بردون- جمع وترتيب: حان بانكال- ترجمة- عمر شخاشيرو منشورات وزارة الثقافة- دمشق- ١٩٦٩- سلسلة- اصول الفكر الاشتراكي- ٢-

-٢- كتابة على هامش كتاب :

كتب المفكر الاشتراكي الرائد- برودون- كتابه المعروف- فلسفة البؤس- فرد عليه- منافسه- كارل ماركس بكتابه الشهير- بؤس الفلسفة-، وعندما قرأ- بردون رد غريمه على كتابه، كتب على هامش النسخة التي قرأها من الكتاب هذا التعليق = الجواب:

- إن ماركس أصابته في الواقع الغيرة. . والمعنى الحقيقي لكتابه هو أسفه على أن تفكيري في كل مكان- = موضوع، م. ك. خ- مماثل لتفكيره، وأنني قلته قبله.-

ناهيك عن الطرافة في هذا الرد الساخر، فقد يكون فيه- بعض- من الحقيقة، فيما أرى.

م. ك. خ.

٢٠١٦/٨/١٧

- يوميات قارئ-

- خريف الدوغمائي، أو: خريف البطريرك-:

- ومن هنا جاء التسامح الريناني والاعتدال الفلسفي وعدم اطمئنان رينان لأهل الشغب والتشدد والصلابة، وهذا ما حداه على أن يسخر من القديس بولس تلك السخرية الرقيقة المهذبة التي لا أملك أن أقاوم الإغراء على نقلها هنا، وهو قوله في كتاب- ضد المسيح-:

] قضى القدر الغيور أننا في مسائل كثيرة من المسائل التي تثير اهتمامنا لا نستطيع أن نخرج من الظل المظلم حيث تقيم الخرافة، ولنكرر هنا مرة أخرى أن مسالة موت الرسولين بطرس وبولص لا يفصل فيها سوى الفروض. سيما موت بولص فإنه ملفوف في الغموض، وبعض العبارات الواردة في سفر الرؤيا المكتوب في آخر سنة- ٦٨- أو أوائل سنة- ٦٩- ميلادية تجعلنا نميل إلى التفكير في أن مؤلف هذا الكتاب كان يعتقد أن بولص كان حيا عند كتابة كتابه، ومن المستحيل أن تكون خاتمة الرسول العظيم مجهولة كل الجهل، وقد يكون طاح به المرض أو أهلكه الغرق أو قضى نحبه في حادثة أخرى أثناء الرحلة الغريبة المعزوة إليه في بعض النصوص، ولما لم يكن حوله احد من تلاميذه النابهين لذلك ستظل تفاصيل موته مجهولة، وإن كانت قد أتمتها الخرافة، وفي الحق أن فكرة الموت الغامض يمضي بالرسول الصحاب ما تستروح به النفوس. وبوسعنا أن نتصور بولص قد غلبه الشك وأدركه الغرق مهجوراً، قد خانه رفاقه واحتواه اليأس،

ويسرنا أن نعلم أن الحيرة قد عادت إليه مرة ثانية، وأن ارتيابنا الرقيق ليثأر لنفسه بعض الثأر لو أن أشد الرجال تشدداً في عقيدته مات مسلوب الأمل على شاطئ أحد الأنهار، أو في أحد طرق اسبانيا وهو يقول :

-لقد أخطأت-]

من مقدمة الأستاذ علي ادهم لترجمته لكتاب- ارنست رينان-:

محاورات رينان الفلسـفية- دار العصـور للطبع والنشـر- القاهرة- ١٩٢٩-

ملاحظة: عنوان هذا التدوين- خريف البطريرك- من وضــعي- م. ك. خ-، ولا يخفى انه- تنويع- على اســم رواية معروفة لغابرييل غارسيا ماركيز.

يوميات

٢٠١٦/٨/١٨

- من كتاب:

الفكر والتاريخ، يتناول هذا البحث الضمير التاريخي في أدب القرن العشــرين- تأليف: بيير هنري ســيمون- عربه: الدكتور: عادل العوا- راجعه الدكتور: نور الدين حاطوم- منشورات: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية- دمشق- ١٩٦٣-: صدرت الطبعة الفرنسية الأولى للكتاب في باريس عام- ١٩٥٤-

[١-- والحق أن صــخب القرن العشــرين علمنا بالأمس، وما يزال يعلمنـا كل يوم، أن للحوادث جوازا- بمعنى: حريـة. م. خ- لا يمكن التنبوء به، وأن المدنيات ضــعيفة، وأن القوى الثورية ذاتها ســريعة الوهن، وأنها قد تحقق، بلا ريب، انقلابات عظمى في قوانين الدول وفي أخلاق الشعوب، ولكنها لا تحسن البتة معرفة أين تذهب بانحرافها الكبير عن مشـاريعها، وتعود سـريعا إلى تقاليد الأنظمة التي هدمتها.- ص- ١٩٩-

- ٢- ولو فرض علينا أن نجتاز إحدى الحقب المشــؤومة التي لا يؤثر في التاريخ خلالها إلا إرادات التسـلط العمياء، وحيث يقود الرياء والعنف والحمق الحوادث فيذهل من ذلك أنصـــار الفكر الحر وتثبط هممهم ويمكثون على شـفا الطريق، فإن من الواجب، أيضـا، ألا نيأس. ذلك أن تحت التاريخ الصــاخب الذي يصـنعه الرؤسـاء والمشـرعون ورجال الشرطة والجلادون يوجد تاريخ آخر، تاريخ سري نقي تنسجه الحياة ا لخاصـــة لملايين البشــر الذين يعملون بصـــمت ويتأملون

ويبـدعون آثـارا ويربون أطفـالاً وينقـذون، على الأقـل، في ذواتهم، ويجمعون طاقات روحية لا يزال في وســـعها تبديل العالم.] ص-٢١٨- من: الخاتمة.

٢٠١٦/٨/٢٤

- -٢٠١٦ -١٩١٦

- حتى لا يعيد التاريخ مسرحيته. . إن أمكن-

في عام- ١٩١٦-، وفي خضم الحرب العالمية الأولى وضع كل من الثورة العربية- الشريف حسين ورهطه من القوميين العرب- والحركة الصـهيونية، يدهم ومصـيرهم وحلمهم في يد الحلفاء آنذاك- بريطانيا + فرنســا-، فكانت النتيجة المؤلمة المعروفة خلال الــــــ ١٠٠- عاما المنصــــرمة: من تمزيق وحروب بين العرب أنفســـهم، وبينهم وبين إسرائيل.

اليوم، في عام ٢٠١٦-، وفي خضم هذه الثورات = الحروب الأهلية العربية، يضــع كل من الأكراد والعرب يدهم ومصــيرهم وحلمهم بيد- حلفاء اليوم: أمريكا + روسيا- على ما يبدو.

تساؤلي هو، حتى لا يعيد التاريخ نفسه ومسرحيته المؤلمة وباهظة التكلفة، إن أمكن:

هل ستكون النتيجة الجديدة القادمة أفضل من نتيجة الحرب العالمية الأولى منذ- ١٠٠- عام، أي :

عودة إلى حروب وصراعات مؤلمة ومريرة أخرى؟

ثم :

أما آن لشعوب وبشر هذه المنطقة، من العالم، أن ترتاح؟

٢٥/٨/٢٠١٦

ـ عن الفترة العثمانية في البلاد العربية-:

ـ -١٩١٦ -١٥١٦

ـ هناك خطأ شـــائع ومقصــــود في الأدبيات القومية العربية، وهو وصـف الأتراك بالمستعمرين، أو وصـف الفترة العثمانية في المنطقة العربية بالفترة الاســـتعمارية. وواقع الأمر أن العثمانيين هم إحدى الأســـر المســـلمة الحاكمة في الإمبراطورية الإســـلامية، مثلهم مثل العباسـيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك، ولا يمكن وصــف الفترة العثمانية بالفترة ألاستعمارية إلا إذا وافقنا على وصـف فترات الأسـر الأخرى، وليســـت كلها عربية، كالأيوبيين الأكراد والمماليك مختلفي المنابع، بالفترات الاســـتعمارية كذلك، وأظن أن تلك فكرة لا يقبلها المفكرون القوميون- العرب-، لكن يلاحظ أن فكرة القوميين عن- الاستعمار العثماني- هي من باب تفسير الماضـي بالحاضـر، ليس إلا، وإسقاط عصر- اللاحم القومي- على زمن- اللاحم الديني-، وهذا خطأ علمي ومنهجي ظاهر.

الأقرب إلى الصـــواب- على ما يبدو- أن الدين الإســـلامي كان هو اللاحم الاجتماعي والعقائدي لهذه المجموعات البشـــرية التي كانت تعيش في منطقة ونفوذ الحضارة الإسلامية إبان توسعها، وعندما وهن هذا اللاحم، وضـعفت أهميته، عبر التاريخ، كعاقد اجتماعي اثر ظهور البرجوازية وفكرتها عن السوق والدولة القومية، وامتدادها إلى الشرق تفتت هذه الإمبراطورية- العثمانية-، كما تفتت إمبراطورية شـــارلمان المسيحية- من قبل-

ثم أنشـــأ الأتراك- بزعامة وجهود كمال أتاتورك-، مما تبقى من الأملاك الإمبراطورية الســـابقة، في مركز الإمبراطورية الإســـلامية- الأناضـــول واســـطنبول وما حولهما- دولتهم القومية، وهذا كان انجاز كمال أتاتورك- ١٨٨١، ١٩٣٨- بينما طمح وعجز العرب عن تشكيل دولتهم القوميـة على النمط ا لقومي الأوربي- الأتـاتوركي عبر ثورة الشريف حسين عام- ١٩١٦-، وما بعدها.

من كتاب- وردة أم قنبلة-: إعادة تكوين سورية.-. منشورات: ٢٠٠٢١، دمشق- ٢٠٠٦-

٢٠١٥/٩/١٠

كما تعرفون، في كل اللغات، ولدى كل الأفراد بعض الجمل الجاهزة التي لا تعني شيئا، يسميها اللغويون- متكآت لفظية- يرددونها أثناء الحديث دون أن يعنوا- حقا- مضمونها، مثل: زيي ما أنت عارف يا بيه. يعني، يعني. أيوه هيك. كما لا يخفاكم. يا سيدنا ملا أنت الخ.

مؤخراً انتشرت في اللغة الدبلوماسية العالمية بعض هذه الجمل- المتكآت اللفظية- التي لا تعني شيئا، أو- حقا-، أو على الأقل هي لا تعني شيئا لمن يقولونها.

من هذه المتكآت اللفظية قول كل المتحدثين العالميين، لاسيما وزراء الخارجية، في الشأن السوري هذه العبارة- الخالدة- التي لا تعني شيئا- إلا- ربما- عكسها- :

نحن ضد التدخل الخارجي في الأزمة السورية.

شخصيا بلغت حساسيتي الكاريكاتورية من هذا التصريح- الخالد- أنني إذا سمعته من فم عجوز في-ثلوج الآسكيمو- فإنني اهمس في نفسي: ها هو- متدخل- آخر- وبكامل سلاحه- في الموضوع.

٢٠١٦/٩/١٠

لسنا نحن، لكنه زمننا الذي يكتب:

أواسط الثمانينيات من القرن المنصرم كنت أفكر بكتابة رواية- من داخل- وعي شخصيات عاشت انهيار عالمها بانهيار السلطنة العثمانية، فبدأت بقراءات ما لبثت أن أصبحت، أنا،- أسيرها-، وأصبح موضوعها غايتي، بعد أن بدأت بها على أنها- وسيلة-، وهكذا بدأت أكتب عن عصر النهضة، تحت ضغط الإحياء السلفي- الديني الذي كنت ألاحظه آنذاك مع مجموعة من أصدقائي.

وهكذا- طارت- الرواية والروائي من المشروع.

في عام-٢٠١١- كنت أخطط لكتابة كتاب عن- الرقص الشـــرقي- وفن الرقص والتمثيـل و الغنـاء عمومـا، كمظهر من مظـاهر حريـة الجسـد، وبالتالي الفكر، وإضـفاء القيمة والكرامة على الفن عموما في عصر النهضة العربية، وكان العنوان المؤقت:- من-الجارية- العالمة، أو- الأرتيست-إلى السيدة المحترمة.

كنت أفكر بلقب الســيدة الذي بات يطلق بحق واحترام على بديعة مصــــابني وفيروز وأم كلثوم وفـاتن حمـامـة وأمثـالهن. جمعت كل المصــــادر الممكنة، ومنها ما هو نادر ومكلف من كتب وتســجيلات ووضــــعت مخططا للبحث، لكن الذي بدأ الكتابة كان ما حدث في سورية، وليس- الرقص الشرقي.

- وهكذا انتقلت من-رقصـــي الشــرقي- إلى كتابة كتاب- المأســاة الســـورية: مائة عام من العذاب- ٢٠١١- محاولا فهم ما يحدث في ســورية، ثم بعد ذلك انتقلت من الكتابة عن المأسـاة إلى عيشـها، وهذا، على ما يبدو، رقص شرقي من نوع آخر

. كما ترون، لســـنا نحن الذين نختار مواضـــع أعمالنا وكتاباتنا، وربما مصـــائرنا- في كثير من الأحيان على ما يبدو- لكنه الزمن الذي نعيش هو من يتكفل بذلك، هذا إن كنا من أبنائه حقا، ولســـنا مجرد- أولاد حرام- على حد تعبير طيب الادب والفكر- شكسبير- القائل-: إن هو إلا ابن حرام لعصره من ليس مذاقه الرؤية والمشاهدة.

ملاحظة وتوضيح في ١٠ - ٩ :٢٠١٦

مؤخرا عرفت أن أصــل قول ايزنشــتاين أعلاه-- لســنا نحن الذين تصــنع ســينمانا، لكن الزمن الثوري هو الذي يصــنعها ويصــنعنا- هو عبارة وردت في مســرحية- الكاتب الألماني من القرن التاسـع عشـر: جورج بوشــنر، - موت دانتون-: يقال أننا نحن الذين صــنعنا- الثورة-، ولكن- الثورة- هي التي صنعتنا نحن أنفسنا- والثورة المعنية هنا هي الثورة الفرنسية.

٢٠١٦/٩/١٢

- مجمعات ومجمعات-

في الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما يحال بعض العسكريين النافذين على التقاعد، فان بعض الشركات الصناعية، خصوصا شركات الصناعات العسكرية، سرعان ما تضمهم إليها، وكأنها تقدم لهم مكافأة على- خدماتهم السابقة- لها بالطبع-، وهذا ما سماه بعض المحللين بـ- المجمع الصناعي- العسكري.

في بعض بلادنا العربية، وعندما يحال بعض العسكريين على التقاعد، سرعان ما تضمهم إليها، أو ينضمون إلى: المؤسسة الدينية- المذهبية، ليشكلوا، على ما يبدو- مكافأة لهم على- خدماتهم السرية السابقة- نوعاً جديدا هو:- المجمع العسكري- الديني.

- صناعة- ومهن ومجمعات جديدة تليق فقط- بمجتمعات لم تدخل بعد- العصر الصناعي- لسوء الحظ، أو سوء- التاريخ ومؤامراته- على ما يقولون.

لا حول ولا قوة إلا. .

٢٠١٦/٩/١٣

- هذه المطاطة-

معروفة هي النكتة التي تتحدث أن رجلا ساذجا قال:

اخترعوا الصاروخ. . فهمناها. . اخترعوا التلفزيون. . فهمناها.. اخترعوا التلفون. . فهمناها. . اخترعوا. . واخترعوا. . واخترعوا. . وفهمناها. . وفهمناها. .

أما ما لم افهمه فهو شقفة المطاطة هذه. ، مطها تنمط، اتركها لا تمط؟

بالنسبة لي- شخصيا-، وعندما أفكر بإيران- وتابعها حزب الله، بالضرورة،- أجد نفسي في موقف الرجل الساذج- إياه: التعجب من عجيبة المطاطة إياها-، فأقول مخاطبا نفسي :

يتدخل الأمريكان. . أفهمها. . الحروب الميدية بين كسرى واليونان في القرن الخامس قبل الميلاد. . أفهمها. . الحروب بين الرومان والفرس طوال الألف سنة التالية.. -حروب المشرق والغرب آنذاك- . .أفهمها، الحروب بين المسلمين والدولة الكسروية أيام الإسلام الأولى. . افهمها، و أفهم التدخل العسكري الروسي الحديث لأنني اعرف- جيدا- تاريخ- الرجل المريض- و تاريخ وتطورات- المسالة الشرقية-، الحروب بين العثمانيين والصفويين. . أفهمها. . أفهمها كذا، وكذا، أفهمها و. . أما:

. . أما ما لا فهمه فهو تدخل إيران، والأغرب تابعها اللبناني، وتبجحهم بالسيطرة على أربع عواصم عربية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين تحت راية- حماية الأماكن المقدسة-،- وهي حجة وراية الفرنجة للهجوم على بيت المقدس والمنطقة البيزنطية والعربية في القرن العاشر الميلادي- أو- الثأر للحسين، أو السيدة زينب.

حقيقة ما عدت استطيع أن افهم هذه- المسألة الشرقية الجديدة-، وربما- على الأصح- أنني لا أريد أن افهم، لأنني- على الأغلب- إذا فهمت، فسأكتب، أو أتحدث بطريقة أخرى.

٢٠١٦/٩/١٧

- يوميات كاتب-:

- الدروس التطبيقية المستفادة من قراءة الروايات البوليسية الخيالية-:

فيما مضى، ومثل كثيرين من أصدقائي وأفراد جيلي- فواز حداد مثلا- أغرمنا بقراءة الروايات البوليسية، وكنت أظن أنني أتسلى وأهدر الوقت، لكنني- مؤخرا، لكن ليس جداً- اكتشفت أي أثر، وأية فائدة- جنيتها من قراءة الروايات البوليسية، ويمكن للكاتب والمحدث أن يجنيانها، وأن- زمني- في هذه القراءات لم يذهب هدراً، واليكم بعض ما تعلمته- ككاتب ومتحدث- من هذه الروايات :

-١- اللكمة المزدوجة :

وبيانها أن المفتش كان يضـرب اللص لكمة مزدوجة، أي لكمة باليد اليمنى تتبعها- سـريعاً- لكمة ثانية باليد اليسـرى. فيسـتسـلم- الملكوم-، ظلما، أم حقاً.

بالطبع لست ملاكماً، ولا أحب هذه- الرياضة- كلها- بل مازلت وفياً لمعلمي الأول، أي لغاندي وللسـاتياغراها- اللاعنف-، ولكنني، على ما يبدو، اسـتخدم هذه التقنية- البوليسـية في النقاش، إذ أعاجل- المجادل- المغالط بحقيقتين من- العيار الثقيل-

-٢- إذا أردت أن تخفي شيئا فضعه في مكان بارز لا يثير الريبة:

، وبيان ذلك، أو- الحكمة- من ذلك أن الشرطة ستبحث في الأدراج و- تحت الطاولة- ظانة في لهفتها وذكائها أن- الغرض المســـروق أو المهرب- لا يمكن أن يكون موضـوعاً- على الطاولة ومعروضـا بمثل هذه العلانية الفاضـــحة، هو أول ما تقع عليه عيناك المفتشـــتان عن- الخبايا في الزوايا-.

-٣- في الكتابة والحديث وكثيرا ما- ضـــبطت نفســـي أوجه- لكمة مزدوجة- للقارئ، أو المجادل، عندما يلكمني احدهما بكذبة، إذ أضـــع الحقائق- المدســـوســـة والظاهرة- بعناية في كلامي فوق الطاولة، وأظهرها في براءة تخفي أكثر تعلن، على ما يبدو.

هل في هذا إجابة على الصــــديق الذي اتهمني، ذات يوم، بأنني- مهرب أفكار؟

- مازلت أرى ما رأيت عام- ١٩٨٩- كما يرد أدناه:

" أما ممارســـة الثقافة للســـلطة فهي البقاء مع الناس في أوجاعهم وأحلامهم، في معاناتهم وأشـــواقهم، إنها التجدد مع تجدد الزمن عبر حوادث الأيام وتصـاريفها، فالثقافة، ولأنها أفق للحرية، لا تسـتطيع أن تتحمل وجود مضـطهد واحد على هذه الأرض، في حين تقوم السـلطة على الاضطهاد.

- دائما هناك إمكانية لما هو أفضل-، ذلك هو شعار الثقافة وحلمها، بينما تؤمن الســـلطة بأبدية حقيقتها، وبحقيقيتها- هي- الســـرمدية. أما

الثقافة فلا تؤمن بأبدية حقيقة، أو سـلطة ما، إنها لا تؤمن إلا بسـعادة الإنسان التي يجب أن تتحقق، أي بالحرية والعدالة.))

من كتاب :الثقافة و السياسة والسلطة. بيروت- ١٩٨٩- منشورات- الوعي- ٤- ص-٧٥-٧٦-

- إعادة إنتاج الطغاة، أو العمل للحلول مكانهم في طغيانهم-- من كتاب- جبران خليل جبران- النبي:

". . وإذا كان هناك طاغية تريد أن تثل عرشـه، فاستوثق أولا أن قد تحطم العرش الذي أقمته له في نفسك ".

٢٠١٦/٩/١٩

- يوميات كاتب-

- سلام ينهي كل سلام-

بعد عقود من الرخاء والسـلام والثقة الظاهرية لما، وبما حققته الرأسـمالية الأوربية لمجتمعاتها، قامت الحرب العالمية- الأوربية- الأولى، فكانت مفاجأة و- صـدمة للوجدان- الأوربي السـادر في طمأنينته وغيه الرأسمالي.

في شـبه اعتذار عن هذه الحرب = المجزرة الأوربية- العالمية الأولى، وليس الأخيرة، حيث استخدم وجرب في اللحم البشـري الغاز والدبابات والطائرات والرشاشات قال الكاتب الانكليزي- هـ- ج- ويلز العبارة المشهورة عنه:

- إنها الحرب التي ستنهي كل الحروب.

لكن جشـع وكلبية الفرنسـي- كلمنصـو- و- الانكليزي لويد جورج- انتهت الحرب إلى تقاسم الضواري الكلبي لعالم بعد الحرب، مما جعل الرئيس الأمريكي- ويلسون- يحرد ويغادر أوروبا، مديرا ظهره للعالم، وخصوصاً للمنطقة العربية، مثلما يفعل الرئيس أوباما اليوم.

وهذا ما جعل كاتبا أمريكيا يكتب كتابا عن هذا السـلام الجديد الملغوم بالحرب، بعد تلك الحرب عنوانه :

سلام ينهي كل سلام.

- الترجمة العربية للأستاذ اسعد الياس بعنوان- سلام ما بعده سلام- منشورات- رياض نجيب الريس- بيروت.

اليوم بعد أن اعتدنا وتعايشـنا مع نتائج ما سـبق، مثلما يعتاد المرء ويتعايش مع احديداب ظهره- مثلا،- يكاد الزمن يتكرر نفسـه عبر حرب، في- سبيل السلام، تقوم في منطقتنا، وربما علينا- كما يقولون- لكنها- على الأرجح حرب:

ستنهي كل سلام

٢٠١٥/٩/٢٠

قس على النص التالي، أو على الواقع = واحد، أي انك تصـل إلى النتيجة ذاتها:

" تكاد تجمع أكثر مصادر التاريخ المعاصر أن الإمبراطور غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا السـابق وخاتمة العصـر الملكي فيها يحمل إثم الحرب العالمية الأولى، ويعد مسـؤولاً عن الضـحايا الذين اسـتشـهدوا فيها، وأن كل قطرة دم سـفكت في تلك المجزرة البشـعة تصـرخ بأن ذنبها يقع على كاهل الإمبراطور العنيد.

. . وعلى حين وجهت الاتهامات إلى الإمبراطور غليوم الثـاني بتحميله أصـل الفظائع التي ارتكبت في الحرب العالمية الأولى، فان الحلفاء قد أنصـفوا الشـعب الألماني نفسـه، فبرأوه من حمل التبعة الخطيرة التي ألقيت على ضـمير عاهله. . . . لأن نظام القيصـرية الألمانية وروحها كانت تجعل الإمبراطور المسـؤل الوحيد عن كل شيئ في بلاده، فهو حاكم مطلق لا معقب لحكمه، وهو في نظر الشعب حارسـه وحاميه، فليس للشـعب الخيرة في أمر نفسـه، وليس عليه إلا الطاعة لسيده. ."

من كتـاب: تيجـان تهـاوت- تـأليف: محمـد عبـد الغنـي حسـن-دار المعارف بمصـر- سلسـلة- اقرأ- العدد- ١١٧- اكتوبر سـنة- ١٩٥٢- الصفحة- ١٢٦- ١٢٧-

٢٠١٦/٩/٢٠

- قصة انهيار دولة- المماليك- مثلا- :

١ \٣

أوائل القرن السـادس عشـر الميلادي كان- السـتاتيكو-، أو وضـع التوازن العالمي- الدولي على الشكل التالي

-١- الفرنجة خرجوا من المشرق العربي.

-٢- العرب- المسلمون- خرجوا من الغرب الأوربي ؛ اسبانيا.

-٣- تسننت مصر الشيعية، وحكومة الماليك تسيطر على المنطقة العربية.

-٤- تشيعت إيران السنية، وحكم الصفويون.

-٥- ظهور العثمانيين كقوة إسلامية جديدة وناشطة- خصوصا في الغرب الأوربي- مكان الإمبراطورية البيزنطية.

-٦- اكتشفت أمريكا، فتوجه اهتمام أوروبا إلى- استعمارها، ونسيت الشـرق الأوسـط حتى زمن الحملة الفرنسـية على مصـر أواخر القرن الثامن عشر.

-٧- الشـرق الآسيوي الأقصـى- الهند+ الصـين = اليابان- كان ما يزال بعيدا عن مسرح البحر الأبيض: المتوسط الأوربي- العربي.

في ظل هذا- السـتاتيكو- كان الوضـع في الشـرق الأوسـط- المنطقة الإسلامية- على الشكل التالي:

-١- حروب مابين العثمانيين وبعض أطراف أوروبا.

-٢- حروب مابين العثمانيين في الأناضول والصوفيين في إيران.

-٣- حياد دولة المماليك في مصر والشام.

في البداية كانت دولة المماليك تقف على الحياد في الصراع الصفوي- العثماني، وكان العثمانيين يأمنون جانب المماليك، بل ويرسلون- الهدايا- من غنائمهم الحربية في أوروبا إلى البلاد المملوكية- العربية، حيث يدعى بالنصر للعثمانيين.

لكن، وبينما السلطان سليم العثماني متوجه لقتال غريمه الصفوي، حدث- خلاف على الحدود- ما بين العثمانيين والمماليك، و- اشتم- العثمانيون رائحة- تحالف سري- ما بين المماليك والصفويين. فما كان من السلطان العثماني إلا أن توجه يمينا نحو دولة المماليك وقضى عليها، ثم تابع طريقه فيما بعد لمحاربة غريمه الصفوي.

وهكذا دخل العثمانيون البلاد العربية، وقضوا على دولة المماليك فيه نتيجة- خطأ استراتيجي- هو :تحالف المماليك مع الصفويين، بدل وقوفهم على الحياد.

اقرؤوا هذا الكلام كما شئتم، وقيسوا الحاضر علو الماضي. والغائب على الشاهد، أو قيسوه على الوضع الراهن في سورية أو غيرها- أو تذكروه-.

ولكن رجاء- لا تقولوا:

التاريخ يعيد نفسه، لأن الأصح هو:

التاريخ يسير- ويطبق- قوانينه- فقط لا غير-.

علما انه :

- للأخطاء السياسية الإستراتيجية- أثمانها الباهظة، بل وعواقبها على حيواتكم اليومية والشخصية، كما تعرفون وتعيشون وتعانون اليوم.

ملاحظة: للحديث بقية وإعطاء- مثل- مضاد.

٢٠١٦/٩/٢١

ـ قصة انهيار دولةـ

٢\٣

يروي- طلعت باشـــاـ، وهو أحد- ترويكا- جمعية الاتحاد والترقي التي قادت الإمبراطورية العثمانية إلى الخراب- الآخران هما :جمال باشـــا وانور باشـــا- في مذكراته، قصـــة الاجتماع التاريخي للوزارة العثمانية عام- ١٩١٤- حيث فرضـــت هذه الترويكا- المغامرة- القرار الاستراتيجي- السياسي على مجلس الوزراء العثماني بدخول الحرب العالمية- الأوربية الأولى- إلى جانب ألمانيا، فكانت النتيجة أن جرت ألمانيا العثمانيين معها إلى الهزيمة وانهيار الإمبراطورية العثمانية كلها، إضـــافة إلى انهيار إمبراطوريتين أخريين هما :الإمبراطورية الروسية، والإمبراطورية البروسية- النمساوية- ألمانيا.

يبـدو لي أن ثلاثي الترويكـا العثمـاني- التركي في قراره دخول الحرب إلى جانب ألمانيا التي ســـتهزم، بدل الوقوف على الحياد، وقع في غلطة- القرار- الاستراتيجي- السياسي- نفسها التي ذهب ضحيتها- الســلطان قانصـــوه الغوري- والمماليك بتحالفه مع الشـــاه اســماعيل الصـــفوي عــام- ١٥١٦- لتكون النتيجـة نفســـهـا وهي: انهيـار الإمبراطوريتين، ولتظهر الأتاتوركية عقب انهيار العثمانيين في القرن العشرين.

في الحرب العالمية- الأوربية الثانية كانت الأتاتوركية تحكم تركيا، وكان خليفة- مصـطفى كمال اتاورك- هو- عصـمت اينونو-، واتعاظا واسـتخلاصـا من درس الحرب العالمية الأولى، فان تركيا وقفت على الحياد في الحرب العالمية الثانية، ولم تنضـــم إلى الطرف الألماني الخاسر، فنجت بجمهوريتها الفتية، ولم تمت مرة ثانية.

هكذا الأمر إذن: التـاريخ لا يكرر نفســـه أبدا، بـل هو- يطبق= يمارس- قوانينه وســـننه، لكن البشـــر هم الذين يكررون أخطاءهم وحماقاتهم، أو يتخذون قرارات إستراتيجية- سياسية مناسبة وصائبة، فلا تتكرر حماقاتهم، أو أخطاؤهم.

هكذا التاريخ: أفق حرية واحتمالات وقرارات- على كل الصعد-: قرارات إما أن تكون صائبة، أو أن تكون خاطئة، ولكل قرار نتائجه وتداعياته.

٢٠١٦/٩/٢٢

قراران سياسيان استراتيجيان في زمن واحد:- منقذ ومهلك-
- قصة انهيار دولة-
- ٣/٣-

مازلت أحاول شرح في فكرتي، ربما بتأثير ما حدث ويحدث في سورية من انهيار للدولة، بأن المآسي تتوقف، مثل تفاديها، على صواب- القرار السياسي- الاستراتيجي، أو خطئه، واليكم الحدثين = القرارين السياسيين الاستراتيجيين التاليين وما تنتج عن كل منهما:

-١- في عام- ١٩٢٠- وجه الجنرال غورو انذرا للدولة العربية السورية الوليدة بحل الجيش، فحل ا لملك فيصل الجيش، لكن، وعلى الرغم من الانصياع للإنذار الفرنسي، فإن الجنرال غورو زحف على دمشق واحتلها، تنفيذا لاتفاقية: سايكس- بيكو- سازانوف التي كشفها البلاشفة الروس

كان قرار يوسف العظمة الشجاع بالمقاومة قد اخفق لأن- فلول- الجيش العربي السوري الذي جمعه من المتطوعين، ومن بقايا المجندين المسرحين لا يستطيع الوقوف في وجه الجيش النظامي الفرنسي، ولأن يوسف العظمة- ببساطة- قتل في المعركة.

أما الملك فيصل، لا غفر الله له هذه الغلطة، فقد انسحب، مصطحبا سيارته الجديدة من سوريا، لأنه وعد بمكافأة أخرى هي: عرش العراق، في ظل الانكليز.

أما شكري القوتلي، وعندما اجتمع مع ونستون تشرشل عام- ١٩٤٦- في القاهرة، ونصحه السيد تشرشل باللين في المفاوضات مع الفرنسيين وإعطائهم قواعد عسكرية في- دولة الاستقلال- فقد كان جوابه :

- لا استطيع أن افعل كما فعل الملك فيصل، .

قرار سياسي- استراتيجي صائب آخر أنقذ سوريا من- مجزرة- وقتها- هو :

قرار العقيد أديب الشيشكلي الاستقالة من منصبه عام- ١٩٥٤-اثر الانقلاب عليه من حلب، لأن- الجيش السوري من لحمي ودمي، ولن أسمح أن يقتتل- كما قال العقيد اديب الشيشكلي. علما أن العقيد كان الأقوى- عسكريا- وكان يستطيع- على الأغلب- كسب المعركة والقضاء على الانقلاب.

-٢- في المرحلة ذاتها، وفي القضية ذاتها تقريبا، مرحلة- تقسيم تركة الإمبراطورية العثمانية على أساس اتفاقية- سايكس- بيكو- سازانوف، وعندما استسلمت ألمانيا وحليفها العثماني عام- ١٩١٨- اجتمع في فندق بارون، مقر أركان الجيش العثماني المتراجع من سوريا، في حلب- مصطفى كمال- ولم يكن وقتها قد اصبح اتاتورك، أي أبو الأتراك، بضباط جيشه- الأتراك فقط- أي :مستثنيا الضباط العرب والمستشارين العسكريين الألمان، وقال لهم:

الآن سنعمل كأتراك- فقط- على إنقاذ تركيا.

وهكذا ولدت المقاومة والحركة- الأتاتوركية- التي أنقذت تركيا- من تطبيق- القسم التركي من اتفاقية- سايكس- بيكو- سازانوف، اذ أن- القسطنطينية والأناضول- كانتا من نصيب الروس حسب الاتفاقية إياها.

٢٠١٦/٩/٢٤

- قطارات الدرجة الثالثة-

- ١ -

يسال الطفل، قبل أن يصبح، فيما بعد، الفيلسوف الهسبانو- أمريكي جورج سانتيانا- ١٨٦٣- ١٩٥٢-متعجبا، وربما مستنكرا، اباه الرجل الحكيم:

- يا ابي، لماذا لا نسافر إلا في عربات قطارات الدرجة الثالثة؟

يجيب الأب الحكيم هادئا :

- لأنه، يا بني، لا يوجد عربات للدرجة الرابعة في القطار.

في بلدنا العزيز ســـورية، ولأنه لا يوجد عربات وقطارات- درجة ثالثة-، ولا يوجد إلا- ميكروباصات الدرجة العاشرة-، فإنني لا أسافر، أو أتنقل في دمشق إلا بواسطتها، مما جعلني استمتع، وأصادف الكثير من الطرائف التي قد أدون بعضها قريبا، وهاكم- اليوم- إحداها، لكنني، قبل ذلك، أتذكر نصيحة الكاتب الروسـي- انطون تشيخوف- ١٨٦٠- ١٩٠٤- للكتاب الشبان: " لا تسافروا إلا في عربات الدرجة الثالثة)):

في المقعد- ثلاثي الركاب- كنا ثلاثة: امرأة وقور، كبيرة الســـن، وبعدها، ثم جندي- بكامل سلاحه، حتى الخوذة-، وكنا قرب حاجز دمر العســـكري، وكان هناك إطلاق طائرات ودبابات ومدافع وصـــواريخ وقنابل ورصـــاص كثيف، ولم يكن احد في الحافلة يتحدث، لكن، فجأة، مدت السيدة جسدها و وجهها عبري سائلة الجندي الشاب، وبكل جدية:

- شو صاير يا ابني؟

الجندي الشـــاب أجابها، وهو يرنو إلى البعيد عبر النافذة، ودون أن يلتفت إليها، وبقسـمات وجه حزين، وصـوت أسـبان، يقولان أكثر مما يقول الكلام:

- كما ترين وتسمعين يا خالتي.

٢٠١٦/٩/٢٥

- قطارات الدرجة الثالثة-

- ٢-

- أعوص سؤال فلسفي. . وجوابه-

لن قول مثل قول الدكتور الذي تعلمت الأبجدية الفلســـفة في وعن وعلى كتبه، اعني الدكتور: عبد الرحمن بدوي عند الحديث عن نفســـه في- موسـوعته الفلسـفية- بأنه " أحاط بتاريخ الفلسـفة شـرقا وغربا))، لكني أدعي، غير متبجح، أنني قرأت- ما تيســر- من الكتب الفلســفية،

وما أزال اقرأ، لكن أصعب وأعوص سؤال فلسفي- والفلسفة سؤال كما تعلمنا، وكما تعرفون-، كان وما يزال يواجهني هو ما سمعته = قرأته، كان في هذه القصة التالية:

كنـا، نحن ؛ ركـاب ميكروبـاص خط: مشـــروع دمر- الحرس الجمهوري- متوجهين إلى بيوتنا على هذا الخط، و- عتابا- المســـجلة تقرع آذاننا، ويعلو صـوتها على صـوت المعركة، لكننا سـمعنا صـوتا آخر كان اعلي من صــوت المعركة والمســجلة معا، كان هو صــوت شاب يلتفت إلى جاره، كبير السن، في المقعد يسال غاضبا :

- بتعرف مع مين عم تحكي ولاه؟؟

نظرت إلى الشـــاب الذي يبدو من ملابســـه المهلهلة- تقريبا- إنه لا يملك من حطام- هذه الدنيا الفانية والمفنية- إلا ما هو ظاهر على جنبه الأيمن، أعني المسدس المعروف- والضروري في مثل هذه الأوضاع الحرجة التي مرت وتمر بها امتنا العربية-، وهمست في أذن صـديقتي التي كانت- مشـرفة- معي للتعرف على البيت الجديد في مشـروع دمر والغداء واسـتعارة بعض الكتب الفلسـفية من مكتبتي، وهمسـت في أذن الصديقة المرحة التي- تمون علي وأكثر-

- هذا أعمق وأعوص سؤال فلسفي سمعته، أو قرأته في حياتي.

أجابتني الصـديقة وقارئة الفلسـفة ومدرسـتها، على طريقة :همسـة بهمسة، أو طريقة: كلمة ورد غطائها :

- اخرس. . سكر بوزك. ،

يبدو أن صـديقتي كانت تحاكي طريقة سـعيد أبي النحس المتشـائل في رواية- أميل حبيبي- الجميلة وأكثر و قوله الشـــهير فيها " قالوا انكتم، فانكتمت)).

، لكنني لم- أنكتم- فقد أجبت ورددت، بالطبع على صــديقتي قارئة الفلسفة ومدرستها، علي، أي زجرها و- أمرها لي- الوارد أعلاه :

- :اخرس، سكر بوزك-

- وهذا هو أهم وأعمق جواب فلسـفي سـمعته، أو قرأته، في حياتي على السؤال- المتقدم أعلاه وأسفله وذكره-.

ملاحظة:- هذا من فضـــل ربي-، ومن- فضـــائل- قطارات الدرجة الثالثة. رقم- ٢-

٢٠١٦/٩/٢٧

- أجوبة بعد الأسئلة-

ربما كنت قد- أكثرت الكلام- عن الســؤال الفلســفي الخالد في اليوم السابق، عذري في ذلك انه سؤال- وطني- فولكلوري-، لكني اليوم لن أطيل الحديث، لكن في- الاتجاه المضـــاد- اتجاه: الأجوبة الطريفة التي تنم عن- بداهة- وطرافة، وهذا ما يسميه العرب بـ- الأجوبة المسكتة-.

أورد- هنا- جوابين لرجل واحد هو معلم القصــة القصـيرة- الأسـتاذ سعيد حورانية. :

-١- كان الأستاذ انطون مقدسي، لتواضعه الحقيقي وخلقه السامي، إذا أراد أمراً من احد العاملين معه، يذهب إليه في مكتبه ويتحدث إليه، وحدث ذات مرة أن دخل الأســـتاذ أنطون إلى مكتبي ليتحدث في أمر ما، وقد صـــادف دخوله أن الأســـتاذ ســـعيد حورانية كان يزورني في العمل.

الغريب أن الأستاذ أنطون دخل الغرفة وبدأ في الحديث إلي دون أن يحيي الأســتاذ ســعيد، ودون أن يقف له الأســتاذ ســعيد، أو: دون أي- ارتكـاس من جـانبهمـا-، فقـدرت أن الرجلين-الهـامين في نظري- لا يعرف أحدهما الآخر، وهكذا- تطوعت- لأداء هذه المهمة قائلا:

- أستاذ سعيد. . . ألا تعرفه؟؟ هذا الأستاذ أنطون مقدسي.

كان جواب الأستاذ سعيد، وهو يضحك- حرفياً-:

- أعرفه. . . أعرفه علمنا الماركسية، و**بطل**- بالتشديد على الـ- ط-

أجاب الأستاذ أنطون :

- انتو اللي **بطّلتو** مو أنا.

-٢- كان الأسـتاذ سـعيد حورانية ينشـر في جريدة الثورة السـورية، وبأســـلوبه الحاد- المتدفق الجميل زاوية أســـبوعية- في ركن الجريدة

اليومي المعروف- معا على الطريق-، وكان- لوغو- زاوية الأســـتاذ سعيد هو صورة الكاتب- الأستاذ سعيد- رافعا يده-.

ذات يوم التقى الأســـتاذ ســـعيد مع الأســـتاذ- دانيال نعمة-، فســـأل الأستاذ دانيال الأستاذ- مداعباً-:

- رفيق سعيد، إلى متى ستظل رافعا يدك؟؟

بسرعة أجاب الأستاذ سعيد، ضاحكا :

- إلى أن يرفعوا لي قدمي، يا رفيق- بتشديد الـ ي-.

٢٨أيلول ٢٠١٦

- حدث في مثل هذا اليوم- :

. . . وفي مثل هذ١اليوم من عام- ١٩٦١- حد الانقلاب العسكري السوري- رقم- ٧- منذ عام- ١٩٤٩- و هو الانقلاب الذي فصم عرى- الوحدة الســـورية- المصـــرية، مما جعل بعض المتحمســـين القوميين يصف هذا الانقلاب بـــ- الجريمة النكراء- لكن الانقلاب العسكري هو- تقليد- من تقاليد الجيش الســـوري، أو- مناورة تدريبية- روتينية- من مناورات هذا الجيش الذي ما يزال يحلو لبعضـــهم أن يســـميه- حماة الديار-، والوحدة- أصـــلا- قامت عبر- انقلاب عســـكري- كما يعرف معايشو ودارسو تاريخ سورية-، إلى أن جاء بعد ذلك- انقلاب عسكري آخر هو- انقلاب- ٨- آذار- ١٩٦٣-، ثم. . . .

وبمناسبة الانقلابات العسكرية في سورية، ما أزال اذكر قولا قرأته في إحدى المجلات منذ زمن بعيد لمعلق- غربي- عن انقلابات الجيش الســوري، وهو-: لقد خســرت ســورية على جيشــها عشــرات مليارات الدولارات، وكانت النتيجة أن هذا الجيش احتل دمشـــق ثلاثة عشـــر مرة.

. . وفي هذا اليوم- أيضـــا- من عام- ١٩٧٠- توفي الرئيس جمال عبد الناصـر- يوم الانفصـال أيضـاً-، ومع أنني لسـت من المغالين في حب الرئيس جمال عبد الناصـــر، ولســـت من- كارهيه-، فإنني عندما

أرى حال مصر وحال- الأمة العربية- بعد وفاته، وخصوصاً- الآن-، فإنني أترحم عليه، وأذكره بشيء من الخير والحنين.

لكنني مع ذلك- لن ولا- أسامحه على ما فعل من ثلاثة- أفعال:

هي:

- ١- الديكتاتورية

-٢- حكم المخابرات

- ٣- كان يحكم، وكأنه سيعيش- إلى الأبد-

- ٤- أنه، أعني الرئيس جمال عبد الناصر، وعد أن يأتي من اللاذقية إلى طرطوس، قي شباط من عام- ١٩٥٩- فذهبت مع كل تلاميذ المدينة، في- احتفال وتجمع مهيب-، ووقفنا، في البرد كل النهار، ونحن أطفال، ولكن الرئيس لم يأت، وحتى لم يعتذر لي ولا لأحد آخر- فيما أعلم-. . .

أما إذا كان الله، أو التاريخ، أو الشعوب العربية سيسامحون السيد الرئيس على أفعاله هذه، مقابل حسناته المقابلة، فهذا من شأن الله والتاريخ وهذه الشعوب المغلوبة على، وفي كل أمورها، وليس من شأني، فانأ- شخصياً- ليس لي قدرة- الآلهة- والتاريخ والشعوب- على: النسيان، أو التذكر، على :الغفران، أو العقاب.

٢٠١٦/٩/٢٩

- طريقتان في القراءة، وأكثر-

-١-

. . . خذوا مثلاً :

. . أفتح- الآن- كتاب: التأملات، للإمبراطور- الفيلسوف الروماني- ماركوس اوريليوس، واقرأ منه- التأمل التالي:

- ". . . مدينتي، بالنسبة إلي، وكماركوس اوريليوس، هي روما، ولكن بالنسبة إلي، كانسان، فإن مدينتي هي: العالم)).

. . شخصياً فإنني اقرأ التأمل على الشكل التالي:

-. . مدينتي، بالنسبة إلي، هي سورية، ولكن بالنسبة إلي، كإنسان، فان مدينتي هي: العالم.

وكما ترون: تقوم هذه الطريقة في القراءة على- قراءة الماضـــي- بـــــ عيون الحاضـر-، وهذا ما يفعله، لكن ينكره، كل القراء، أما أنا فأعلنه، وافشي سره.

-٢- مثل آخر هو فن، أو طريقة قراءة الخرائط العربية القديمة- خريطة الإدريســي مثلا-، فالناظر في هذه الخريطة الدقيقة بالنســبة لإمكانات زمانها، لا و لن يفهم منها شيئا سوى- خربشـة-، ولكن إن: قلب عاليها سافلها، و عاليها سافلها، أي إن: وضع الجنوب في الأعلى، ووضع: الشمال في الأسفل، اتضحت له رسوم ومعالم هذه الخريطة المدهشة والدقيقة والسبب بسيط، وهو أن الأخوة العرب كانوا- يأبون- وضع الجنوب إلا في- الأعلى تكريما للقبلة، أي للكعبة المشرفة.

شـــخصـــيا، وعلى منهج الجغرافيين العرب، وتكريما مني للحقيقة، وللكعبة المشـــرفة، فإنني- أقلب- كل كتابة وكلام وخريطة وتصـــريح سياسي، حتى ولو كان للدكتور في القانون الرئيس اوباما، أو للكولونيل الرئيس بوتين، بل أقلب كل هزلٍ جداً، وكل جدٍ هزلاً، بل إنني: أضـــع الجنوب في الأعلى، والشمال في الأسفل، وهكذا، ربما أ قرأ، أو- أفهم- الأمور- بشكل أفضل.

ملاحظة :

أول كلمة نزلت في- القرآن: كتاب اللغة العربية الأول- كانت هي: النصيحة = الأمر :

-. . اقرأ.

-. . أما الجواب فكان هو الجواب الذي ما يزال ساري المفعول إلى يوم العرب هذا، وهو:

: : ما أنا بقارئ.

أخيراً :ومتنوعة، للقراءة، ولعدم القراءة، تماما مثل كل الألعاب الأخرى.

٢٠١٦/٩/٣٠

- تاريخ كتاب لم يكتب-:

منذ أواسـط سـبعينيات القرن العشـرين، وحتى أواسـط ثمانينياته، وكنت ما أزال، كما اليوم، أتدرب على الكتابة والكلام، فكنت أكثر من الكلام والكتابة، وبمناسـبة وبلا مناسـبة، عن- البرجوازية الصـغيرة-، فكنت- آنذاك- أشبه بعاشق تركته حبيبته، لكنه ما يني يقول انه تركها، ويتحدث عن- سيئاتها-.

بالطبع، لم يخف ذلك على أحد، فقد كنت، وأصـــدقائي- نرمز-، ولكن بشـكل مكشـوف بهذه- البرجوازية الصـغيرة- إلى حزب البعث العربي الاشـتراكي- واجهة- السـلطة العسـكرية-- آنذاك-، وقد كان- ترميزنا- مكشـــوفا إلى درجة أن الدكتورة نجاح العطار التي اعتبرها من أكثر الناس حبا وخدمة للثقافة في تاريخ سورية،- على الرغم من- تفهمي- لمنصـبها الشـرفي اليوم- قالت لي- ممازحة- وضـاحكة عندما طلبت الكلام في احد اجتماعات العمل في وزارة الثقافة أيام- ولايتها-:

- تفضـل تكلم يا أسـتاذ محمد تكلم، . . ولكن- رجاء- لا تتكلم عن البرجوازية الصغيرة.

في مثل هذه الحال من الانهماك- في البرجوازية الصـغيرة- قرأنا- سـمير سـعيفان- كتاب- المفكر الماركسـي- الفرويدي- هيلموت رايش- عن غريمتنا- البرجوازية الصـغيرة- فسـحرنا الكتاب، وقررنا- ذات يوم أن- نترسم خطاه، ونكتب كتابا- سـاخرا- عن هذه السيدة- الطبقة، ولكن بما أن كتاب- رايش- كان يدور على- محور- الطبقة البرجوازية الصـغيرة الأوربية الألمانية-، فقد- ارتأينا- أن يدور محور كتابنا على- الطبقة البرجوازية الصغيرة العربية السورية-.

وفعلا كتب سـمير بعض الصـفحات- لعله ما زال يحتفظ بها، وآمل أن ينشـــرها-، ولكن- الأعمال غير الكـاملـة- الأخرى شـــغلتنـا عن موضـوعنا الرئيس الذي بقينا نتندر به في السـهرات، ومع الأصـدقاء، ونجمع عنـه- المصـــادر والمعلومـات، إلى أن ألقت بنـا ظروف و صروف الزمان وسورية كلا في بلد.

استذكاراً مني لـــ- أيام- الشباب والضحك و- اللعب- مع الأصدقاء، أيام- البرجوازية الصـــغيرة- عدت، في هذه الأيام- العصـــيبة من تاريخنا-، إلى محاولة كتابة- نصـــيبي- من هذا الكتاب، والباقي، أي تكملة الكاتب، فعلى الله، وعلى سمير سعيفان.

٢٠١٦/١٠/١

- ليس تحريفيا. . . لكنه أحمق- :

. . ومن طرائف الأســتاذ- ســعيد حورانية- الكاتب القصــصــي المعلم، انه كان يقول في تســعينيات القرن العشـــرين، عن رفيق له اختلف معه في ســتينيات القرن العشــرين، حول الموقف من الخلاف العقائدي : الصيني- السوفياتي- الذي صار إلى- مزبلة التاريخ-، ، إن كنتم ما تزالون تذكرونه :

- كنا نظن أن الولد تحريفي. . . وإذا به طلع ولد أحمق .

. . في هذه الأيام، وعندما اسمع عن الخلاف الأمريكي- الروسي حول- المســالة الشــرقية- الســورية ، وحول التخبطات الســياســية الأمريكية في الشرق الأوسط عموما، أو حول- مواقف- المسترين- : اوباما وكيري، فإنني أتذكر، بل اردد قول الأســـتاذ ســـعيد حورانية المأثور:

- كنا نظن أن الولد تحريفي، وإذ به بيطلع ولد أحمق.

- أما عن الموقف الروسـي، وعن- التفاريشـين- : بوتين ولافروف، فيمكن أن أقول ما هو أكثر، إن كان هناك هذا- الأكثر

٢٠١٦/١٠/٢

- ليس هذا كافيا لصنع حزب، أو ثورة- :

ليس سرا قديما، أو خطيرا، أنني كنت على علاقة- حسنة- مع كثير من القيادات في الحزب الشـيوعي السـوري، بل ونتزاور، وكنت التقي

اغلبهم، وكانوا يقبلون مني هذه- العلاقة- مع الجميع على أســاس أنني كاتب- ماركسي مستقل-

حدث مرة أن زرنا، فواز الســاجر و، الأســتاذ- مراد يوســف- في منزله، وكان- وقتها- ينشـق عن جناح- يوسـف فيصــل-، وأذكر أنني قلت للأستاذ- مراد- بعد نقاش ودي مطول:

يا أســـتاذ مراد. . لا يكفي انك تريد أن تكون خلفا لخالد بكداش، وأمينا عاما للحزب الشــيوعي بدل يوســف فيصـــل، لتؤســـس حزبا جديدا..

الكلام نفسه أقوله عن- الثورة الإيرانية-:

لا تكفي :

- يا ثارات الحسين وزينب والمهدي المنتظر وولاية الفقيه والهجوم على المنطقة العربية- تحديدا- وديماغوجية حســن نصــر الله، لا يكفي ولا يمكن أن تكون هذه- العدة الفقيرة- أداة وشعارا للثورة سواء أكانت هذه الثورة: إيرانية، أم إسلامية، أم عربية، أم كانت- ثورة عالمية-

أوردت هذا المثال- الضيق الأفق والصغير-، لأقول:

إن- الثورة الإيرانية-، في- عقليتها وثوريتها- المفترضــــة- التي تمارســـها، و شـــعاراتها التي ترفعها-، لا تختلف كثيرا- عن عقلية- انشقاق حزبي صغير في حزب من- الدرجة الثالثة-، أو عقلية- طائفة، أو عشيرة قبلية، في الشرق الأوسط.

- ارفعوا المستوى شوية-، في أي عصر تعيشون؟؟

انتم في إيران ومنها، وإيران واحدة من أعرق حضارات العالم.

انتم في القرن الواحد و العشرين يا سادة؟؟؟

٢٠١٦/١٠/٤

- عن صقلية، أو اسبانيا، أو سوريا، أو أي بلد في هذا العالم-:

من الأفلام التي أعيـد رؤيتهـا- دوريـا- ملحمـة القرن العشـــرين الســينمائية :العراب-، حتى أنني صــرت أحفظ- عن ظهر قلب- بعض

الحوارات من هذا الفيلم، ومنها ما يقوله- مايك كورليوني = آل باتشـــنو- بعد قتل احد زعماء المافيا، وذهب مختبئا إلى- صـــقلية-، ورأى، وهو المولود في نيويورك، جمال- الجزيرة الصـقلية-، فقد قال هذه العبارة- الخالدة- في ذاكرتي وقلبي وعيني:

- لماذا هذه البلاد الجميلة جدا. . . قاسية جدا؟؟

٢٠١٦/١٠/٥

- اقرأ، وافهم على كيفك، ولكن برؤية معاصرة-:

- رؤية أو تفســير فيلســوف لســيطرة الجيش على الســلطة، وتاريخها-

((وفي النهاية اخذ الجيش ذاته يعمل على اســتغلال قوته . . وكان يحارب في صف الإمبراطورية أعداد كبيرة من المرتزقة الألمان، وقد تبين في النهاية أن هذا كان واحدا من عوامل سـقوطها- الإمبراطورية الرومانية-. وبمضي الوقت أصبح الأمراء البرابرة، الذين تدربوا على فنون الحرب خلال خـدمتهم في الجيوش الرومـانيــة، يعتقـدون أن مهارتهم التي اكتســـبوها حديثا يمكن أن تجلب مكســـبا أكبر إذا ما استخدمت لتحقيق مصالحهم بدلا من مصلحة سادتهم الرومان. وهكذا سقطت مدينة روما في أيدي البرابرة القوط بعد فترة قصيرة لا تتجاوز مائة عام.))

برتراند رسـل- حكمة الغرب- الجزء الأول-،- ترجمة فؤاد زكريا- عالم المعرفة- رقم- ٦٢- ص- ٢٢١-

٢٠١٦/١٠/٧

- ليست- فوبيا-، بل هي مرض حقيقي-:

يتحدث المتحدثون- ويحلل المحللون- عن- فوبيا الإســـلام- الذي أصيب به العالم مؤخرا، لكن ما هي- الفوبيا- أولاً؟

الفوبيا = رهاب- تعريفا-: هي مخاوف زائدة من خطر لا وجود حقيقيا له.

مثلا: أنا- شـخصـيا- عندي خوف-، أو رهاب، أو الإحسـاس بعدم الأمن، أو الخطر في- الطوابق العالية- ومنها، إن سـكنت فيها، أو أطللت منها، بينما لدي أصـدقاء لا يعانون من مثل هذا الرهاب = الفوبيا من- الأماكن العالية-، وهذا يعني ا ن الأماكن العالية ليسـت خطرة في حد ذاتها، وليسـت مشـكلة في حد ذاتها، وان مخاوفي هي- فوبيا- ومخاوف مرضـية موهومة من مرض، أو خطر مزعوم، إلا بالنسبة لي.

الآن نعود إلى- فوبيا الغرب والعالم- من الفوبيا الإسـلامية، والعربية، ربما، ونسأل :

- هل هي مخاوف مرضية، أو هي مخاوف صحيحة؟

شـخصـياً أقول: انظروا واسـمعوا الأخبار، وتبصـروا ما تعيشـون وتعانون، ما يحدث ويُفعل في البلاد الإسـلامية والعربية والعالم من أعمال إرهابية،- والله وأكبر-، أياً كان مصدرها ودافعها ومكانها- والله اكبر-، ثم اسألوا أنفسكم:

- هل هذه أخطار مرضـية ومجرد- فوبيا إسـلامية- مخترعة وموهومة، ولا مسـوغ لها، وبالتالي- هم متجنون علينا- نحن الأبرياء، أم هي- حقائق إرهابية، واقعية، ومتحققة، ومفعولة وداهمة، ومخيفة؟؟

٢٠١٦/١٠/٨

- التدخلات السـوفياتية- الروسـية المباشـرة في الدول بعد الحرب العالمية الثانية-

- معلومات. فقط-

- -١ التدخل العسـكري السـوفياتي- الروسـي في المجر عام- ١٩٥٦-

- -٢ التدخل العسكري السوفياتي- الروسي في تشيكوسلوفاكيا عام- ١٩٦٨-

- -٣ التدخل العسـكري السـوفياتي- الروسـي في افغانسـتان في الثمانينيات من القرن العشرين.

- -٤ التدخل العسكري الروسي في سورية عام ٢٠١٥.

ملاحظة- ١ -:

يلاحظ على جميع هذه التدخلات أنها كانت تدخلات في بلدان تعاني مشـــكلات داخلية، وبالتالي يمكن اعتبار هذه التدخلات- فيما أرى- تدخلات في شؤون داخلية لدول أخرى.

ملاحظة-٢ -:

أما عن تدخلات القرن التاسـع عشـر، ورأي- كارل ماركس- في- سياسـات- الإمبراطورية الروسـية- فله- حديث آخر- وقل القول نفسـه عن التدخلات السـوفياتية وسـياسـاتها في المرحلة السـوفياتية في حقبة مابين الحربين: الأولى والثانية في القرن العشرين.

ملاحظة-٣ -:

وقبل أن يُســـائلني- أحدهم- عن التدخلات الأمريكيـة والأوربيـة أجيب :

- تلك أعرفها جيداً، ولكن- أيضا- هذا حديث آخر.

٢٠١٦/١٠/٨

- دواعي تأليف كتاب جاد، لمؤلف جاد-

-١- (. . . فلما تاملتها- كتب التاريخ السابقة- م. خ- رأيتها متباينة في تحصيل الغرض، ويكاد جوهر المعرفة بها يستحيل إلى العرض.)

-٢- (. . وسود كثير منهم- كتاب سابقون. م. خ- الأوراق بصغائر الأمور التي الإعراض عنها أولى، وترك تسطيرها أحرى.)

-٣- (. . . والشـــرقي منهم اخل بذكر الغرب، والغربي منهم قد أهمل أحوال الشرق. . .)

-٤- (. . . فلما رأيت الأمر كذلك شـــرعت في تأليف تأريخ جامع لأخبار ملوك الشـــرق والغرب، وما بينهما ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان. . .)

ملاحظة: الشـــرق والغرب- هنا- مســـتخدمان بمعنى: الشـــرق والغرب الإسلاميان آنذاك.

من مقدمـة المؤرخ العربي- ابن الأثير- لكتابـه التـاريخي- الهـام-، والـذي يعتبر بعـد الطبري، أو معـه- درة التواريخ العربيـة القـديمـة-، أعني كتاب: **الكامل في التاريخ**-

ملاحظة- بالمناسبة-:

يكثر، هذه الأيام، خصـوصـا في سـورية، ومن قبل بعض- كارهي العرب- التاريخيين الحزبيين الســياســيين- في العصـــر الحديث- تعرفونهم وأعرفهم جيداً- ومن بعض الذين كانوا يدعون ســورية ذات يوم- ســورية العروبة و- ســورية: قلب العروبة النابض-، أقول يكثر: شــتم العرب وتبخيســهم، هم وبعض ما ســاهموا به خلال مرحلتهم من معارف وعلوم، لكني هنا أشـير- فقط- إلى الإســهام العربي في مناهج وطرق كتابة التاريخ، وأخجل، بل وأغضـــب من أقوال من لا يعرف شيئا عما، أو مما يتكلم به، أو عنه.

حسبي هنا أن أشير- فقط- إلى إسهامات العرب في مناهج وطرق- كتابة التاريخ- في الثقافة العالمية والإنسانية، والتاريخية خصوصا-

أما إذا كان هناك من لا يقرأ، ثم- يحكي- ، فـ :- تلك مشكلته- .

٢٠١٦/١٠/٨

- من منا المخطئ يا ترى؟

- يؤثر عن شــاه إيران الســابق- محمد رضــا بهلوي انه كان يردد القول التالي :

(من لم يكن شــيوعياً في شــبابه فهو شــاب لا يملك قلباً ، ومن ظل شيوعيا بعدد ذلك ، فهو رجل لا يملك عقلاً .)

لا أعرف- شـخصـياً- إن كان الشـاه مخطئا، أو مصـيباً ، فيما يردد، أو- يؤلف- و ربما كان هذا القول ، أو شـــبيهه ، منســـوباً لونســـتون تشرشل ، رئيس الوزراء البريطاني، والانكليزي- المحافظ- الشـهير ، لكني- شخصياً ، مرة أخرى- حصل معي العكس تماما، فقد صرت في

شـــبابي الذي ذوى باكرا- شـــيوعيا- . ، على الأقل في نظر الشـــاه وتشرشل وأمثالهما .

. . . دون مقارنة بين الشخصين، و لتكن المقارنة بين القولين:

من منا المخطئ؟ ومن منا المصيب؟ :

الشاه، أم ونستون تشرشل، أم، الذي قليلا ما يصيب؟

٢٠١٦/١٠/١٢

- في حدود ما اعلم وما عايشت-

في حدود ما أعلم، وحدود ما عايشـــت، لم تمر مصـــر والمنطقة العربية منذ مطلع القرن العشرين المنصرم- مصر التي مع نهوضها ينهض العرب، ومع تداعيها يتداعى العرب، فيما أرى- مرحلة،- حالة- كانت فيها مصر والعرب معها، أقسى، أكثر بؤساً وانحطاطاً من مرحلة المشـــير- عبد الفتاح الســـيســـي-، وربما كان هذا- الوضـــع التاريخي- هو النتيجة- الموضـــوعية والمآل المعاش- للصـــراع الذي وسم المجتمعات العربية، وخصوصا- الجمهوريات-، ما بين- الإسلام الســـياســـي- من جهة، وقوة- الجيش- من طرف ثان، ، أي إلغاء نمط- الحياة والسياسة المدنية- و بكل معاني كلمة- مدنية- منذ النصف الثاني من القرن العشـــرين، والى اليوم، فالطرفان- اســـتبداديان- بالضـــرورة والجوهر-، كما يقال.

٢٠١٦/١٠/١٢

- ثقافة المؤامرة وفلسفتها-

تقوم ثقافة المؤامرة وفلسفتها على- المسلمتين- الآتيتين :

-١- التاريخ باعتباره مؤامرة، ومتآمرا.

-٢- المؤامرة باعتبارها علامة العصر، أو- سمته-.

. . . ولأن جمهوريات وأنظمة الاســـتبداد العربي كلها، وبدون استثناء، وصلت إلى السلطة عن طريق- الانقلاب العسكري-، وهو-

أجلى أشـــكـال وعمليـات التـآمر-، فقد- ابتـدعـت- (ثقـافـة المؤامرة وفلســفتها)، ثم توهمت وأوهمت أن- المؤامرة دائمة- مثل- ثورتها الدائمة-، وتوهمت أنها لا يمكن أن تزول الا بـــ- مؤامرة-، فالمؤامرة هي: محرك التاريخ وفاعله وأداته-، وربما لهذا السـبب كان- مارشـال الدبابات-، العماد أول- مصـطفى طلاس- يردد بمناسـبة، وبلا مناسـبة مقولته الخالدة: (وصلنا إلى السلطة عن طريق الدبابة، ولن نتركها إلا عن طريق الدبابة)، وربما- أيضـا- لهذا السـبب هم، منذ سـبعين عاماً، على الأقل، يحدثونك عن هذه- المؤامرة- المكشــوفة. . والواضـــحة لكل- ذي عين وعقل ووطنية-.

٢٠١٦/١٠/١٦

- الفرق بين الحاكم- القوي-، والنظام القوي-:

الحاكم- القوي-، أي حاكم، وفي أية ظروف ودولة، مثل هرم يقف على رأســه، أو أن قاعدته هي الرأس- الشــخص، ومن هنا فان ذهاب الرأس يؤدي، أو- يعني- ذهـاب النظـام، وربمـا- البلـد- بكـاملـه، والســلطات الدكتاتورية في كل العالم وعبر التاريخ، وحتى في البلدان العربية هي اقوي مثال.

فعقب كل- رجل قوي = ديكتاتور- تأتي كارثة، إذا لم تكن هناك- مؤسـسـات قوية، أو مجتمع متماسـك، والمفارقة أن- الشـخص القوي- يقضي على المؤسسات، وروسيا بوتين، وتركيا اردوغان هما مثالان ناطقان.

بينما في المجتمعات والأنظمة القوية = المســتقرة تكون الدولة، أو البلد على شـــكل هرم- عادي- يقف على قاعدة ثلاثية تحفظ توازن الهرم، وهذه القاعدة المؤســـســـاتية هي- مثلا- في الولايات المتحدة الأمريكية على الشكل التالي :

-١- سلطة الحكومة، بمن فيها السيد الرئيس.

-١- سلطة مجلسي التشريع- مجلسا النواب والشيوخ- .

-٣- سلطة المحكمة الدستورية العليا.

أضف إلى ذلك- سلطة رابعة- هي :

-٤- سلطة الصحافة،

وكلها سلطات قوية ومستقلة- ويراقب- عن بعضها بعضا

. . ومن هنا يذهب السيد الرئيس ويستمر النظام والحكم والبلد. .

ومن هنا- كذلك-:

عقب كل حكم فردي، قويا كان هذا الحاكم أم ضـــعيفا، تأتي كارثة- وطنية-، شاملة ومحققة.

١- " الثورة لا تكشـف- فقط- عن أخلاق الناس من حيث الشـجاعة والتحمل وعدم الأنانية، بل هي- أيضـــا- تفضـــح التنازع الحقيقي بين الجماعات والطبقات المختلفة الذي كان مسـتترا أجلاً طويلاً تحت قناع الكلام المنمق المصطنع. "

جواهر لال نهرو-١٨٨٩- ١٩٦٤-: عن مجلة الهلال المصـــرية- العدد- ٨- ١٩٦٨- عدد خاص عن (ثورات العالم- وثائق تاريخية وصور نادرة).

٢- " الضـــرورة التي تفرضـــها الأشـــياء- الطبيعة- تخضـــعنا، والضرورة التي يفرضها الإنسان تجعلنا نثور. "- جوبير-

٢٠١٦/١١/١

- أثينا اليونانية، بمختلف الألوان والاتربة-

٢/١ :

- مغامرات الأفكار- :

(إسم كتاب للفيلسوف الانكلو- امريكي: الفريد نورث وايتهيد):

ســـأســـتعير من- وايتهيد- عنوان كتابه- أعلاه- لأتكلم عن الفكر اليوناني، وعن مدى و طبيعة إســـهامات هذا الفكر في التاريخ الثقافي والمعرفي والحضـــاري الإنســـاني، أو لحظة الاغريق التاريخية في الفكر البشري:

يتحدث كثير من مؤرخي الفكر الإنســاني والأوربي عن- المعجزة اليونانية-، وأنها هي المؤسس الأول للفكر العلمي والعقلاني في تاريخ البشر، وأنها- معجزة- إنسانية عليها يتأسس الفكر الأوربي منذ عصر النهضة، وبالتالي :كل التقدم الإنساني الحديث.

يرد هذا الرأي بعض المؤرخين للفكر من الشــرقيين والغربيين، إذ يرون أن هذه التســمية والتثمين للفكر اليوناني القديم، والذي تعلن الحضـــارة الأوربية انتماءها إليه، إنما هي، واعية، أو غير واعية، مظهر من مظاهر- المركزية الأوربية-، بل وتدل على الغطرســة الاستعمارية، ولحظة السيطرة الأوربية الحالية على العالم، وهي نظرة ورؤية، أو تفكير يتناســى وينكر حقيقة أن أصــل وجذر الفكر اليوناني ذاته، فيما يقولون، إنما يعود إلى مصــر وبلاد الرافدين أســاســا، وان اليونان مجرد- نقلة- للفكر الشرقي القديم، فـ- أثينا سوداء- في الأصل، لكن الأوربيين هم من لون جســدها ووجهها بالأبيض، وقدموها على أنها- آلهة الحكمة الجديدة العذراء-.

قبل مناقشــة الرأيين، أود تقديم بعض الملاحظات المنهجية، أو التي عليها تتأسس وجهة النظر، أو- الرأي- التي سأقدمه فيما بعد :

-١- هناك تاريخ واحد للكرة الأرضــية، وان كان متفاوتا ومتقطعا ومتنوعا، في القديم، لكنه- موحد- في العصــر الحديث، من جميع النواحي الطبيعية والبشــرية والثقافية والفكرية والحضــارية، وهذا هو مضــمون ومغزى ومعنى أفكار ومؤلفات من ينظرون إلى التاريخ والطبيعة والبشر والمجتمعات والثقافات والأفكار نظرة- كلية وشاملة، كما في أعمال دارون وهيجل وماركس وفرويد وتوينبي على ســبيل المثال، لا الحصر.

-٢- كل منطقة من العالم، وكل شعب من شعوب العام ومجتمعاته، قدم في لحظة ما، شيئا ما.

-٣- كانت جغرافية العالم وطبيعته وثقافاته وشــعوبه متصــلة مع بعضها على مر الزمن، بهذا القدر، أو ذاك، و بهذه الطريقة، أو تلك.

-٤- الفكر والحضـارة البشـرية مثل الشـعلة الاولمبية يسـلمها عداء إلى عداء وثقافة إلى ثقافة أخرى، ومكان إلى آخر، ومفكر إلى مفكر آخر مختلف.

-٥- كان هناك دائما اتصــــالات وتعارف وتبادل وامن وحروب وتجارة وانتقال لمختلف الســلع الاقتصـــادية و- الثقافية-، وبمختلف الطرق بين مختلف الأمكنة والثقافات والشعوب، وقديما قال المتفلسف العربي من القرن الرابع الهجري- أبو سليمان المنطقي:

(كان للفلسفة انتقال كثير.).

إذن ما هو جديد هذا- الجديد اليوناني- الذي يتحدث عنه غالب المؤرخين والمثقفين والفلاسفة الغربيين، واصفين إياه بـ :

- المعجزة اليونانية؟؟-.

هذا ما سـأحول الكلام عنه ومناقشـته مناقشـة تاريخية مقارنة بين إسـهام فكر اليونان، وإسـهام فكر الشـرق القديم، في الثقافة والحضـارة العالمية، ثم مناقشة الصلة بينهما، تالياً.

٢٠١٦/١١/١٠

- أثينا اليونانية، بمختلف الألوان والاتربة-

٢/٢:

- مغامرات الأفكار-:

يتصـف، حتى لا نقول- يتميز- الفكر الفلسـفي، أو الرؤية الإغريقية اليونانية للعالم، ببعض الصفات الخاصة، نعرض فبما يلي بعضها:

- -١ الإنســـان هو مركز الاهتمـام والتفكير الأول في الرؤيـة الإغريقـة، عكس الرؤيـة الشـــرقيـة، حيـث- الله- هو مركز التفكير والاهتمـام، ممـا ينتج عنـه جعـل- الـدنيـا- مركز التفكير الإغريقي، والآخرة مركز التفكير الشـــرقي الســـابق، وقد تجلى هذا في الرؤية الكامنة خلف بناء المصريين للأهرامات.

- -٢ الطبيعة هي الموجود الجدير بالدراسة والفهم والتفسير- العلم بالموجود بما هو موجود-، أي أن تفسير العالم ووجوده يأتي من داخله، وليس من خارجه، و كما تقول النظرة الشرقية السابقة واللاحقة، ولهذا يفسر تكون العالم، عند الإغريق القدماء، بعناصره: الماء والنار والهواء والتراب، تبعا لكل فيلسوف من الفلاسفة ما قبل سقراط.

- -٣ التجريد- والكليات- لا علم إلا بالكليات- هذا هو المبدأ ألفلسفي اليوناني. وشرحه بالأمثلة التالية:

مثال -١

كان المصريون القدماء يعرفون- المثلث قائم الزاوية- ويستخدمون هذه المعرفة في الزراعة والمساحة والبناء، بشكل تجريبي، أما- نظرية المثلث قائم الزاوية- فقد وضعَها الإغريق.

مثال -٢

الرقم- خمسة- يشير في اللغة السنسكريتية- مثلا- إلى أصابع اليد، أما- خمسة- الكلية =التجريدية التي تشير إلى أية- خمسة- من الموجودات، فهي ابتداع إغريقي.

مثال -٣

النقد- في اللغة العربية القديمة يشير إلى مجموعة الغَنم، وهي ما كان البدوي يدفعه مقابل الحصول على زوجة، ومن هنا يقال عن مهر المرأة- نقدها-، أما مفهوم النقد المجرد- أداة التبادل للمنتوجات، ورمز المنتوج- فهو مؤسس على مفهوم الإغريق للتجريد والتعميم.

- -٤ نظرية الديمقراطية في التداول حول القرار والسلطة، كان ظهورها في- الأغورا- اليونانية، أي الساحة العامة للمدينة، ومكان الاجتماع الناس، ومن هنا أتى تصميم المدينة والقرية اليونانية، وتاليا الأوربية، حيث لكل مدينة، أو قرية- أغورا-، بينما مكان التجمع والسلطة واجتماع الناس في الشرق هو- المعبد-، ومن هنا- كذلك- أتى فن المسرح اليوناني، والمسرح هو الحوار- أولا. وكلمة- ديمقراطية- بحد ذاتها يونانية.

- ٥- تعدد الآلهة وصفاتها البشرية، بدل الإله الواحد في الشرق، فتعدد للآلهة يشير إلى تعدد التفسيرات للوجود، والديمقراطية في حكم العالم، دون انفراد اله- واحد احد-، بينما الإله الواحد الأحد يؤدي، وقد أدى في الشرق إلى الحكم الفردي.

- ٦- الفصل بين الإله والحاكم عند اليونان، فمقر الآلهة هو- البانثيون-، أما الحاكم فهو إنسان من- الأغورا-، أما الحاكم في الشرق فهو- اله = فرعون-، أو إمام ديني ينوب عن شريعة الله وينفذها.

- ٧- مصدر المعرفة، وفهم الوجود هو العقل والمنطق، بينما في الفكر الشرقي تكون المعرفة- إلهاما ووحيا-، ولهذا فالبطل والمصلح الشرقي هو- نبي-، أما عند الإغريق فهو- مشرع-، أو فيلسوف- بشري. وربما من هذا المنطلق رفض أفلاطون- استقبال الشعراء- في الأكاديمية، بينما رحب بالرياضيين- المهندسين-.

ملاحظة- ١-:

سقراط مثلا: لو وجد سقراط في بيئة شرقية لاعتبر- نبيا-، فقد عاش ظروف ومصير وحياة نبي، إذ ادعى انه ملهم من الآلهة، لكن التقليد والسياق الثقافي والفكري الرافض لفكرة- المعرفة من الخارج- اعتبره- مجرد فيلسوف بشري- =إنسان.

ملاحظة-٢- :

نتحدث هنا عن سمات غالبة وظاهرة ودالة وواسمة للرؤية والثقافة، في كل فكر ورؤية ثقافية، مع العلم أن هناك من يخرج عن هذه الرؤية من داخل الثقافة نفسها.

ملاحظة- ٣-:

هذه رؤى وأفكار تتعدل وتتطور وتتراجع، عبر التاريخ، وليست صفات جوهرية لا تحول ولا تزول، وهي ملك للبشرية جمعاء، وقد أخذت بها، أو ببعضها، ثقافات أخرى، وعلى سبيل المثال، فان أهم الدارسين للفلسفة اليونانية هم اليوم- الدارسون اليابانيون-.

قصدت من حديثي هذا أن التجديد والإضافة الإغريقية كانت- لحظة- هامة في تطور الفكر الإنساني، وأن هذه اللحظة هي التي

أعادت اســتلهامها وإحياءها أوروبا منذ القرن الخامس عشــر، وتلك- الروح الإغريقية- الإنســـانية + العقلانية، كانت- أداة- الغرب والعالم في نهوضــه وتجاوزه للعصـور الوسـطى، والتي كانت تعني سـيطرة- التفكير- المسـيحي- ذو الأصـول الشـرقية، وهذه هي إحدى المدلولات الهامة لكتاب المؤرخ الانكليزي- ادوارد جيبون- عن تدهور وانحلال- الامبراطورية الرمانية-

ملاحظة-٤-:

لقد هبط إله اليونان من السماء إلى الأرض، فعاش حياة البشر، أما الإله الشـــرقي، ممثلا بفكرة الله والحاكم، فقد صـــعد من الأرض إلى السماء، فانعزل واستبد، .

ملاحظة- ٥-:

الحضـــارة والثقافة هي حضـــارة وثقافة كل البشـــر، والجميل فيها تلوناتها وأتربتها ومراحلها التاريخية والمكانية المختلفة، ومن هنا ربما كان من الأفضل أن نقول:

- -٦ أثينا ليست بيضـاء، وليست سوداء، أثينا مجبولة من مختلف الألوان والأتربة والأنسجة الأرضية- الإنسانية.

٢٠١٥/١١/٢٥

أتمتع كثيرا بمراقبة السـياسـيين الكبار، ولاسـيما الرئيسـين اوباما الأمريكي والروســـي بوتين وهما يتحدثـان، وقد لاحظت- مثلا- أن الرئيس الأمريكي ينظر إلى الســـماء- غالبا- وكأنه يناجي ربه، أو- يبت- استخارة، بنما الرئيس الروســي ينظر- غالبا- إلى الأرض، كأنه يبحث عن- روبل- أضاعه.

أحياناً أقول لنفسي:

بين نظرة هذا إلى الســـمـاء، ونظرة ذاك إلى الأرض غـاب عن مســتوى نظرهما البشــر، وغاب- خصــوصـــا- ثلاث مائة ألف قتيل وعشرة ملايين مهجر سوري.

٢٠١٥/١١/٢٧

لم يبق من خريطة لسوريا إلا خرائط الطائرات التي تقصفها.

أثناء الحرب الفيتنافية، في الستينيات من القرن العشرين، وقصفها فيتنام بالطائرات سأل صحفي- ذو ضمير حي- طيارا أمريكيا: ما هو شعورك وأنت تقصف مدنا وقرى وتقتل بشرا؟

أجاب الطيار الأمريكي: إنني اقصف نقاطا على الخرائط.

وكما ترون- يا سادة يا كرام- ها نحن- في سوريا، في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، قد أصبحنا مجرد- نقاط على الخرائط-، ولكن ليس للأمريكيين حصرا، أو- فقط لا غير-

١- يبدو- في هذه الأيام أن ليس هناك-، على ما يبدو- من يسأل سؤال ذاك الصحفي ذي الضمير الحي.

٢٠١٦/١١/٢٩

- تحية إلى أصحاب الرؤوس العارية-

طوال النصف الأول من القرن العشرين، والسؤال = المعضلة في المجتمعات العربية هو:

الطربوش، أم القبعة؟؟

بالطبع كان الطربوش وأصحابه يرمزان إلى الأفكار القديمة والمجتمع التقليدي، بكل مستوياتهما وتبدياتهما ، بينما كانت القبعة ترمز إلى الأفكار والمجتمعات ، أو الحياة والقيم الحديثة ، من عقلانية وعلمانية وديمقراطية وحريات اجتماعية وفردية.

الخلاصة : كان الطربوش يعني الماضي والثبات ، بينما كانت القبعة تعني المستقبل والحركة والأمل .

في النصف الثاني من القرن العشرين ، واستمرارا إلى اليوم الراهن ، بعد أن بدا في البداية أن القبعة هي التي انتصرت ، بكل ما تعنيه ، ما لبثت هذه القبعة أن تكشفت عن- قبعة الضابط- ، أو-

عمرته- ، والطربوش ما لبث أن تحول إلى- عمامة الشـــيخ- ، بكل ما تعنيه هذه العمامة ، وهكذا برز ســـؤال أكثر إحراجا وخطورة من السؤال السابق- وتولد- صراع ومعضلة وسؤال قديم- جديد ، لكن بين طرفين جديدين هما :

قبعة الضابط، أم عمامة الشيخ؟؟؟

كان السؤال الجديد = الخيار يعني :

ببساطة : أي استبداد وتعسف ، أو ظلم تريد؟؟

لكن لســوء الحظ، أو لحســنه، بقيت هناك- رؤوس- وأفكار وقلوب ونفوس وقيم وعقول- عارية- تماما، لا تتقنع أو تتحجب ، أو تتجلبب، رؤوس عارية ترفض أي طربوش ، أو- قبعة-، أو عمامة ، أو عمرة لضابط .

هذه هي الرؤوس الطيبة العارية، والتي لا يســـتر عريها احد، أو شـــيء، نراها اليوم تتطاير مدماة ، وربما مفصـــولة عن جســدها، في ســماء، وبين أنقاض الأرياف والمدن العربية المقصـــوفة بالطائرات، والمحترقة بالنابالم. إنها- أشـلاء رؤوس- وأفكار وقيم وعقول وقلوب ترفض أي رداء ، ســـواء أكان هذا الرداء ، وحســـب رمزية ورواية ستندال- الأحمر- الرداء العسكري- أو الأسود سواد- الرداء الديني-

تحية إلى هذه الرؤوس العربية العارية ، خصـوصـا في سـورية ، والتي لا تريد أن يستر عريها رداء ، أو أحد ، أياً كان.

٢٠١٦/١١/٢٧

مرور مائة عام على . . .

بمناسـبة مرور مائة سـنة على تأسـيسـها-١٩٦٦ -١٨٦٦ -احتفلت الجامعة الأمريكية في بيروت طوال عام- ١٩٦٦- وأصـــدرت خلال ذلك العام الاحتفالي مجموعة من الكتب التذكارية الهامة التي تؤرخ للفكر العربي خلال المائة سنة المنصرمة آنذاك.

جريا على هذا- التقليد- الحميد، ســأحاول، وبما يســمح به التدوين على الشــبكة، أو معرفتي، تقديم إحاطة تاريخية، تلخيصــية للمائة عام

المنصـرمة- ١٩١٦- ٢٠١٦- تاركا تسـمية هذه الفترة لكل منا حسـب رؤيتـه، لكن بعـد الاطلاع على العرض التـاريخي، علمـا أن الفكرة والموضــــوع، بخطوطهما العامة الآتية، هما موضـــوع كتاب أعمل عليه :

- -١ في الفكر الديني العربي:

منذ أواخر القرن التاسـع عشـر، وحتى منتصـف القرن العشـرين، كانت الأسـماء الدينية المُفكرة والإصـلاحية البارزة هي: جمال الدين الأفغاني، علما أنه ليس أفغانيا، أو عربيا، بل هو إيراني، والشيخ محمد عبده، والشـيخ محسـن الحكيم و جمال الدين القاسـمي، الشـيخ طاهر الجزائري. .

بدءا من منتصف خمسينيات القرن العشرين، والى اليوم، تصدرت أسماء: سيد قطب والشيخ شعراوي والشيخ حسن نصر الله والشيخ سعيد البوطي و الشيخ القرضاوي. . الخ.

- -٢ في الفكر القومي العربي :

في النصف الأول من القرن العشرين كانت الأسماء القومية الفكرية البارزة هي: ساطع الحصري وقسطنطين زريق، وكان يمثل المرحلة سـياسـيا: مصـر وسـوريا، أو جمال عبد الناصـر بفكره وبانقلابه وشـخصـيته الكارزمية، وميشـل عفلق. بما لهم وما عليهم، و حزب البعث- قبل انقلاباته العسكرية-، أما اليوم، ويا للغرابة فإن السـعودية، هي التي- تمثل- الفكر القومي العربي، بعد أن- قضـــت- عمرها في التصدي له ومحاربته- وما تزال-.

- -٣ في الفكر اليساري عموما:

كان يمثل المرحلة في النصـف الأول من القرن العشـرين، مفكرون من أمثال: طه حسين و سليم خياطة وسلامة موسى، ويلاحظ أن الفكر اليســاري اســتمر في النمو والتقدم، على الرغم من فاعليته النخبوية المحدودة على يد أمثال سمير أمين وفؤاد زكريا ومهدي عامل وياسين الحافظ وصادق جلال العظم وجورج طرابيشي.

- -٤ قي الاحزاب السياسية اليسارية العربية:

فقد كان يمثلها في النصف الأول من القرن العشرين قادة مثل: فهد في العراق وفرج الحلو ونقولا شـــاوي في لبنان وخالد بكداش وأكرم الحوراني في سورية، وفؤاد مرسي في مصر- بما، وبما هم عليه-،

أما في النصــف الثاني فقد انحدرت وانحطت الأسـماء السـياسـية اليسارية، والشيوعية منها تحديدا، إلى أسماء أمثال: حنين نمر وقدري جميل وعمار بكداش وفاتح جاموس، وأنا اذكر هؤلاء، وبعضـهم كانوا أصـــدقائي، للأمانة التاريخية، دون إعطاء أية أهمية لأي واحد منهم، فانا اعرفهم جيدا، واعرف مدى هزالهم الفكري والمعرفي، ناهيك عن ضعف تبصرهم السياسي.

وأمـا الحزب القومي الســوري، فقـد ولـد منـذ ثلاثينيـات القرن العشرين- فاشيا وشبيحا مكتمل النصاب والأركان- ما شاء الله-، وهو لهذا: لم ولن يتغير.

- -٥ أما أحزاب- البرجوازية المحلية في النصف الأول من القرن العشرين:

فقد كانت تمثلها شــخصــيات مثل: طلعت حرب في مصــر، خالد العظم وشكري القوتلي ورشدي الكيخيا وفارس الخوري في سورية. الجادرجي في العراق.

أما في النصـــف الثاني من القرن العشـــرين، وإلى اليوم، فيمثلها أمثال: نجيب ســـاويروس في مصـــر ورامي مخلوف في ســـوريا، والمالكي في العراق

وبعد :

سموا هذه الحالة ما تريدون من أسماء، أما أنا فأسميها بـ:

الانهيار، أو- الانحطاط- الكبير.

بل إنني أزيد وأقول بناء على ما تقدم:

إن المنطقة العربية بدأت في الانحطاط والانهيار، فكريا وسـياسـيا، منذ منتصـف القرن العشـرين، قبل أن يتم الانهيار الشـامل: السـياسـي والمؤســســاتي والدولتي، أوائل القرن الحادي والعشــرين، كما ترون وتعيشون اليوم.

ملاحظة:

أذكر أنه في عام في عام- ١٩١٦-، أي في بداية هذه- المئوية-، حدث كل من اتفاقية سيكس- بيكو- سازانوف، وثورة الشريف حسين ووعد بلفور، و لكن هذا موضوع آخر، ربما أتطرق إليه يوما ما.

ما يزال الأمر= الموقف، كما كان عليه منذ العام الماضـــي، وما قبل، منذ زمن بعيد.

سؤال معروف من الجواب.

يبدو لي من ســؤلك- يا صـــديقي- انك لا تعرفني، على الرغم من مدى صـــداقتنا البعيد كما تقول، ولهذا اســـمح لي أن أعرفك بما قد لا تعرفه عني، مع العلم انك قد تكون- نسيته، أو تناسيته، اسمع:

في الســتينيات، وكنت في الثانوية، كنت ضــد التدخل الأمريكي في الدومينيك وفيتنام، وفي عام- ١٩٦٨- كنت ضــد التدخل الروســي في تشيكوسلوفاكيا- السابقة- ولو كنت واعيا سياسيا عام- ١٩٥٦- لكنت ضـــد التدخل العســكري الروســي في المجر، ثم كنت ضـــد التدخل الأمريكي في- غرانادا، والروســـي في أفغانســـتان، على الرغم من- ماركسـيتي- ؛ المضـمرة، والمعلنة، ثم أنت، وأنت صـديق العمر، كما تقول و تذكر جيدا أنني كنت من الموقعين على- عريضـــة احتجاج- الكتاب الســـوريين على التدخل العســـكري الســـوري في لبنان عام- ١٩٧٦-، على الرغم من أن الجيش السوري- آنذاك- كان- جيش بلدي- وأنني كنت ضد التدخل العسكري الأمريكي في لبنان والعراق، وضد التدخل العســكري العراقي في إيران، في ثمانينيات القرن العشـــرين، وأنني ضد التدخل العسكري الأمريكي والتركي والسعودي والإيراني وميلشـيا حسـن نصـرالله وأمثالهم في سـوريا، و أنت تعرف عني هذا جيدا، ومع ذلك تسألني :

لماذا أنت- يا- صـديقي محمد- ضـد التدخل العسـكري الروسـي في سورية؟

كما ترى يا-صديقي- هي مسألة مبدأ مزمن- لا أكثر، ولا اقل.

تريد الصـــراحة أكثر؟ إنني أرى في كل جيش يخرج من بلاده و- يتدخل- في حياة ومشكلات بلاد أخرى جيشا غازيا ومحتلا.

تريد الصـــراحة أكثر؟ ما عادت تهمتي صـــداقتك، وصـــداقة من يفكرون على شاكلتك.

- يوميات حشاش-

- تحشيش، دون حشيش-:

علاقتي مع جميع حكومات العالم ممتازة، ذلك أنها تقوم على مبدأ:

- المعاملة بالمثل-

أما مبدأ المعاملة بالمثل، وهو المبدأ الذهبي والديمقراطي في العلاقات الدولية، الذي أتعامل على هديه مع الدول الأخرى، فهو المبدأ البسيط التالي :

- أنا، وأنا-، اعتبر هذه الدول غير موجودة، وهذه الدول تعتبرني غير موجود.

هذا المبدأ يسمى- درجة الصفر في الوجود- قياسا على مبدأ الناقد لفرنسي: رولان بارت- درجة الصفر في الكتابة-.

درجة الصـــفر في الوجود هذه، ســـواء في الكتابة، او العلاقات الدولية، او الوجود، او النقد الادبي، التي اســـير على هديها، تعادل الحالة الفلسـفية، الانطولوجية المسـماة بـــــ:-- العدم-، والعدم كما لا يخفاكم، هو أعلى، وأصـفى حالات- النرفانا-، وأقصـى حالات النرفانا هي أقصى درجات: السعادة.

اعتراف بالفضــــل: تعلمت هذه الطريقة في التعامل مع الدول الأخرى ومشكلاتها من خلال التعامل مع مسألة التعامل مع دولة- الله- ، وهي مســألة ودولة من اعقد المشــكلات الفلســفية الدولية، كما هو معروف.

- وأما بنعمة ربك فحدث-، حدث ولا حرج.

. . . ها أنا ذا أتحدث وأحشـــش- بحمد الله ونعمته- بلا حرج، أو مؤاخذة. .

٢٠١٦/١٢/٥

- دبلوماسية الإمبراطورية العجوز-

الدبلوماسـية الروسـية في المسـالة الشـرقية- السـورية، هذه الأيام، تذكرني بالدبلوماسـية الانكليزية أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ كانت دبلوماســـية الإمبراطورية العجوز- آنذاك- تفاوض وتعد وتعطي من- أملاك- الإمبراطورية العثمانية، ذات اليمين وذات الشمال، ، فللشريف حيين- مملكة عربية، ولابنه فيصل- مملكة سورية، وللنجل الآخر عبد الله- مملكة هاشـمية، و تعطي- الأسـتانة والأناضـول للروس، وتعطي للفرنسـيين سـوريا، ولليهود فلسـطين، وللايطاليين بعض جزر بحر إيجه، أو الأرخبيل اليوناني، لكنها في النهاية خســرت مصـــداقيتها وإمبراطوريتها وثقة الجميع بها.

هكذا، على ما يبدو، تفعل الدبلوماسية الروسية اليوم في سوريا، إذ تلوح للأتراك بحصــــة، وللأكراد بقطعة، وربما للأردن بنصـــيب، وللسـوريين، على اختلاف فرقهم، بما يتبقى، وللأمريكان بالمشـاركة، و للإسرائيليين بالجولان، ولإيران بما يناسب.

ربما كان هذا الوضع هو الذي يجعلني اردد مع- البير كامو- قوله :

- وعرفت ما كنت أعرفه مرة أخرى.

وما كنت اعرفه، وعرفته مرة أخرى، هو ما دونته أكثر من مرة:

التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر هم الذين يكررون حماقاتهم.

٢٠١٥/١٢/٦

كتابة جديدة على جدار مقبرة قديمة :

هذا الصباح، وأنا في طريقي لشراء خبزي- كفاف أسبوعي- قرأت على جدار- مقبرة دمر الكبيرة-، على وزن- جامع دمر الكبير القريب منها- ما نصه :

" أنت مسيحي أو علوي، سني أو شيعي أو درزي، م اروني أو قبطي. . أنت عربي "

التوقيع: الشباب القومي العربي.- يبدو انه حزب مفبرك جديد-.

لكن، ويا للمفارقة ، يبدو أن هذا- الشباب القومي العربي- الجديد على الصنعة والساحة، والمتأخر في الوصول الزمني إلى- الواقع والحاضر-، إنما ينسى انه يكتب، ما كتب، على جدار- مقبرة كبيرة- .

٦/١٢/٢٠١٦

- يوميات هاو للرسم-

- *اللوحة التجريدية الكونية الكبرى-*

شخصيا أحب الفن الحديث، وخصوصا فن الرسم، واللوحات والفنانين التجريديين هم من أحب اللوحات والفانيين إلى- عيني- وأقربهم إلى ذائقتي، إلا أن أجمل و- أعمق-لوحة تجريدية تثير عقلي وتأملي، مثلما تستجيب لعيني وذائقتي هي لوحة، أي لوحة، لـ:

الجدار الأبيض الكبير العالي، الذي ما من عين تطاول ارتفاعه، و ما من نافذة، أو من باب يظهر عليه، أو تزويقه، أو تلوينه- تلطخ- بياضه اللانهائي- العدمي.

٢٠١٦/١٢/٧

- من وحي عنوان فيلم- حالة حصار- للمخرج السينمائي- كوستا غوفراس-، صاحب فيلم- زدz = -، عن اغتيال ناشط يساري يوناني،

في ســتينيات القرن العشــرين، وربما كصــدى لبيت شــعري للمتنبي، دونت، وبالله المستعان، أقول :

عن يمينك مليشـيا داعش، وعن يســارك ميليشـيا حســن نصــر الله، ومن أمـامـك الحرس الثوري الإيراني، ومن خلفـك الحرس الوطني السـعودي، وفوق راسـك ترفرف طائرات أمريكية و سـورية- روسـية وتركية:

- فعلى أي جانبيك تميل- ، والى أي جهات ربك تهرب؟؟

٢٠١٦/١٢/٧

- تجارب تاريخية- كيميائية معادة- :

اســتجلب الخليفة المعتصــم العباســي القبائل التركية وجنودها من ســهوب آســيا، لتحمي الخلافة العباســية، فكانت النتيجة أن الجنود الأتراك اســتولوا على الخلافة العباسـية، وبعده اســتجلب الســلاطين الأيوبيون المماليك من البلقان والقوقاز ليحموا دولتهم، ويحاربوا بدلا منهم، فكانت النتيجة أن استولى المماليك على سوريا ومصر والعراق، واســتعان الخديوي المصــري توفيق في مصــر القرن التاســع عشــر بالانكليز ضـــد ثورة احمد عرابي، فكانت النتيجة أن احتل المســـتعان بهم، أي الانكليز، مصـــر، واســـتعان الشـــريف حســـين، مرة ثانية، بالانكليز، للثورة ضــد الســلطنة العثمانية، فكانت النتيجة التي تعرفون وتعيشون. .

والآن. . . نصـــل- الآن- إلى ما يحدث- الآن-، لكن، من فضـــلكم أكملوا الأحداث، واملؤا- الفراغات- من عندكم، وكمـا تريـدون، بـل وفسروا التاريخ وتجاربه، على هواكم.

لكن، ألا ترون أننا، ومثل تجربة كيميائية، في كل مرة نضــع ذرتي هيدروجين + ذرة أكســجين، نحصـــل على الماء، لكننا، مع كل إعادة للتجربة الكيميائية التاريخية- نســتغرب النتيجة- القانون، بل ونشــتم- التاريخ- الغبي- الذي يكرر أخطاءه ونفسه، أ و:- يكرر- قوانينه؟؟

٢٢/١٢/٢٠١٦

ـ عن مصر، ومصر فقطـ:

أن تكون مصر عربية، أو أن تكون فرعونية، أو أن تكون قبطية أو إسـلامية، أو أن تكون مصـرـ مصـريةـ، كان هذاـ جدالاـ، أو سـجالا يعود إلى، أو يليق بثلاثينيات وأربعينيات ا لقرن العشـرين المنصـرم، وليس بذئ فـائدة، أو أهميـة اليوم، انـهـ جـدل بيزنطيـ، لا أكثر، ولا اقل.

المهم أن تكون مصـــر دولة موجودة على الســـاحة الجيوبوليتيكية والسـياسـية الراهنة في العالم، وفي الشـرق والأوسـط، تحديدا، وبما يتناسب مع مكانتها التاريخية ووضعها وامكاناتها، وهو ما يبدوـ اليومـ غائبا عن الصـورة والمشـهد والحسـابات، وهذا خطر إسـتراتيجي على مصـــر نفســها، فقد ســبق لمصــر، عندما ضــعفت مثل هذا الضــعف الظاهرـ اليومـ، وخصــوصــا في مثل هذه الفوضـــى، وإعادة التكوين الجارية في المنطقة، أن اجتاحها الهكسوس والفرس والرومان والعرب والأتراك والانكليز.

أكاد أقول:

إن ما فعله الإخوان المسـلمون والفريق عبد الفتاح السـيســيـ معاـ هو: إيصال بلد مثلـ مصرـ إلى هذه الدرجة من الغياب والشلل، وعدم الفاعلية.

٢٠١٧/١/١٦

ـ ســيرة تاريخية للأحزاب الوطنية التقدمية في المنطقة الرجعية العربيةـ

مثل شـــاب، أو فتاة بدءا حياتهما بخفر وشــرف، ثم ما لبثا أن دخلا معترك الحياة، فعملا في الأعمال الشــــريفة، ثم، لتنمية دخلهما، عملا في أعمال أخرى، كالتهريب والجاســـوســـية، ثم الدعارة، ثم القتل المأجور، وعندما كبرا في الســـن، ترهبنا، أو تمشـــيخا، ثم أدخلا إلى

مأوى العجزة، ثم- يقال- هربا من دار العجزة، ولا يعرف- اليوم- لهما مكان.

يقال أنهما قد انتحرا، ويقال أنهما جنا، ويقال أنهما ماتا، ويقال أنهما يتســولان على قارعة الطريق، ولا شـــيء مؤكد من إخبارهما، إلا ضياعهما أو- انتهائهما-.

. . وفي رواية أخرى أنهما لم يوجدا في هذا، أو في هذه البلاد = الحياة، أبدا.

والله اعلم، أو هو لا يعلم، ولا يبالي بكل هذا الكلام = التاريخ.

-٢٩- ١- ٢٠١٧-

(وبعد ايام وردت الأخبار بان الاروام في المورة وجزاير البحر الابيض قد أجهروا العصـــيان على الدولـة، وتحقق لـديهـا- الـدواة العثمـانيـة- اتفـاق كبراء روم القســطنطينيـة وبطريركهـا معهم على اسـتخلاص بلاد الروم من تسـلط المسـلمين. . ، ثم صـدرت الأوامر السـلطانية بقتل المفسـدين من كبراء طايفة الروم وإذلال النصـارى في جميع الممالك العثمانية.

وعند ورود الأمر لوالي الشــام عقد مجلســا من اعيانها وتلاه على ســماعهم فكان كلامهم أن النصــارى عندنا لايوجد منهم مفســدون بل جميعهم ذميون ســالكون بشــروط الذمة فلا تجوز أذيتهم بل لهم ما لنا وعليهم ما علينا ونحن لا نقدر نحتمل ثقل هذه المسؤلية على انفسنا.)

- من كتاب-: منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب- الدكتور ميخائيل مشاقة -١٨٨٨ -١٨٠٠تحقيق- اسد رستم ويحي ابو شقرا منشورارت المكتبة البوليسية- بيروت-- ١٩٨٥- الطبعة الثانية- الصفحة- ٨٠-صدرت الطبعة الاولى عام- ١٩٥٥-

ملاحظة :

للكتاب طبعة عام- ١٩٠٨- بعنوان مشهد العيان في حوادث سوريا ولبنان- اصدرها في القاهرة- ملحم خليل واندراوس شخاشيري- وهي طبعة ملفقة وغير صحيحة ولا يعتد بها علميا

ثم كان ان اعاد الدكتور سـهيل زكار اصـدار طبعة القاهرة في دمشـق عام ١٩٨٢ ضـمن كتاب بعنوان- من تاريخ الشـام في القرن التاسع عشر- بما هي عليه مما ذكرنا.

٢٠١٧/٢/٢

- يوميات بلاغي-

- تطبيقات بلاغية : زال ، وما زال- :

من أول أبواب البلاغـة العربيـة التقليـديـة، وهي شـكلانيـة في جوهرها، مثل النقد- ما بعد الحداثي- تماما، باب التشـبيه، كما هو معروف، ففي التشـبيه ثمة شـيئان مختلفان، لكن يوجد بينهما- وجه شبه-، ولهذا يعتبران متشابهين، إذ يمكنك أن تقول- مثلا- :

- وجه حبيبتي مثل القمر.

لكن يبدو، في الزمن الحديث، أن لدينا حالة جديدة من التشبيه، وهي حالة تقوم على الاختلاف، بل التناقض، كالتناقض الوجودي بين من- زال-، ومن- ما زال-، ومع ذلك تتشـابه الحالتان، على الرغم من تناقضهما، والمثل غلى ذلك :

ثمة- نظامان سـياسـيان- قوميان جدا-، أي يرفضـان الأفكار والتدخلات الخارجية رفضـا حاسـما ؛ أولهما- زال- بواسـطة- القوة الخارجية-، والثاني- ما زال- بواسطة- القوة الخارجية-

فما الاختلاف، وما وجه الشبه بين من- زال-، وبين من- مازال-؟

وجه الاختلاف أن أحدهما- زال-، لكن الآخر- ما زال-، لكن وجه الشبه الحاسم هنا، وهو الذي يضيف نوعا لآخر جديدا للتشبيه البلاغي، هو أن الاثنين، أي من- زال-، ومن- مازال- كان العامل الفاعل والحاسم فيهما هو :

(القوة، او- العامل الخارجي) من يدري قد يكون ذلك نوعا من التشـابه والتماثل في التناقض والاختلاف، وقد يكون نوعا من مكر الديالكتيك، أو : (مكر التاريخ) قيل هذا، وقيل خلاف ذلك، والله أعلم.

٢٠١٧\٢\٧

- مقتل طائر غريد-

- مقتل طائر غريد- : هو اسم رواية امريكية شهيرة، هي والفيلم المأخوذ عنها. اتذكرهما كثيرا هذه الايام، عندما انظر الى خريطة الشرق الاوسط العربي.

منذ زمن طويل كنت، وما زلت، اشبه الشرق العربي، وهو سورية ومصر والعراق، بطائر باسط جناحيه. طائر جناحه الأيمن هو مصر، وجناحه الايسر هو العراق، اما القلب والراس فهو سورية.

بعد اتفاقية- كامب ديفيد-، مخطئة كانت ام مصيبة، قص الجناح الايمن، وبعد الاحتلال الامريكي، ثم الايراني للعراق، قص الجناح الايسر.

اليوم على ما يبدو، جاء دور- قص الرقبة-، اي قتل الجسد السوري.

ربما لهذا كلما رأيت طائراً مغردا، او خارطة ممزقة، تذكرت رواية وفيلم :

- مقتل طائر غريد- فأعاود قراءة الرواية، واعاود مشاهدة الفيلم، وأديم النظر والتحديق في الخرائط والمآل، فيعتريني الحزن والاسف الاسى على شعوب هذه البلدان وعمرانها وثقافتها وخرائطها، مثلما يعتريني الاسى على نفسي، اذ انني- احيانا- اظن انني هذا- الطائر الغريد القتيل- .

٢٠١٧\٢\١٣

-١

احببت منذ زمن بعيد، وما زلت احب الكاتب الفزنسي الوجودي- البيركامى- ، بل وتأثرت به ، وكنت افضله على- شقيقه الروحي- جان بول سارتر ، ومثل كل شاب معجب بكاتب مفضل لديه ، فقد اكثرت

من حفظ وتدوين والاســـتشـــهاد بأقوال وجمل- جوامع الكلم- لكاتبي المحبوب- البير كامى- كالجمل التالية على سبيل المثال :

-١ ثمة شمس لا تغيب في كل ما اكتب .

-٢ إنني احب هذه الحياة حبا لا تكلف فيه.

-٣ لقد ولدت في عائلة محددة هي اليســار، وفيها ســأموت ، غير ان هذا لا يمنعني من أن أرى انحطاطها . إنني مســؤول عن هذا مثل آخرين غيري.

أو : أخيراً هذه الجملة التي هي مدار- نقدي الذاتي- والتي كانت هي المفضلة عندي :

-٤ ليس للتاريخ عيون، ولذا ينبغي رفض عدالته والاســتعاضـــة عنها بالعدالة التي يتصورها البشر.

في نقدي الذاتي- أعترف- قائلاً :

لقد ســحرني تعاطف- اســتاذي كامى- مع البشــر، لكن فاتني ان- عدالة التاريخ- هي عدالة- قوانينه-، التي تســاوي بين الموجودات، بما ومن فيها من البشـــر، وبالتالي هي- عدالة- الوجود والطبيعة-، وان- عدالة البشر- هي عدالة نسبية- يفسرها كل زمن وشخص وفكرة ودين على هواه، وربما حســب- رؤيته الزمنية والمكانية-، او حســـب- مصـلحته- لهذا فعدالة البشـر قاصـرة ومغرضـة ومتحيزة، بينما عدالة التاريخ ليست مغرضة، أو نفعية ولا تتحيز لزمان او مكان او كائن او فكرة او دين.

اضف الى ذلك ان- عدالة البشر، او- العدالة كما يتصورها البشر- هي التي قادت الى كل الظلم والاضـطهاد والمجازر والجرائم الجمعية التي ارتكبها ويرتكبها البشـــر على مر التواريخ والازمنة والافكار والاديان.

-٢

أودّ أن أضيف في هذا الاعتراف :

لقد اعدت في السنوات السابقة قراءة- الشقيقين- سارتر وكامى-، فأحسست انني- مع العمر المتقدم- اصبحت اكثر تعاطفا وحبا وفهما ل- سارتر-، مع احتفاظ- كامى- بمكانته في قلبي وعقلي،

٣-اعتراف ونقد ذاتي متابع للاول:

كنت اختلف- مع كامى- في قوله :

(إنني أحب العدالة واحب أمي ، لكنني اذا ما خيرت بين العدالة وأمي ، فإنني أختار أمي)

وكان- كامى-يعني بذلك وقوفه مع امه- فرنسا- ضد قضية الجزائر وثورتها العادلة- تاريخيا.

نقدي الذاتي- لنفسـي- يقوم في انني اخفقت في ان ارى اصـل نظرية- كامى- عن العدالة وتطبيقها في الواقع، في قضـية- ثورة الجزائر- العادلة تاريخيا-، اي انني اخفقت فيما كنت ادعيه، وادعو اليه من وجوب فهم الافكار على اساس الوقائع والواقع، حسب المكان والزمان، اي حسـب- تاريخيتها وسـياقاتها-، وفهم الواقع بواسـطة الافكار والعقل.

اعتذر من نفسـي وعنها، وممن اكون قد اقنعتهم- فضـللتهم- بكثرة ترديدي لفكرة- البير كامى- عن: تفضـيل عدالة االبشـر على عدالة التاريخ.

- تأملات حول الثورات-

- مداخل حوارية حول الأحلام الثورية-: -٢٠١٧ -١٩١٧

التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر يكررون حماقاتهم.

٢٠١٧\٢\٢٠

- تأملات قارئ للتاريخ الحديث، وللواقع الراهن-

- سياسات امبراطورية مفلسة ومخادعة- ٢٠١٧- ١٩١٧- :

١-

يعرف قراء التاريخ الحديث أن سياسة الامبراطورية البريطانية- العجوز- خلال الحرب العالمية الأولى كانت تقوم على توزيع الأسلاب والغنائم والوعود بإعطاء من يساعدها في حربها ضد المانيا- نصيبا- من- موروثات وأملاك- الرجل المريض المحتضر آنذاك، أعني -: الامبراطورية العثمانية-، فقد وعدت بريطانيا كلا من :

فرنسا بسوريا، وروسيا بالأناضول والقسطنطينية، وايطاليا بجزر شرقي البحر الابيض المتوسط- مداخل الارخبيل اليوناني-، ووعدت الشريف حسين بمملكة عربية، وفيصل بمملكة سورية، والحركة الصهيونية ب: دولة في فلسطين، وهي وعود متناقضة أملتها الحاجة لمساعدة هذه الأطراف، المتناقضة، وبالتالي كانت وعوداً- مخادعة- نتجت عنها أكثر مشكلات الشرق الاوسط التي ما نزال نعيش نتائجها، وخصوصا هذه الكيانات- الهشة- في المنطقة العربية- الشرق اوسطية- .

-٢

واليوم يبدو أن هذه القصة، وتلك السياسة الانكليزية، الرعناء والمخادعة نفسها، تتكرران، لكن بواسطة امبراطورية مفلسة عجوز متصابية مخادعة أخرى، أعني :الامبراطورية الروسية، فالامبراطورية الروسية- المفلسة- العجوز- التي تحاول تجديد شبابها الامبراطوري ؛ القيصري والشيوعي، توزع الوعود والمغانم و- التفاهمات- ومناطق النفوذ على الجميع، على كل الأطرف في الأزمة السورية، بطريقة الامبراطورية المفلسة العجوز المخادعة ذاتها خلال الحرب العالمية الأولى إذ :

تعد النظام السوري، وتعد الأكراد، وتعد المعارضة، مثلما تعد أمريكا بدعمها في- الحرب على الإرهاب- في المنطقة، ثم تطمئن الاسرائيليين والأردن، وتعد تركيا وإيران، كل بحصة من الرجل السوري المريض، والمحتضر على ما يبدو، دون أن تنسى نفسها من- حصتها- في الساحل السوري، عبر قواعد عسكرية دائمة، وكأنها تريد تحويل المنطقة الى محمية، وهو ما فعلته فرنسا بخلق لبنان،

وبريطانيا بخلق الأردن، هذا إذا تناسينا مقدمات انشاء اسرائيل، بعد الحرب العالمية الأولى، ثم ايجادها بعد الحرب الثانية.

والأدهى والأمر :

أنها تريد فرض دستور على بلد وشعب ما يزالان، حتى الآن على الأقل، ولو قانونيا وشكليا، مستقلين، وعضوا في الامم المتحدة، وليس محمية- انتدابية-، وهو امر لم يفعله الا المحتلون الامريكان في العراق، مثلما تريد قواعد عسكرية في الساحل السوري، بدعوى- محاربة الارهاب- لمدة- ١٠٠- سنة، وكأنها تبشرنا ان الإرهاب سيبقى- ١٠٠- سنة اخرى.

مرة اخرى :

التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر يكررون حماقاتهم.

٢٠١٧\٢\٢١

- نقد ذاتي مستمر: لم نكن راديكاليين بما يكفي-:

- لم نكن حداثيين ابداً-، عنوان كتاب جيد معروف ل:- برونو لاتور، صدر باللغة الفرنسية عام- ١٩٩١-، ترجمه : الدكتور اياس حسن وعدنان محمد .

عنوان الكتاب السالف ذكرني، وجعلني أعيد التفكير في جواب مني لصديق سألني في منتصف تسعينيات القرن العشرين، أثناء عملي في مشروع- قضايا وحوارات العربية- منتصف تسعينيات القرن العشرين، عن سبب- إخفاق النهضة العربية-، فكان جوابي الأولي هو التالي :

- لم تكن النهضة كلها، ولم نكن- راديكاليين- بما يكفي.

كان ذلك الجواب- آنذاك- بمثابة انتقاد لفكر النهضة وفترتها ومفكريها، مثلما كان مشروع- نقد ذاتي- بالنسبة لي، وهو عمل، ما لبثت ان قمت به في كتاب- :

- ضد التوفيقية- دمشق- ٢٠١٠-

في هذا الكتاب كان انتقادي الأساس لفكر النهضة العربية ولمفكريها وفترتها أنها :

- لم تكن راديكالية بما يكفي

بل إنها، في غالبها كانت- وسطية = توفيقية-

ثم حاولت أن أقدم التيار والفكر- المضـــاد- في فكرهذه الفترة النهضوية للوسطية والتوفيقية، على الرغم من ضعفه وهامشيته

بالطبع لا أقصد بـــ:- الراديكالية- العنف الدموي- بل أقصد الجذرية الفكرية، والقدرة على- النفي- والرفض، وعدم الانصـــياع- الواعي وغير الواعي- للماضي والموروثات، بكل انواعها.

امس زارني صديق، وسالني :

ألم تقف مع ذاتك يوما ما؟

كان جوابي الأولي السريع هو :

نعم، منذ عام وأنا واقف- وحيدا- مع ذاتي أراجعها، و قد وصـــلت الى النتيجة التالية:

- لم أكن راديكاليا بما يكفي.

أما الأسباب، العامة، أو الخاصة، فذلك موضوع آخر.

٢٠١٧/٣/٦

(نزهة في الهواء الطلق، بعيدا عن مخلفات القرن التاسع عشر):

ماذا لو يحدث أن :

البشـــر، عبر التاريخ، وفي كل الأماكن، وجهوا جهودهم وأفكارهم وعلومهم نحو فكرة الســـيطرة على أنفســـهم والتلاؤم والتـآلف مع الطبيعة، بدل أفكارهم وجهودهم وعلومهم التاريخية الموجهة للسيطرة على بعضهم بعضا، أو على الطبيعة. أو فكرة (الصراع) مع الطبيعة، ومع بعضهم بعضا؟

شخصيا أعتقد :

في مثل الوضـــع البشـــري، ومثل هذه الأفكار والعلوم، قان حالي وحالكم سيكون أفضل، على الأغلب.

انه مجرد تأمل حالم لا يفيد ولا يضـــر، لكنه جميل، مثل نزهة في الهواء الطلق، أو مثل سماع موسيقى آتية من بعيد، من المستقبل، حلم مثل الهواء الطلق والموســيقي والألوان والكتب يســتحق القراءة و التفكير به والعمل لأجله والسير في رحابه.

في مثل هذه الحالة كانت، ســتكون أفكار ماركس وداروين وفرويد، وأفكار (التكنولوجيين الجدد)، وهي أفكار تقوم على فكرة الصراع :

من (مخلفات) القرن التاسع عشر، اي من بقايا (ما قبل التاريخ).

٢٠١٧/٤/٦

"الذين لا يستطيعون تذكر التاريخ الماضـي، لا بد وأن يعودوا الى العيش فيه مرة أخرى."

جورج سانتيانا-١٨٦٣- ١٩٥٢- فيلسوف امريكي- اسباني.

٢٠١٧\٤\٦

يوميات متابع للأحداث:

كلما رأيت، أو سـمعت في الأخبار عما حدث في بلدة خان شـيخون السورية تمتمت بيني وبين نفسي هامسا، وأحيانا بصوت مسموع، قول الكاتب الفرنسي البير كامو:

(وعرفت ما كنت أعرفه مرة اخرى (

إلا أنني هذا المساء أضفت إلى قول البير كامو :

أتمنى ألا أعرف، مرة أخرى، ما كنت عرفته مرات أخرى كثيرة من قبل.

المؤســف أنني أعرف أن ذلك يبدو، حتى بالنســبة لي، مثل باقي الأمنيات التي لن تتحق.

٢٠١٧/٤/٧

سيرة عنوان كتاب : ١

"الملاجة-٥ ١\٦\١٩٦٧- وتكررت المهزلة، ولكنها لن تتكرر " كان هذا تعليقي المكتوب على آخر كلمة من كتاب قسطنطين زريق "معنى النكسة" الصادر في- اب- عام- -١٩٤٨ والذي يحلل فيه نكبة فلسصين ذاك العام، اما انا فقرأت الكتاب في التاريخ والمكان اللذين بدات بهما تدويني.

واضح انني كنت متحمسا ورافضاً للهزيمة عام-١٩٦٧- ويبدو أنني، لحداثة عمري آنذاك- قررت ان آخذ الأمر على عاتقي، وأن لا أسمح- للمهزلة- أن تتكرر، وأن أضع حداً للمهازل والهزائم العربية، وهذا هو التفسير الوحيد لتعليقي الطفولي وتأريخه آنذاك.

في عام-٢٠٠٥- ارسل لي صديق يساري تقريرا سياسيا للاخوان المسلمين لقراءته و- إبداء الرأي- وكان هو معجبا به، ربما على أمل جذبي، لكني، وفور أن قرأت في التقرير عبارة- مكونات الشعب السوري- قلت في نفسي: هذه قنبلة، وليست مكونات، وهذا تقرير يمهد لحرب أهلية، فمكونات أي شعب هم الأفراد وليس " المجموعات " أياً كانت، وأي اعتبار للمجموعات- الاجتماعية- الأهلية مكونات لدولة ما هو دعوة ومشروع لحرب أهلية لا محالة، النكبة الثالثة قادمة، يجب أن أنبه- سريعاً- كتابة- إلى ذلك.

على عادتي، كلما قررت أن أكتب كتاباً، أو مقالة، أو تدويناً، أقرأ ما يتيسر لي حول الموضوع، فأنا لا أثق كثيرا بالإلهام-هنا-، وكان أن عدت الى كتاب زريق الآنف ذكرا وكتابه الثاني- معنى النكبة مجدداً- الصادر عام- ١٩٦٨- عقب النكبة الثانية عام-١٩٦٧- وكنت قد قرأت كتاب قدري حافظ طوقان- بعد النكبة- الصادر عام- ١٩٥٠- عن نكبة- -٤٨ وهنا قلت في نفسي " سأكتب كتابا بعنوان- قبل النكبة- " لكنني وجدت هذا العنوان- كارثياً وحتمياً- أكثر مما يجب، وفجأة تذكرت قصيدة للشاعر الامريكي- وليم كارلوس وليامز- يتحدث فيها عن- أمريكا، وعن- الوردة والقنبلة- وبما أن كتابي عن سورية، فقد

جاء العنوان الذي رأيته مناسبا -" وردة ام قنبلة؟-إعادة تكوين سورية"- ٢٠٠٦- .

أدون سيرة هذا الكتاب، وربما هذه التجربة الشخصية، لأقول أن لكل كتاب سيرة ونسبا وسلالة، والكتاب، أي كتاب إنما يقرأ في سيرته وسلالته، وسياقه: زمانياً ومكانياً وفكرياً وشخصياً، يقرأ الكتاب فيه، مثلما يكتب، ولهذا دونت أمس، وسأدون غداً- سيرة بعض العناوين-الكتب، في الثقافة العربية الحديثة، محاولاً أن أبين أن الفكر العربي والمثقفين العرب كانوا واعين ومراقبين ومنبهين لما يحدث، لكن ماذا يفعل القلم والريشة والأغنية في وجه البندقية ومسير الاحداث؟.

على كل حال، مازلت أتذكر تعليقي الحماسي- الطفولي الصادق، وربما- عهدي- لنفسي وبلادي-، فأبتسم وأقول لذاك الشاب عام-١٩٦٧-يا ولدي أنت لم تف بعهدك، ولم تنقذ بلادك، لكنك كتبت، وهذه إمكانياتك، وقد قدمتها، أما منع الهزائم والنكبات فأكبر من قدرتك ومن مقدرة أمثالك.

فاشرب فنجان قهوة، أو كأس نبيذ، أو ما تيسر.

٢٠١٥/٤/٨

اجتماع السيدين الرئيسين رجب طيب اردوغان التركي، ومهدي روحاني الايراني أمس-٢٠١٥\٤\٧- في طهران لمناقشة موضوعات اليمن وسوريا وفلسطين وقضايا الشرق الأوسط عموما، ذكرني، وأعرف جيداً لماذا، باجتماع السيدين الرئيسين لويد جورج الانكليزي، وكلمنصو الفرنسي- أمس- أي عام-١٩٢٠- في باريس لمناقشة الموضوعات ذاتها التي ناقشها السيدان ارودغان وروحاني أمس في لقائهما.

فذكر، إن نفعت الذكرى، أيها التاريخ المؤرخ.

هل نتحدث أيضا عن اتفاقات جديدة لفرساي ولوزان جديدتين بين الوكلاء الإقليميين الجدد للامبراطرية الامريكية لاقتسام منطقة-فارغة- من قواها الذاتية، كما حدث عام- ١٩٢٠-؟.

هذه- أيضا- ندعها للمحللين والمؤرخين؟.
رجل مثلي يحاول أن يقرأ- فقط-.

٢٠١٥/٤/٨

يسألونك عن الاخ الثالث :

اجتمع- امس-\١٧\ ٤ \٢٠١٥- في طهران الأخوان المسلمان: الرئيس الايراني السيد مهدي روحاني، والرئيس التركي السيد رجب اردوغان، أما الأخ المسلم الثالث- الأخ العربي-، فقد كان- والله أعلم- ممداً على طاولة المفاوضات- العشاء، مثل خارطة ورقية- جغرافية ممزقة، أو مثل صحن حساء، أو-صينية ثريد-، وربما مثل خروف مشوي- ساخن.

تفضلوا: فالعشاء جاهز، وكذلك الخرائط.

٢٠١٧\٤\١٨

- الفرسان المقامرون الثلاثة- :

يشترك الفرسان المقامرون الثلاثة ؛ وأعني :

(العاشق والسياسي والمقامر)، وهم يقامرون في مقامرة خطرة وغير مأمونة العواقب، في واقع ان لكل منهم- رأسماله- الخاص الذي يقامر به، أو عليه :

فرأسمال العاشق هو بضع كلمات محفوظة ومعسولة، وخسارتها لا تعني الكثير بالنسبة لصاحبها، فثمة كلمات غيرها، وثمة آخرون وأخريات، يصغون إليها ويحسنون سماعها.

أما بالنسبة للمقامر العادي، فليس لديه ما يخسره أو يربحه إلا النقود، والنقود تأتي وتذهب، فلا مشكلة إذن.

والإثارة والمتعة في- اللعبة- وليس في الربح أو الخسارة.

وبالنسبة للمقامر الثالث- السياسي-، فرأسماله الذي بقامر به او عليه هو- حياة البشر- الذين غالبا ما يخسرون حياتهم أثناء لعبة مقامرة

لا شـــأن لهم بها، بينما لا يخســـر المقامر- شـــخصـــيا-، في كثير من الأحيان، وربما ربح السـياســي المقامر، إذا لم يخسـر حياته، رصـيداً مالياً كبيراً في أحد بنوك المنفى المريح.

من مقالة: الفرسان الثلاثة ؛ العاشق والسياسي والمقامر،

٢٠\٤\٢٠١٧

- المســـألة الســـورية باعتبارها آخر تصـــفيات وذيول التركة العثمانية- - من باريس ١٩١٩ إلى جنيف ٢٠١٧-

- جلسة سياسية استعمارية صاخبة حول سوية ما تزال مستمرة منذ ١٩١٩- ٢٠١٧- بمناسـبة تقاسـم ارث الامبراطورية العثمانية المنهارة والمهزومة في الحرب العالمية الأولى :

في شـــهر كـانون الثـاني عقد مجلس الحلفـاء الربـاعي- فرنســـا وبريطانيا وأمريكا وإيطاليا جلســـة للتفاهم بينهم حول الحصـــص من تركة الدولة العثمانية، وإليكم وصفاً لهذه الجلسة :

(إن الذين دخلوا الى ذلك الاجتماع وهم لا يعرفون كيف يعالجون القضية السورية، خرجوا منه وهم لا يعرفون لها حلاً .)

أما ويكهام ستيد- أمريكي محايد- الذي كان في باريس يبدي اهتماماً شديداً بالشؤون العربية، فقد كتب يقول عن ذلك الاجتماع السري الذي عقد في ٢٠آذار- :-١٩١٩

(في هذا الاجتماع بحثت القضـــية الســـورية والاتفاقية الفرنســـية البريطانية المتعلقة بها.

كذلك جرى البحث حول الاتفاقات السرية بصورة عامة.

وأسفر الاجتماع عن مزيد من الفوضى والإبهام.

وخرج الرئيس- الأمريكي- ولسـون يصـب اللعنات على كل إنسـان وعلى كل ما حصل قائلاً أنه لم يفعل شيئاً سوى الكلام لمدة ٤٨ ساعة وأنه شديد الاستياء والامتعاض من هذه القضية برمتها.)

من كتاب: الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنلن، زين نور الدين زين، دار النهار بيروت: ١٩٧١: الصفحة ١١٠

٢٠١٧\٤\٢٠

ـ حملات عسكرية مؤدلجة، ومجرد حملات عسكرية ـ :

ثمة في منطقة الشرق الأوسط وأوروبا ثلاث حملات عسكرية كانت (مسلحة) بأيديولوجية تريد نشرها، أو ـ فرضها ـ على العالم، ولهذا يصح وصفها ب ـ اديولوجيات ـ أو أفكار ـ عالمية لأنها ما تزال، أو بعضها، تمارس تاثيرها في التاريخ، وفي الحياة والزمن الإنساني الراهنين وهذه الحملات العسكرية ـ الأيدلوجية، حسب مكان وزمان ظهورها التاريخي :

ـ ـ ١

حملة الاسكندر المقدوني التي حملت راية الفكر اليوناني الى العالم ومقولاتها المركزية هي :

العقل والإنسان.

وربما لهذا السبب أنتجت هذه المقولة الفلسفة العقلية اليونانية والديمقراطية .

ـ ـ ٢

حملة الإسلام المنطلقة من بلاد العرب ومقولاتها المركزية هي :

التوحيد والله والوحي (النبوة)

ومقولتا الله والتوحيد الإسلاميتان هما خلاصة منقاة لأفكار الفرعونية واليهودية والمسيحية حول الموضوع.

ربما لهذا السبب أنتجت هذه المقولة الاستبداد وعلم الكلام والادب.

- -٣
الحملة الأوربية في العصور الحديثة، ومقولاتها الاساسية هي :
مركزية الانسان والحرية والعلم .

ربما لهذه الأســـباب أنتجت هذه الحملة الديمقراطية مرة أخرى بعد اليونان وأنتجت الثورة العلمية- التقنية ، وبالتالي الاســـتعمار ومجتمع الاســـتهلاك، وتوحيد الكرة الارضـــيـــة عبر الفكر والتكنولوجيـا والاســتعمار، فمقولة- الإنســان تؤدي الى نســبية القيم نظرا لاختلاف المصالح والافكار مما يؤدي الى صراع الافكار والمصالح البشرية.

في المقابل، ثمة حملات عسـكرية تاريخية كبيرة لكنها كانت مجرد حملات عســـكريـة ، أي أنهـا لم تحمـل أيـة مقولات ، أو أفكـار، أو- أيدلوجية- جديدة ، فســـجلت في التاريخ على أنها حروب وغزوات، أو :

أمبراطوريـات وفتوح عظيمـة، دون ان تترك أثرا مســـتمرا، أو طويلا مثل :

- -١ حملات الفرس في آسيا وبلاد اليونان.

- -٢ حملات المغول القادمين من الســهول الاســيوية نحو الشــرق الأوسط وأوروبا.

- -٣ غزوات قبائل الهون والتوتون والفايكننغ القادمة من شـــمال أوروبا الى وسطها وسواحلها.

- -٤ غزوات العثمانيين في اوروبا.

ملاحظة- ١- :

ما حاولت عرضـــه هو مجرد تأمل وصـــفي ولا يتضـــمن أي حكم قيمـة، ســـلبـا كـان او إيجـابـا، ، ولا يـدخـل في اهتمـام هذا- العرض الوصفي- التاريخي الكلام عن الدوافع والأسباب والتفسيرات، أيا كان ضعفها، أو وجاهتها.

ملاحظة- ٢- :

أما عن الرومان فيمكن اعتبارهم : (بين، بين) هذين النوعين من الحملات : المؤدلجة والمتعســكرة فقط ، تماما كالأمريكان في القرن العشرين ، والروس بشكل اقل.

٢٠١٧\٤\٢٢

قوانين التـاريخ، إن كـان هنـاك مثـل هـذه القوانين، وليس التـاريخ مجرد- ناقة تخبط خبط عشــواء- هي عدالته، هذا إذا كان هناك عدالة غير التي يتصورها البشر الفانون.

قد يوصف هذا الكلام بـــ- الميكانيكية والجبرية- لا اعتراض لدي، ربمـا كـان الأمر كذلك، لكني أفضـــل وصـــف الامر ب- العقلانيـة والواقعية- .

على كل :

ربمـا كـان كلامي مجرد تنويع وإعـادة كتـابـة لمقولـة الفيلســوف الانكليزي فرانســيس بايكون، أحد واضـــعي اســس التفكير والمنهج العقيلي الحديث التي محتواها أو خلاصتها:

نسيطر على الطبيعة عندما نفهم ونطيع احكامها وقوانينها.

إذا كان هذا الكلام قريبا من الصحة فإن كلام- ذوي النوايا الحسنة- في الســياســة ودعواتهم العاطفية، للحب وما شـــابه، هو كلام خارج سياقه، أو هو مجرد كلام لا جدوى منه، وربما كان الأجدى هو الدعوة لتشــغيل العقل في اكتشـــاف ومعرفة قوانين التاريخ والطبيعة، تمهيدا لتجاوزها وجعلها في خدمة الحياة، أو المشــروع الإنســاني- وهذا هو محتوى و هدف العلوم والتكنلوجيا في العصـــر الحديث، بدل الكلام العاطفي والإنشائي عن الحب ومفرداته، خصوصا عندما يكون الكلام في أمور المجتمع والسياسة والفكر.

جيوبوليتيكا سورية

(لعينيك يا أبا رشيد)

I- من المجلس النيابي إلى مجلس العقداء

- الانقلابات العسكرية في سورية- ١٩٤٩- ١٩٦٣.

-١-

١١ يوليو ٢٠٢٢ ، ٠

منذ حوالي شهرين مازلت أفكر بنشر هذه السلسلة عن:

-الانقلابات العسكرية في سورية-

في سبيل ذلك عدت إلى كل المراجع المتوفرة عندي، لا سيما منشورات الانقلابيين النادرة الآن، أو الكتب حول الموضوع، والتي حصلت عليها بمرور الزمن والصبر ومصادفات كتب الأرصفة، او من مكتبات في مصر ولبنان وسورية وأماكن أخرى، إلا أنني في الأسبوع الماضي، قررت العدول عن المشروع، وأعدت المراجع إلى مكانها .

أمس زارني مجموعة من الأصدقاء، ومن خلال الحديث معهم، وبعد

- كأس العرق الثاني-

، قررت- العدول عما عدلت عنه-، وعدت إلى ترجيح نشر يومي لصور ومنشورات تذكر بتاريخ الانقلابات العسكرية في سورية، فعرفت فائدة

- منادمة الأصدقاء-

وفائدة

- كأس العرق-

بالطبع .

على كل حال ثمة، فيما أظن، كثيرون لا يعرفون عن هذا التاريخ-الموضوع الا أقل من قليل، فلعل فيها فائدة لهم ومتعة، وستكون السلسلة بعنوان

- ١ -

- انقلاب حسني الزعيم " ١٨٨٩- ١٩٤٩ "

هو الانقلاب الأول الذي فتح باب الانقلابات العسكرية في المشرق العربي، بعد الاســـتقلال، والطريف أن نذكر هنا أن كاتب بيانات الانقلاب كان

- السيد اكرم الحوراني " ١٩١١- ١٩٩٦ "

كما ورد في كتاب

- السياسة السورية والعسكريون-،تأليف- جوردان. هـــ. توري. ،-١٩٥٨ -١٩٤٥ -،- ترجمة- محمود فلاحة-،- دار الجماهير- الطبعة الثانية- ١٩٦٩-

[. . . وما يدعو إلى الدهشـــة أن أكرم الحوراني كان في مقر قيادة الجيش يكتب البيانات لأذاعتها من الإذاعة]

الصفحة- ١٣٣-

كما أن من الطريف أيضا أن غالبية السياسيين ومجموعات شعبية واســـعة أيدت في، البداية على الأقل، انقلاب الزعيم، الذي ما لبث أن تبدى منه الوجه

- الأهوج للزعيم الدكتاتور-

-٢-

لعينيك يا أبا رشيد-

- الانقلاب الثاني /١٤ / أب / ١٩٤٩- بقيادة- الزعيم سامي الحناوي -١٨٨٩ -١٩٥٠-

[. . . وفي يوم دعاني عصام- عصام مريود، ضابط سوري. م. خ- الى العشـــاء في مقهى يدعى- الطاحونة الحمراء- على ضـــفاف بردى. دخلت متأخراً وكان معه على الطاولة أكرم الحوراني. وكان

الحوراني يستهوي جليسه بأسلوبه اللبق وحجته القوية، وكانت نقمته تنصب، بالدرجة الأولى وبصورة قوية، على حسني الزعيم ومحسن البرازي- رئيس وزراء حسني الزعيم. م. خ.- الذي كان يعده روح الزعيم الشريرة. . . . ذكر الحوراني أن الزعيم بدأ يسرح الضباط كأديب الشيشكلي وسعيد حبي والحبل على الجرار، ولست في مجال تذكر ما قاله الرجل، غير أنني أذكر ولن أنسى، أنه قال في نهاية الاجتماع وبعد أن شرب أبو رشيد- أكرم الحوراني. م. خ- وشربنا معه الكثير، دمعت عيناه وقال

- لن يترك حسني الزعيم لا شرف ولا مال إلا وسوف يستبيحه .

لم أكن أنا وعصام بهذا العمق والتفكير والمعرفة لسبر غور هذا السياسي المحنك، فرددنا عليه بصوت واحد

-- لعينيك يا أبا رشيد--

وتتابعت بعد ذلك الاتصالات بيننا.] .

من كتاب

- أيام عشتها. ،-1969 -1949 -،الانقلابات العسكرية وأسرارها في سورية. ،تأليف- محمد معروف-

(- ضابط برتبة مقدم، اشترك في تنفيذ انقلاب الحناوي على حسني الزعيم. قومي سوري، وقائد للشرطة العسكرية، وقد حاول أثناء قيادته للشرطة العسكرية أن يجعل من وحدته العسكرية قوة كبيرة ثقيلة التسليح- دبابات ومدفعية-، وهو ما تطور، فيما بعد، إلى

- الوحدات العسكرية المخصصة للمحافظة على نظام الحكم فقط-

. مواليد- ١٩٢١- قر ية- متور- قضاء جبلة، كما أرخ لحياته في نهاية كتابه. م. خ .

(اشترك، هذا الضابط، فيما بعد، في محاولات انقلابية فاشلة، بالتعاون مع الحكم الملكي في العراق سنة- ١٩٥٤-)

الناشر- رياض نجيب الريس. بيروت- ٢٠٠٣-. الصفحتان- ١٢٠- ١٢١ .

بعد ١٣٧ يوما هزت سورية-

كما يعنون- الصــحفي ومســتشــار حســني الزعيم- نذير فنصــة- مذكراته عن فترة حكم الزعيم الصــاخبة والقصــيرة- بيروت- الطبعة الثانية- ١٩٨٣-،

و- بين شهري / آذار، وأب من عام- ١٩٤٩-، بعد- -١٣٧ يوما فقط لا غير، من انقلاب حســـني الزعيم على حكومـة الرئيس المنتخـب شـكري القوتلي، قام الزعيم قائد الجيش- الزعيم سـامي الحناوي، الذي نفذت قواته- ميدانيا- انقلاب- الزعيم حسني- الأبيض- بـ

- الانقلاب الثاني في- / ٣٠ آذار / ١٩٤٩-.

و بـدءا من هـذا الانقلاب بـدأ العنف والقتـل والاغتيـال تـدخـل إلى الانقلابات العســكرية الســورية، إذ أعدم، أو على الأصـــح،- اغتيل- فوراً، وفي اللحظات الأولى من الانقلاب، كل من رئيس الجمهورية- حســني الزعيم-، ورئيس مجلس الوزراء- محســن البرازي-، دون أي تحقيق، أو محاكمة .

ملاحظة /١ /

ورد في هذين التدوينين- ١/ ٢، وســـيرد في تدوينات لاحقة، ذكر الأســتاذ أكرم الحوراني، والســبب في ذلك- موضــوعي-، وليس، أية مشـاعر ما- ضـد- الأسـتاذ الحوراني، ذلك أن الأسـتاذ- أكرم الحوراني كان في تاريخ ســوريا هو، فيما أرى، ســياســياً ومدنياً- عراب- أكثر الانقلابات العسكرية في فترة الخمسينيات السورية

- الصاخبة انقلابيا-.

لقد كان أكرم الحوراني مؤسس ما يمكن تسميته، من وجهة نظريـ

-- تحالف الفلاحين والجيش والمثقفين / الأحزاب / اليســـاريين--، وخصوصاً الأحزاب القومية،

وهو التحالف الذي ســيطر، عن طريق الانقلابات العســكرية، وتناقضــاتها وتضــارباتها وتحولاتها التاريخية، على ســوريا، بدءاً من

انقلاب حســـني الزعيم الأول، ثم ما تلا ذلك. . . فيما بعد، كما ســـبق وشرحت ذلك في كتاب

- المأساة السورية- مائة عام من العذاب- بيروت- ٢٠١١-.

وســـيتضـــح ذلك خلال المراحل التالية من الأحداث. . . ومن هذا التدوين .

ملاحظة نافلة /٢ /

بدأ تفكيري في كتابة كتاب عن الانقلابات العســكرية في ســـورية، منذ عام- ٢٠١٢- وأعددت وقرأت كل المراجع التي أمكنني الوصــول إليها، وخصــوصــا مذكرات الضــباط والســياســيين الســوريين خلال السبعين سنة الماضية، لكنني، فيما بعد أجلت المشروع، وما أقدمه في هذه التدوينات أنما هو

- خلاصة شديدة التكثيف-

لهذا المشروع- الكتاب، وكان عنوان هذا الكتاب- المؤجل- هو

- لعينيك يا أبا رشيد-

- بحث قي موقف الســياســيين الســوريين من الانقلابات العســكرية سنوات- ١٩٤٩- ١٩٦٣-.

. . لذلك سأعطي التدوينات التالية عنوان الكتاب العتيد

- لعينيك يا أبا رشيد-.

وأظن أن السبب بات واضحاً لاعتماد هذا العنوان .

. .. لعل الأيام والظروف الخاصة. . . والمزاج تساعد على ذلك.

-٣-
لعينيك يا أبا رشيد-

ها نحن في الانقلاب الثالث-

- خالد العظم- ١٩٠٣- ١٩٦٥-

-الانقلاب الثالث ومجلس العقداء-

- ١-

[. . . وفي ذلك المساء جاءني الملازم حسن حده، أحد ضباط الفوج، وقال لي أن أكرم الحوراني يريد أن يقابلني في بيتي، وبحضور العقيد أمين أبو عساف، في الساعة الثالثة عشرة ليلا، فوافقت على هذا الموعد.

وفي الوقت المعين تماما جاء الحوراني وأخذ يتكلم عن خطورة الموقف وتفاقم الحالة، ثم وجه كلامه إلي وإلى أمين أبو عساف قائلا

- أنتم الآن وحدكم مسؤولون عن إنقاذ البلد وعن وضع حد لهذا التدهور. إن ماضيكم يشهد لكم بذلك وعلى التاريخ أن يسجل مآثركم، وأن يقدر جهودكم. . . .

-- لعل الحوراني كان يشير إلى ثورة سلطان الأطرش- ص ١٢٥- ، وانتماء هذين الضابطين إلى السويداء. م. خ.- -

. . إن مصير هذا البلد أمانة في أعناقكم، فإذا تلكأتم وأحجمتم بضعة أيام عن القيام بعمل حاسم فاتتكم الفرصة، وسبقكم الزمن ودخل الجيش المستعمر أرض سوريا وراء ستار من جيش العراق، وعاد الوطن إلى الرزوح تحت نير العبودية والذل.

قلت له:

- **كن مطمئنا، يا أكرم بيك- تذكروا عبارة- لعينيك يا أبا رشيد-** م. خ.-

. . . نحن متأهبون لحماية سورية، مهما كان الثمن .

قال

- بارك الله فيكم

وقد شاع الارتياح في عينيه وقسمات

وجهه، . .

وبكى، ثم انصرف عائدا إلى دمشق.]

من كتاب

- أعاصير، مذكرات عن خفايا الانقلابات السورية الأربعة، كتبها شاهد عيان أسهم في تخطيط الأعمال الانقلابية وفي تنفيذها. حقائق ووثائق وأسرار لم تنشر بعد . ،- تأليف- فضل الله أبو منصور . ،تاريخ النشر-١٩٥٩ -،- لا مكان للنشر، والأغلبية- بيروت.

ملاحظة:

- هذا الضابط هو الذي قام بتنفيذ عملية إعدام رئيس الجمهورية حسني الزعيم، ورئيس الوزراء محس البرازي في الانقلاب الثاني .

-٢ -

[فشل خطة اعتقال العقداء .

انقسم الجيش إلى معسكرين، الأول يضم العقداء أديب الشيشكلي و عزيز عبدالكريم ومحمد بنيان وشوكت شقير ونظام الدين ومحمد ناصر. . . ،

والمعسكر الثاني يضم سامي الحناوي ومجموعة ضباطه المشاركين في الانقلاب.- يقصد الانقلاب الثاني. م. خ .-

كنت واثقا بأن انقلابا سيحصل، وقد جهرت بهذا الرأي للرفاق، كما جهرت به للزعيم سامي الحناوي، مرارا وقلت له:

- إن علينا أن نضرب- بفتح النون الضاد-، قبل أن نضرب- بضم النون- م. خ.-، غير أن سامي الحناوي بقي مصراً على موقفه وهو أن هؤلاء العقداء لا يمكن أن يقوموا بأي عمل، وخاصة أديب الشيشكلي وامين أبو عساف. وأخبرني العقيد محمود الرفاعي بأن

العقداء يعقدون اجتماعات متوالية فيما بينهم، وأن العقيد أبو عســـاف ينضـــم أليهم وذلك من أجل الوقوف في وجه الاتحاد مع العراق ومنع ذلك، يســاعدهم بعض الســاســة أمثال أكرم الحوراني الذي أدار ظهره لنا، كالعادة .-]

من كتاب

- أيام عشـتها،- محمد معروف، المصـدر مذكور سـابقا، الصـفحة-١٧٥-

-٣-

[على أثر انتخاب هاشم الأتاسـي لرئاسـة الدولة يوم الاربعاء في / ١٤ / كانون الأول- ١٩٤٩- بدأ فخامته مشــــوراته لتأليف الحكومة. وكان رشيدي الكيخيا وناظم القدسي وعدنان الأتاسيي- كلهم من حزب الشـعب ، ويقولون مناصـب الرئاسـات الثلاث، ووزارة الخارجية. م خ.- يعدون العدة لجعل الحكومة جسرا تمر فوقه البلاد نحو الاتحاد مع العراق. قد أحكم ا الحلقة بضـمهم اللواء الحناوي إلى صـفوفهم. فعمل هذا الأخير، بالاتفاق مع بعض الضــــباط القانعين بفكرة الاتحاد، على الإيقاع بالضباط الأخرين المعارضين لها.

. . . وبعد مضي ساعة وربع الساعة استطاع الاتصال بالقنيطرة، فأخبره ان اللواء الأول بقيادة العقيد أديب الشيشكلي، ثار واحتل دمشق والطرق المؤدية إليها، وبأن الحناوي مع بعض الضـــباط قد اعتقلوا. فقلنا:

- ها نحن في الانقلاب الثالث .

. . . . وحين وصـلت إلى داري جاءني هاتف بأن العقيد الشـيشـكلي بعض الضباط يريدون الاجتماع بي، فدعوتهم إلى الحضور. فجاءوني اطلعوني على البلاغ الذي أصـــدروه في غيابي- كان العظم وقتها في الحمة السورية يستجم، وكان وزيرا للمالية في الحكومة المنقلب عليها- م. خ-، ورووا لي، بدورهم، كيف قاموا بحركتهم. وقالوا إن الحناوي دعاهم وعرض عليهم قبول فكرة الاتحاد. كانوا شـــعروا، قبل ذهابهم

إليه، بأنه ينوي اعتقالهم إذا لم يوافقوا على رأيه. فتخلف بعضـــهم عن الذهاب، واتخذ التدابير لمهاجمة داره واعتقاله. ما أن خرج بعضـــهم الآخر، حتى عادوا بقوة الدبابات واعتقلوا الحناوي، كما اعتقلوا اســـعد طلس.]

من كتاب

- مذكرات خالد العظم- تأليف- خالد العظم ،- الناشـــر- الدار المتحدة للنشـــر. بيروت.- ١٩٧٣-،الجزء الثاني- الصـــفحتان- ٢٢٥-٢٢٦- .

كما ترون وتقرأون أثرت أن أدع الكلام للشهود والمشاركين، ولكن ينبغي إيضاح خلفيات السياسية للأحداث

. . . . كان من الســـهل، في تلك الأوقات أن يســـتولي اي ضـــابط ســـوري مغامر على الســـلطة في تلك الأوقات، فالأمر لا يكلف إلا ركوب الدبابة، مع عصبة مشاركة، لكن الصعوبة تأتي فيما بعد. ، إذ كيف ستدير البلد-، والأصعب كيف ستتخلص من الضباط الطامحين، وعصب الضباط، الذين يستسهلون مثلك ركوب الدبابة والتوجه إلى دمشق، واحتلال الإذاعة وإعلان البلاغ رقم- ١-؟!

عهد الحناوي، بعد أن أعلن و- أظهر- عودة الجيش إلى ثكناته، بالحكم إلى حزب الشعب، الذي أقامه مجلسا تأسيسيا، اختير أعضاؤه على اساس

- التمثيل الطائفي والمناطقي-،

في سورية، ثم شكل حزب الشعب حكومة تسلمت قيادات المناصب الأولى الثلاثة الاولى في الدولة، أضافة إلى وزارات مهمة أخرى منها الخارجية، وقد كانت استراتيجية حزب الشعب وهدفه السياسي هو

- الوحدة مع العراق-

، وفي ســـبيل ذلك دخلت حكومة حزب الشـــعب هذه في مفاوضـــات مع العراق، و نوري السعد والوصي على العرش الأمين عبدالاله .

لكن هذا الهدف، وهذه الســـياســـة وجدت معارضـــة قوية من قبل جهتين هما

١-- مجموعة قوية من

- عقداء الجيش- .

-٢- مجموعة من السياسيين والأحزاب التقليدية والعقائدية.

وكان هذا كافيا للقيام بألـ

- الانقلاب الثالث .- .

أو ثالث انقلاب عسكري في سورية خلال عام واحد. . . هو العام-١٩٤٩-

يا رعاكم الله .

. . حتى أن صحفياً أمر يكيا كتب ساخراُ يومها ما يلي:

[إن سـورية أنفقت على بناء جيشــها ملايين الدولارات. . وكانت النتيجة أن احتل هذا الجيش دمشق ثلاث مرات في عام واحد . .]

-٤-

-لعينيك يا أبا رشيد-

- مواقف القادة والسياسيين المدنيين من الانقلابات العسكرية-

- ١-

. .[قال الصحفي اللبناني، صاحب جريدة الحياة- كامل مروة- عن أكرم الحوراني-

/ إنه مع كل انقلاب، وفي كل انقلاب، وضد كل انقلاب /]

من مذكرات- محمد معروف- الصفحة- ٢٠٨-

-٢-

[وأذكر أنني كنت في دمشق في تلك الأثناء- ١٩٥٧

- أثناء سيطرة الضباط وطرحهم للوحدة مع مصر. م. خ.-

فزرت صـبري العسـلي فلمست ضـعفه في الحكم وتأففه منه، حتى بلغت به الحدة حمله على الذهاب إلى شكري القوتلي والشكوى له مما يلقاه من أولئك الضباط، وقد صاح قائلاً:

- إن جيش حســن الخراط أكثر انتظاما من هذا الجيش الســوري، وأكثر انضــباطا في قيادته، فاســتقل حتى أتبعك، و لنترك لهم الأمر، والا فالحالة لا تطاق .]

من كتاب: ذكريات وخواطر. ،تأليف- أســعد الكوراني. ،الناشــر- رياض نجيب الريس للكتب والنشــر. ،بيروت- ٢٠٠٠- الصفحة- ٣١٣- .

قدمنا، فيما ســبق طريقة الجيش في القيام بالانقلابات الثلاثة خلال عام واحد- ١٩٤٩-، وهو ما ســيتكرر في الانقلابات التالية، ولهذا سنقف اليوم عند نقطة مراقبة أخرى لما حدث، سنقف عند

-مواقف القادة والســياســيين المدنيين- الذين جرت الانقلابات العسكرية ضد- نظامهم-، وستكون العينة، أو نقطة المراقبة الأولى، والتي ســيتكرر مشــاهدها، فيما بعد، ولهذا ســنكتفي بها، ونقدم هنا الموقف، موقف المدنيين، من الانقلاب الأول، انقلاب الزعيم حســني الزعيم، و موقفهم من الانقلاب الأول ســيتكرر، تقريباً، في الانقلابات التالية، ولهذا سنكتفي به ونقف عنده.

-١-

. . . -{ما الخبر يا أديب !

- الشيشكلي منفذ انقلاب حسني الزعيم ميدانيا. م. خ.-

قال:

- قام هذا المجنون بانقلاب عسكري !

- يقصد حسني الزعيم. م. خ-

صمت ولم أتكلم، فبادر أديب قائلاً :

- ما رأيك أن نلقي عليه القبض ونرمي به في السجن؟

- قلت له:

هل انتم قادرون على ذلك؟

وفي هذه اللحظة خرج حســـني الزعيم من غرفته في بهو الطابق الاول ورآني، فأقبل علي وصــــافحني، ثم دخلت معه إلى غرفته. لم أجد معه إنساناً آخر .

قال لي حسني الزعيم:

- نحن قمنا بواجبنا . . . . ومنذ الان مســؤوليتكم بتحقيق الأهداف والغايات التي ناديتم بها وجاهدتم في سبيلها .

قلت له:

- ما أنا إلا طرف واحد، وهناك أطراف أخرى من المعارضـــة لها شأنها وزنها فعليك أن تتصل بها وتبحث معها.} الصفحة- ٩٢٧-

{. . . . ذهبت من بيت فارس الخوري إلى مجلس النواب، فوجدته بحراسة الجيش، ومنه إلى مبنى الأركان المجاور للمجلس، فرحب بي الضباط، ، ولا سيما المقدم بهيج كلاس-

- الكلاس والشيشكلي كانا من الضباط المقربين- المساعدين- من الحوراني، كما يقول باتريك سيل، في كتابه- الصراع على سورية. ص /٦٩ / وكذلك كان، كما يقول- جوردن توري- في كتاب- السياسة السورية والعسكريون- منسق الانقلابين الأول والثاني- الصفحة- ١٥٥- والثلاثة من مدينة حماة- م. خ.- الذي كان معاونا لقائد الجيش، وألحوا علي، ولا سيما المقدم بهيج كلاس في أن أكون بجانب حسني الزعيم ريثما تتألف حكومة دستورية ديمقراطية، وأن ذلك سينتهي خلال أيام، وهم يخشـــون أن يقع الزعيم بأخطاء لا يمكن تلافيها، أو يتورط بأمور تسئ إلى المصلحة العامة }

الصفحة- ٩٣٠-

من كتاب

- مذكرات أكرم الحوراني. ،تأليف- أكرم الحوراني. أربعة أجزاء- الجزء الثاني ١،الناشر- مكتبة مدبولي. القاهرة.- ٢٠٠٠-.

. . وبعد ما تقدم يستمر أكرم الحوراني في وصف تأييد حزب البعث وباقي الشعب والسياسيين للانقلاب، ثم بعد كل ذلك يكتب مستنكرا، اتهامه بالتعامل مع حسني الزعيم

{{ بهذا التصـــور، ولأجل تلك الأهداف، وتلبية لرغبة وإلحاح الضـــباط حضـــرت إلى مبنى القيادة في اليوم الثاني للانقلاب، ولهذا أشـارت بعض الصـحف اللبنانية أن الزعيم عينني مسـتشـارا له }}- الصفحة-٩٣٣-

. . يا لها من

- إشاعة مقاربة للصحة-

. . كما يبدو مما كتب الاستاذ الحوراني، أعلاه .

يلي إكمال التدوين عن هذا الجانب من الموضوع .

- إن الأشـــياء الدنيا موجودة في الأشـــياء العليا، بأكمل مما هي في ذاتها-

الفيلسوف الألماني- جوتفريد لابينتز- ١٦٤٦- ١٧١٦-

-٥-

- مواقف الساسة المدنيين من الانقلاب الأول-

- القسم الثاني-

- موقف الساسة المدنيين من الانقلاب الأول-.

-١ -

فيما كان الأســـتاذ، أكرم الحوراني، رئيس الحزب الاشـــتراكي العربي، و عراب الضـــباط المســـيســـين،- يعاون الزعيم-، ويكتب بلاغاته، كان الأسـتاذ فارس الخوري يحاول إيجاد- مخرج دسـتوري- للزعيم ويفاوض القوتلي، رئيس الجمهورية، ورئيس الوزارة، وزير الدفاع، خالد العظم، المســـجونين في ســـجن المزة، على الاســـتقالة، ويسعى في ان يقنع النواب بـ

- السير مع الأمر الواقع-

، كانت مواقف باقي الأطراف السياسية تتوضح وتعلن، ونعرضها، كما يأتي بـ

على الشكل التالي:

-٢-

فيما يلي نقدم مواقف الأحزاب والأطراف والأحزاب والقيادات المدنية السورية من الانقلاب الأول عام- ١٩٤٩-، وهو الموقف الذي سارت عليه هذه الاحزاب والأطراف والقيادات المدنية السورية في التعامل مع الانقلابات العسكرية التالية في سورية، مما شكل التجربة السياسية السورية خلال السبعين عاما الماضية- ١٩٤٩- ٢٠٢٢-، أو مما رسم معالها ومآلها الذي وصلت إليه، والذي وضعت أساسه خطوة الانقلاب الأول، وموافقة الساسة المدنيين عليها- كما سنرى- والسير معها، أياً كانت مبرراتهم واجتهاداتهم وقتها، فنحن اليوم نقف في

-موقف المؤرخ-

المؤرخ الذي لا يريد للتاريخ، كما للبشر أن يكرروا، أنفسهم، أو- حماقاتهم، على الأصح .-

ولسنا في موقع الصحفي، متابع الأحداث في زمنها وظروفها، لكننا نتذكر قول الفيلسوف الألماني- لابينتز- أعلاه، والذي يفسر بأن-

تلك الثمرة الأخيرة إنما أتت من تلك البذرة الأولى-

وهذا المآل كان، كما ترون وتعيشون اليوم

-- تدمير هذه الدولة السورية--

أو تدمير ما وصفه ساطع الحصري- ١٨٨٠- ١٩٦٨- عام- ١٩٦٣- إثر انقلاب الجيش وحزب البعث، آنذاك، في كتابه- الاقليمية- الصفحة- ١٥٢-

-- الكيان السوري--

أو ما سماه الكاتب الأكاديمي والدبلوماسي الهولندي نيكولاس فان دام-

- تدمير وطن-

كما عنوان كتابه الصادر- ٢٠١٨-

- تدمير وطن .

الحرب الأهلية في سورية-

. . . .

- ٣-

[أكثرية النواب الساحقة تتفق على التعاون مع الزعيم .

وقد صـــرح الأمير عادل- عادل أرســلان، نائب قضـــاء الجولان، فوضـه اجتماع لثمانين نائبا من المجلس النيابي في اليوم السـابق- حق- التحدث باسمهم. م. خ.--

للصحفيين بقوله

- لقد تداولنا الرأي في الوضــــع الحاضـــر وأبدى كل نائب رأيه، وأخيراً اتفقنا على أن يُعهد إلى لجنة مؤلفة من دولة الأســـتاذ فارس الخوري والأمير عادل أرسـلان والأسـتاذ مصـطفى برمدا، للاتصـال بعطوفة القائد العام للجيش والقوى المســلحة الزعيم حســـني الزعيم، والبحث معه في أمر تأليف وزارة قومية .

وقد فوض النواب دولة الخوري- فارس- بالنظر في تعديل الدستور بما يخص بانتخاب رئيس الجمهورية. وبالفعل ذهبت هذه اللجنة على الفور واجتمعـت الى الزعيم في مكتبـه على الفور بوزارة الـدفـاع الوطني اجتماعا غير قصير]

من كتاب

- الانقلاب الأول. بشير العوف. الصفحة- ٤٠-. مصدر مذكور سابقاً.

- نقد ذاتي للأستاذ- خالد العظم-

أحد المشــاركين في هذه التجربة من بدايتها في الانقلاب- ١٩٤٩-، حتى جرى الانقلاب على حكومته في عام- ١٩٦٣-.

. . لكن، هنا، وقبل أن نتابع، ألا يحق لنا، بعد تذكر قول- لابينتز- الفيلسوف الألماني، ان نتذكر أيضاً، قول ذاك الألماني الآخر

- كارل ماركس ١٨١٨- ١٨٨٣- في كتابه

- الثامن عشر من برومبير- .

{ . . . فإن الأمة والمرأة لا تُغتفر لهما تلك اللحظة التي تفقدان فيها الحذر، ويتمكن أول مغامر يمر بهما من أن ينتهكهما. }.

-٦-

القسم الثالث-

- - ١

" إن الناس يصـــنعون التاريخ بيدهم، ولكنهم لا يصـــنعونه على هواهم. إنهم يصـــنعونه في ظروف لا يختارونها هم بأنفســـهم بل في ظروف يواجهون بها، وهي معطاة ومنقولة لهم مباشرة من الماضي.

من كتاب

- الثامن عشـــر من برومبير . ،تأليف- كارل ماركس . ،الصـــفحة الأولى من الكتاب. ،- متعدد الطبعات .

اميل إلى الرأي القائل أن التاريخ يصـــنعه البشـــر بخياراتهم وتصـــرفاتهم ومواقفهم وخياراتهم وهذه هي سـيرورة التاريخ، وبالتالي فالبشـر هم مسـؤولون. وهم- البشـر- في كل لحظة وموقف وخيار أو فعل في الحاضر، ومنه نحو المستقبل يقفون، سواءً في الحياة الفردية، أو الحياة الإنســـانية العامة، إنما يقفون على مفارق طرق متعددة، والمســتقبل، أو النتيجة، يتوقفان على الطريق الذي قرروا الســير فيه، أيا كانت ظروفهم وخياراتهم التي قد لا تتوضـح نتائجها إلا على المدى البعيد.

ضمن هذه الرؤية عالجت موضوعي الذي يتألف من ثلاثة فصول هي

١-- الجيش- الانقلاب العسكري- والسياسة.

٢-- موقف المدنيين من الانقلابات العسكرية.

- -٣ مواقف المثقفين و وتنظيرات-المؤدلجين- الفاعلين- العرب من ولظاهرة الانقلابات العسكرية.

. . والجزء الثالث مؤجل تقديمه إلى مناسبة، أو فترة أخرى، لإعادة تجميع مصادري وأوراقي حول الموضوع، بعد أن بعثرتها، عندما عدلت عن المشروع. في إحدى الفترات.

-٢-

. . . رأينا في الكلام السابق كيف أيدت غالبية القوى السياسية السورية الانقلاب الأول، ثم سارت على النهج نفسه، في التعامل مع كل الانقلابات التالية، باستثناء الحزب الشيوعي السوري الذي عارض الانقلابات الثلاثة الأولى، ربما لأنها هي التي بادرت إلى مهاجمته أولا، لكنه ما لبث، بدءاً من انقلاب أيلول- ١٩٦١- أن أيد ظاهرة الانقلابات العسكرية، ثم شارك في حكوماتهما منذ انقلاب- ٢٣ شباط- ١٩٦٣-، حتى لا يفوته القطار.

. . فيما حدث، وعبر التاريخ، كما حدث ويحدث الآن، تكشفت خطورة، أن لم نقل- خطل- الطريق التي سارت فيه هذه القوى، قياساً إلى النتائج التي أعطاها بالنسبة للجميع من قوى سياسية، وللبلد نفسه، وهي نتيجة لا يمكن لذي عين وضمير أن لا يقول أن البلد قد دمر خلال هذا الطريق، وفي نهايته التي يقبع فيها الآن مضرجا بأشلائه ودمائه.

. . ونتيجة لذلك، وبعد تكشف

- خطأ الطريق-

كان من الطبيعي أن يقوم بعض السياسيين، وفي فترات مختلفة، بمراجعة لما حدث، وأن يقوم بما يمكن أن نسميه

- نقدا ذاتياً-

وقد اخترت، كنموذج- النقد الذاتي الذي قدمه السياسي المدني- خالد العظم- في مذكراته، لسبب بسيط، هو أن خالد العظم هو من الشخصيات السياسية المدنية القليلة التي لا يمكن لأحد، حتى خصومه السياسيين التشكيك في وطنيته ونزاهته، أو ومقدرته كسياسي سوري مستقل.

١-

"إنني أعتبر نفسي أحد المسؤولين عما جرى، كلياً وجزئياً، في سوريا بين / ١٩٤٣ و١٩٥٨ /، فأنا لا أنكر أنني أتحمل، مع غيري قسما من الوزر فيما فقدته بلادي من السيادة والاستقلال. لكن المسؤول الأول هو الجيش بأركانه وضباطه وصف ضباطه.

٢-

. . . . وربما قائل بأن المدنيين هم الذين أفسحوا في المجال للعسكريين وتركوهم يتسلطون ويمعنون في التسلط. و جوابي أن ذلك صحيح، على الجملة لكنه يحتاج إلى شرح وايضاح.

إن المسؤولية الاولى والكبرى يجب توجيهها إلى الحزب الوطني و حزب الشعب. فقد قبل الأول التعاون مع حسني الزعيم، و أوشك أن يتسلم صبري العسلي رئاسة الوزارة لو لم يقع انقلاب الحناوي. أما الثاني فخشي إفلات زمام الأمر منه، فقبل الحكم من يد الحناوي . . .

٣-

. . . . لست أدري إذا كان الحال تغير لو حزم المدنيون أمرهم على عدم التعاون مع العسكريين وتركوهم وحدهم في الحكم. فأي تكهنات من هذا القبيل هو كالرجم بالغيب. لكن إذا تعمقنا في بحث الحوادث نجد أن المدنيين لو فعلوا كذلك، لكان من الراجح أن يتراجع العسكريون عن غيهم تراجعا كاملا أو جزئيا، على الأقل. بل أميل إلى الجزم بأنهم كانوا خضعوا خضوعا تاما لو رافق وحدة صفوف

المدنيين نزع حزبيتهم الضيقة، والعدول عن توخي المصلحة الخاصة، والترفع عن التنافس على الرئاسات .((

من كتاب

- مـذكرات خـالـد العظم، الجزء الثـاني. ٢٧١ /٢٧٢ / ٢٧٣- الصفحات-

. . . .

أخيراً كانت النتيجة لأحد الانقلابات العسـكرية في أوائل عام- ١٩٥٨- الذهاب إلى القاهرة، ومن ثم كان أن

- قرئت الفاتحة-

بعد- موافقة- الرئيس جمال عبد الناصـر، على الوحدة مع سـورية- مع الضباط، حقيقياً،

بعد شرطين

- صغيرين، فقط لا غير-؟!

والشرطان هما

١-- حل الأحزاب السياسية في سورية .

٢-- عدم تدخل الجيش في السياسة . . .

وكـأن عمليـة أن يقوم هؤلاء الضـبـاط، دون الرجوع إلى قيـادتهم السياسية، بــ

- قراءة الفاتحة على إبرام الوحدة-

ليست عملاً سياسياً للعسكريين .

ملحق

لعينيك يا أبا رشيد-

- كيف صفى الجيش السوري نفسه-

صـفحة- صـورة- لأسـماء عدد كبير من ضـباط الجيش السـوري الفاعلين- سـياسـياً وانقلابياً- منذ انقلاب حسـني الزعيم الأول، إلى

الانقلاب على الشيشكلي أي الفترة ما بين- ١٩٤٩- ١٩٥٤-، /خمس سنوات /، وبجانب اسم كل واحد من هؤلاء الضباط- مصيره- حتي نهاية هذه الفترة، وهي مثال لما حدث من- أبعاد وتصفية- لضباط الجيش في الانقلابات التالية، بحيث كان تاريخ الجيش، هو تاريخ تصفية ضباطه، بمختلف الوسائل، بما فيها الاغتيال، خلال كل تاريخه، اذ كان عقب كل انقلاب ناجح، او فاشل، يسرح مجموعة من الضباط، مما أفقد هذا الجيش هذا الناشئ الانضباط والفاعلية والخبرة العسكرية القتالية، والتقاليد العسكرية، اللهم إلا إذا اعتبرنا- الانقلابات العسكرية- كانت تقليداً خاصا بهذا الجيش.

الصفحة من مذكرات خالد العظم. الجزء الثاني.- الصفحة- ١٨٨-

.

من العسكريين الموجودين في الخدمة الفعلية .

ان الجيش يا صاحب الفخامة في توتر وهياج من جراء ما حدث ، وسيزداد هياجا وتوترا كلما طال التأخير في تحقيق المطالب المذكورة اعلاه . واننا اذ نرفع شكوانا ومطالبنا الى مقامكم ، فاننا نرفعها الى زعيم البلاد وسند الجيش وقائده الاعلى . وقد عودتمونا في كافة المناسبات على الكثير من رحابة صدركم وتفهمكم العميق لهذا الجيش الذي يدين لكم بالولاء التام والثقة العمياء . حفظكم الله ذخرا وسندا وللعروبة ملاذا وللاسلام رصيدا وهدى . (بدون تاريخ)

قائد اللواء الثاني ــ المقدم محمد صفا (سرحه الشيشكلي) ، قائد اللواء الاول العقيد سامي الحناوي (قتله ابن البرازي) ، قائد الجيش العام ــ حسني الزعيم (قتله الجيش) ، آمر سلاح الطيران ــ العقيد صلاح خانكان (سرح) ، آمر المدفعية المقدم كرو مالوكيان (اصبح زعيما ثم سرح) ، قائد اللواء الثالث ــ العقيد فوزي سلو (عين رئيسا للدولة من قبل الشيشكلي ثم احاله على التقاعد) ، معاون آمر اللواء ــ المقدم اديب الشيشكلي (اصبح رئيسا للجمهورية ثم هرب) ، قائد اللواء الرابع ــ المقدم بشور (سرحه الشيشكلي) ، قائد موقع دمشق حسام الدين عابدين (سرحه الشيشكلي) ، معاون الاركان ــ المقدم بهيج الكلاس (سرحه الشيشكلي) ، رئيس شعبة العمليات ــ الرئيس عدنان المالكي (سجنه الشيشكلي ثم سرحه ثم قتل) ، معاون آمر اللواء الاول ــ المقدم عمر خان تمر (عين قائدا لموقع حلب ثم سرح ايام حكومة العسلي الاولى) ، آمر كتيبة الفرسان الاولى ــ المقدم محمود شبيل (سرحه الشيشكلي) ، آمر فوج المشاة الاول ــ الرئيس محمود شوكت (رفع الى رتبة مقدم ثم سرح) ، آمر فوج المشاة الثاني ــ الرئيس فؤاد الاسود (رفع زعيما ثم سرحه الشيشكلي) ، آمر فوج المدفعية الثالث ــ الرئيس باسل صوايا (سرح) ، آمر كتيبة الفرسان الثالثة ــ المقدم جميل ماميش (سرح) ، آمر الفوج الكردي ــ الرئيس قوطرش (سرح) ، آمر المشاة الخامس ــ الرئيس موفق القدسي (رفع مقدما ثم سرح) ، آمر فوج المشاة الرابع ــ الرئيس سورا (؟) ، آمر فوج المدرعات الثالث ــ الرئيس شوان (؟) ، آمر فوج الشرطة العسكرية ــ الرئيس ابراهيم الحسيني (رفع عقيدا ثم سرح وحكم عليه) ، آمر فوج المدفعية الاولى ــ الرئيس سطعيس (؟) .

وفيما يأتي ملاحظاتي على مذكرة الضباط :

١ ــ المذكرة تتضح بالرياء تملقا لرئيس الجمهورية واستجلابا لعطفه ودعمه مطالب الضباط . وهي محشوة بالجمل التي تثير ارتياح الرئيس وتلمس اوتار عنفوانه الخاصة .

٢ ــ يحاول واضعو المذكرة تركيز الاهانات والاتهامات التي

- لعينيك يا أبا رشيد –

II- من الجيش إلى الحزب الواحد، الجنرال الواحد

- ســتون عاماً ... شــهادة شــاهد عيان من شــرق البحر الأبيض المتوسط -

١٤ مارس ٢٠٢٣ ، الساعة ٢:٣٤ م

- يوميات هذه الأيام- .

- ١٩٦٣ ÷ ٢٠٢٣-

- ســتون عاماً... شــهادة شــاهد عيان من شــرق البحر الأبيض المتوسط -

" تصور يا عزيزي محمد أن نقضي عمرنا كله في ظل هذا النظام ؟ ! "

- عبارة ، و بالحرف الواحد ، كثيرا ما خاطبني بها سعدالله ونوس خلال ثمانينيات القرن العشرين- .

في مثل هذا الشــهر منذ ســتين عاماً قام انقلاب- ٨- آذار- على حكومة- خالد العظم- وكنت وقتها- صبي دكان- ، يعيش في مدينة تقع- شـرق البحر الأبيض المتوسـط- طرطوس- متأثراً بآراء وأفكار الوالد التاجر- الانفصـالية- ، وكان الوالد التاجر قد زرع في الصـبي حب اثنين ، فقط لا غير ، هما- بدوي الجبل – لشـعره ، و- خالد العظم- لسـياسـاته الاقتصـادية والليبرالية عموماً ، وكان عمري آنذاك خمسـة عشـر عاماً ، أي أنني كنت أدرك ما حولي ، وأحاول المشـاركة به ، وربما لهذا أحضر صبي الدكان هذا- صاحبنا ، للمشاركة السياسية ،- قطعة طبشـور- من المدرسـة وكتب به على عمود الكهرباء مقابل الدكان

- يسقط جمال عبدالناصر- .

كنت قد ظننت ، مع غيري ، وقتها أن هذ- انقلاب ناصري- ، ضد حكومة- خالد العظم- ، ودارت الأيام وصفى البعثيون شركاءهم الناصريين ، سريعاً ، ثم صفى البعثيون بعضهم بعضاً ، في عامي- ٦٦- ٧٠- ، وخرج جمال عبدالناصر من اللعبة كلها مكلوماً ، وتغير فهمي لعبدالناصر ورؤيتي له ولدوره ومكانته ، وأجد نفسي اليوم مضطراً لأن اعتذر لناصر عن

- يسقط-

هذه الآنفة ذكراً ، إذ كان يجب أن أضع مكان اسم جمال عبدالناصر اسما آخر ، .. لكن من كان بإمكانه رؤية المستقبل ، خاصة في مثل عمري آنذاك ؟! .

في عمري كله ، وفي وعيي السياسي لم أرتح لحزب البعث في يوم من الأيام ، ربما لأسباب منها أن- خالد العظم- بقي في وعيي ولا وعيي السياسي- بطلي- السوري .. ثم أضفت إليه فيما بعد- عبد الرحمن شهبندر- ، وربما لأنني انتحيت وجهة نظر ماركسية فيما بعد ، وربما لأنني لم أر ما تحقق من ثالوث البعث

- وحدة حرية اشتراكية -

خلال حكمه ، إلا حكم الحزب الواحد ، أو الجنرال الواحد ، أو العصبية الواحدة ، كما شرحها وحللها عالم الاجتماع وفيلسوف التاريخ العربي- ابن خلدون- قديماً ، ثم استبدال النظام الملكي بالجمهورية .

أما الآن ، وبعد ستين عاماً ، فإني أجد سبباً ومصداقاً ، و- علة كافية- على لغة الفلاسفة ، في عدم ارتياحي- التاريخي- للبعث وفترة سيطرته كلها ، في الواقع الذي تعرفونه وتعيشونه ، عربياً وسورياً ، وهو واقع يمكن تمثيله برجل تسلم بستانا صغيراً قابلاً للزراعة والتشجير على الشاطئ الشرقي الجميل للبحر الأبيض المتوسط ، لكنه حول هذا البستان الصغير ، وخلال ستين عاماً ، من- عدم العناية- ، تحت وهم- الاعتناء- وفهم الثورة ومقاومة الاستعمار والصهيونية والرجعية و التجزئة ، في هذا البستان ، صادف أن كنت فيها ، مع الأسف الشديد ، في موقع

- الشاهد العيان -

في ، ولهذا البستان شرقي البحر الأبيض المتوسط ... ، أقول

لقد حول هذا البستاني البستان الصغير إلى مقبرة ، ومكب كبير للقمامة ، وحفرة لرمي مخلفات- حطام الأبنية – المدمرة ، وملعب لمن شاء من الجيران القرباء والغرباء ، أن يلعب بالنار المحرقة على عشب هذا البستان ، أو بين شجره الغض الصغير .

... أما بعض الأزهار والورود التي قد ترونها ، بين زاوية وأخرى في هذا المكان ، فهي مثل الورود التي تنمو في المزابل ، أو المقابر ، أو مثل الأزهار البرية التي تنمو في الخرائب المهجورة ، والتي تنمو بقوة الحياة وجهدها ، فقط ، وليس بفعل ، أو عناية أحد ما .

فيا ليتني لم أحضر هذه- الحفلة- ، وليتني لم أكن هذا

- الشاهد العيان- .

...، لهذه الستين عاماً ألـ .....

... ضعوا الصفة التي تختارون .

- الحاج القديس شهاب الدين مثل أخيه-

٢٠٢٣/٣/٢٠

- الحاج القديس شهاب الدين مثل أخيه-.

-١ -

...))ذهب البعض الى القول بأن البندقية سيطرت على المحاربين الفرنسيين- الذين كانوا يسمون حجاجا- . فجعلتهم يحققون مأربها الخاصة في الثأر من القسطنطينية واليونان معا((.

الصفحة-١-

-)) -٢ لكل هذه عزمت عزما أكيدا على ألا أبرح مملكة بيت المقدس، بأي حال من الأحوال، وهي المملكة التي جئت لحمايتها وإعادة فتحها ((

- من كلام الملك- القديس-الحاج لويس- م . خ.

الصفحة- ١٩٧-
من كتاب
- مذكرات جوانفيل
- القديس لويس ، حياته حملاتها على مصر والشام.
- ترجمة وتعليق- الدكتور حسن حبشي.
الناشر- دار المعرف بمصر- ١٩٦٨-

هذا الكتاب هو مذكرات الفارس الفرنسي- جوانفيل- عن ذكرياته ومشاركته في- الحملة الفرنجية- الصليبية- للملك الفرنسي لويس على مصر والشام . وهي الحروب التي سماها العرب- حروب الفرنجة-، أثناء وقوعها، وسميت فيما بعد- الحروب الصليبية- .

لفت نظري، وأود أن ألفت نظر القارئ الكريم، في النصين اللذين أوردتهما آنفا، أن المقاتلين الفرنجة في هذه الحروب كانوا يسمون في وثائق وأدبيات الفرنجة، في تلك المرحلة- الحجاج-، أي أن عملية مجيئهم وقتالهم هي عملية واجب و- حج ديني-، وأنهم جاؤوا إلى سورية ومصر- وتونس،في حالة الملك- لويس- ، لحماية- الأرض المقدسة-، وتخليصها من محتليها.

كل قارئ يقرأ، ومهما كان يقرأ، خصوصا في كتب التاريخ ، فأنه يقرأ بعيون الحاضر والراهن والزمن المعاش، بل وأحداث حياته التي يعاصرها، فقارئ التاريخ أنما هو- متذكر- للحاضر ، واعيا، أو غير واع، وألا ما فائدة القراءة إذا لم تفدنا- بشكل ما، وحسب مانحتاج، أونهتم- في حياتنا ؟!

..ربما لهذا السبب كان طبيعيا أن أتذكر القديس- الحاج قاسم سليماني والقديس الحاج عماد مغنية- ومجيئهما الى سورية والعراق، بحجة- حماية الأماكن المقدسة-، وأنا أقرأ عن مجيئ- الملك الفرنسي الحاج- القديس- لويس-، والفارس الحاج- جوانفيل- كاتب هذه المذكرات، إلى مصر وبلاد الشام، بحجة- حماية الأماكن المقدسة-.

..وقس على هؤلاء الحجاج المقدسين من الفرنجة والأيرانيين،- الحجاج الروس والأفغان والأمريكان والأتراك وحزب الله اللبناني-

ومن على شاكلتهم، ممن يسيرون اليوم على- درب الألام السورية- غير المقدس ...هذا.

..ربما ،الأن، بدأت أفهم لماذا يحابي و-يدلل- بعض الكتاب الاوربيين الأيرانيين قائلين

- الفرس هم فرنسيو الشرق-

..ألم يعنون الفيلسوف الفرنسي من القرن الثامن عشر كتابه الذي يتضمن انتقاد الأوضاع الفرنسية في العهدالملكي بعنوان

- رسائل فارسية- ؟!

وكما ترون.....

التسميات والأوصاف والأهداف والحجة هي نفسها، على الرغم من مسافة الزمن، من القرن الثالث عشر، إلى القرن الحادي والعشرين، أو اختلاف البشر من فرنسيين الى ايرانيين، أي بين- هذين الحجين- الحملتين- العسكريتين لهؤلاء الناس- المؤمنين-، أو هؤلاء

- الحجاج والقديسين- الفرنسيين والأيرانيين.

أنها طريقة، أو- ميكانزم- في القراءة، لا أحد يستطيع تجنبها، فيما أظن، أو أنني- شخصيا، على الأقل- لا يمكنني ذلك .

...هكذا التاريخ، لا يعيد نفسه، كما يدعي بعضهم، لكن البشر هم الذين يكررون حماقاتهم التي تأتي في المرة الأولى على شكل- مأساة، وفي المرات الثانية وما بعدها، على شكل- مهزلة-.

١- التاريخ من فوق

٢٠٢٢/٨/٢١

*مقدمة ، مدخل .

- عن مناهج كتابة التاريخ عند العرب-

منذ شهرين *دونت وجيزا عن الكتاب العرب القدماء، وخصوصا في بلاد الشام، الذين دونوا تواريخ- الأزمنة والأمكنة- على شكل- يوميات-، أي الحوادث اليومية للناس العاديين-، كما دونها الكتاب الذين مارسوا- عفويا- أو- بشكل لا واع-، ما سمي فيما بعد:

- التاريخ من تحت-

وفي الأسبوع الماضي دونت أمثلة عن وممن مارس- واعيا- في القرن العشرين، هذا النوع الشعبي- الاجتماعي من التاريخ حديثا في سوريا، وأبنت دلالة هذه المقاربة للتاريخ.

وكما هو واضح كلا التدوينين كل يتتبع طريقة ومنهج

- التاريخ من تحت-

أي نهج الكتابة بـ

- أقلام- الحياة اليومية، أوعنها- .

آمل خلال الأيام القادمة أن أدون معلومات وأمثلة عن الطريقة الثانية التي كتب بها المؤلفون العرب التاريخ العربي، أي الطريقة التي يمكن تسميتها بـ

- التاريخ من فوق-

وهي الطريقة التقليدية والأكثر شيوعا وقراءة عند مختلف الأمم :

- التاريخ من فوق-.

أي التاريخ المكتوب تحت تأثير السياسة والحكام والملوك والرجال المميزين والحوادث الكبرى، وهي الطريقة الرسمية التي تقدم وجهة نظر الحكام، غالبا.

. . وبهذا آمل أن أقدم دليلا وجيزا، ومنهجا مساعدا، لمن شاء، لقراءة التاريخ العربي في مختلف الأزمنة والمناهج .

ـ كتابة التاريخ في الثقافة العربية ـ

٢٦ فبراير ٢٠٢٢

أواســـط ســـتينيات القرن العشـــرين، وكنت في المرحلة الثانوية، اشتركت في مجلة- المعرفة- السورية، وكان من أوائل ما لفت نظري- تحقيق- أو- استفتاء طرحته المجلة، وكان محررها آنذاك الأستاذ- فؤاد الشايب- ١٩١١- ١٩٧٠-، وهو صاحب المجموعة القصصية الرائدة في سورية

- تاريخ جرح- ١٩٤٤- .

كان موضـوع، أو عنوان-التحقيق- أو موضـوعه، الذي شـارك فيه على امتداد عام تقريبا، مجموعة من المؤرخين والمثقفين العرب

- كيف نكتب تاريخنا القومي. .؟-

. كـانـت هذه أول مرة- أتـابع قراءة- فيهـا، على مدى عـام كـامـل، موضوعا محددا واحدا هو

- التاريخ-

، وهذا ما شكل بالنسبة لي من يومها- درسا وتدريبا- منهجيا مهما في طريقة القراءة والدراسة كرست له حياتي من يومها، والى الأن.

فيما بعد صـــدر هذا- التحقيق- في كتاب مســـتقل عن وزارة الثقافة السورية عام- ١٩٦٦- .

بالطبع لم أدرك، آنذاك، المغزى الســـياســـي لهذا التحقيق، وهو ان مثقفي تلك المرحلة القومية كانوا يريدون، آنذاك، كتابة التاريخ العربي من جديد، أي من وجهة نظر هي

- القومية العربية-

عالية الصـــوت آنذاك، والمتربعة في الحكم، في أهم البلدان العربية وتحكمها

- أحزاب وأيديولوجيات قومية- مثل مصر. سوريا. العراق، مثلما لم أدرك، وقتها- ما أدركته بعد سـنوات طويلة من القراءة، وبعد أن تخرجت من الجامعة، المغالطة المتضمنة في هذا السؤال

- كيف نكتب تاريخنا؟-

. . وكأن- تاريخنا- غير مكتوب!! ،

أو أن الأسئلة الخاطئة، أو المغرضـة ألو- الموجهة- تقود حتما إلى أجوبة- خاطئة-، او موجهة، أو متضمنة في السؤال .

كان السـؤال مكتوبا- موجها- بطريقة موحية بالإجابة، ويشـير الى ان التاريخ العربي مكتوب بطريقة غير مرضـية لأصـحاب الفكر القومي السائد والمسيطر والحاكم وقتها.

لكن المهم أنني، وفيما بعد، عرفت، بعد أن اتسع أفق تفكيري بعض الشـيء، وصـرت قادرا على التفكير المسـتقل والقراءة النقدية، أن السؤال الحقيقي يجب أن يكون، أو هو

- كيف نقرأ التاريخ وكتبه-

. . عموما، وليس

- تاريخنا-

فقط، ومن وجهة نظر- قومية فقط .

. . المهم أن السؤال سكنني من يومها، على الرغم من تبدل صوغه الجديد، فيما بعد، بعد أن اتسـعت مطالعاتي في التاريخ، وخصـوصـا تاريخ الحضـارات، وفلسـفة التاريخ، والفلسـفة عموما، مع العلم أن اهتمامي، وقتها، كان مركزا أكثر على القصة القصيرة والفلسفة .

هذه الاهتمام بالتاريخ وكتبه، مثل شـغفي بقراءة الفلسـفة وتاريخ الحضـارات، كان بالنسبة لي هواية وشغفا في القراءة، ولهذا لا أدعي أبدا، عندما أدون في موضـوع التاريخ اليوم، أنني- مؤرخ-، لكنني أدون ما أدونه من وجهة نظر شخص شغوف هاو، فقط لا غير، ودون أي- أدعاء-، أعرف، أكثر من غيري، أنني لست مؤهلا له .

على كل حال قراءة التأريخ من خلال سؤال

- كيف نقرأ التاريخ؟-
قادتني إلى سؤال أخر
- كيف ومن كتب التاريخ؟-
. . وبالطبع كانت كتابة
- التاريخ العربي-
بالنسبة لي، هي المعنية بالسؤال. . والبحث .
. . فكيف كتب هذا التاريخ في الثقافة العربية، وكيف نقرأ هذا المكتوب

-٢

٢٠٢٢/٢/٢٧

- كيف تكون اللاحم الإسلامي كأيديولوجية للسلطنة العثمانية، وكيف انفرط هذا اللاحم ليحل محله- اللاحم القومي- في السلطنة- .

- لا يا ابني. . لا تغلط. . الأتراك ليسوا أجانب. . الأتراك مثلنا اسلام .-
. . هذا ما قالته لي امرأة عجوز- أمية- كنت أسكن عندها في حلب أواسط سبعينيات القرن العشرين.-
. . ولكن لنقرأ
-١

[امتدت الإمبراطورية العثمانية إلى الأراضي التي تشكل في الوقت الحاضر معظم الدول الأعضاء في الجامعة العربية خلال عهد- سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠-. . ومع الاضافة الجديدة، كانت الغالبة العظمى من الشعوب التابعة للحكم العثماني، ربما للمرة الأولى في تاريخها. . . . وبدا أن رقي الإسلام كأيديولوجية للدولة العثمانية ومصدر شرعيتها قد فعل فعله. . لكن العرب السنة أقروا بأنهم قد شاركوا في استمرارية الإمبراطورية، و بأنهم يتضرعون من أجل نجاحها. ويتناقض هذا الترابط بشكل كبير مع الازدواجية التي كان

إسلافهم يشعرون بها نحو سلطنة المماليك التي أسقطها السلطان سليم في عام-١٥١٧-] الصفحتان-٣٩- ٤٠- .

- -٢

[وافق المسـلمون السـنة بأن مكانتهم في الإمبراطورية كانت مصـانة، وكانوا يعتبرون مؤسـسـات الإمبراطورية مؤسـسـاتهم، و بدرجات حاسمة متفاوتة] الصفحة- ٧٢-

-٣

[. . يمكننا أن نسـأل- لماذا اسـتمر الحكم العثماني في الأراضـي العربية. . .؟. . ويبدو أن الإجابة عن هذا السـؤال تكمن في القوانين التي طبقها النظام العثماني في القرن الأول من حكمه. وبشـكل أكثر حسما، أنه يستند إلى الشرعية التي كانت النخب المسلمة السنية ترغب في إضـفائها على السـلاطين العثمانيين، ولولا ذلك التعاون لأصـبحت هيمنة البيت العثماني على حياة المنطقة السـياسـية ضـعيفة في أحسـن الأحوال.] الصفحة- ٧٠-

من كتاب

- عرب الامبراطورية العثمانية، تاريخ ثقافي واجتماعي. ١٨١٦-١٩١٨-، تأليف-بوس ماستر. ، ترجمة- عبدالحكيم ياسين. ، الناشر- دار الرافدين- بيروت- بغداد- -٢٠١٨

المترجم غير متمكن من موضوعه. .

أما الكتاب الثاني

- الحركة القومية العربية بعيون عثمانية. ، تأليف- حسـن قيالي- كيالي. م. خ- .، ترجمة- فاضل جتكر. ، الناشر- دار قدمس- دمشق- ٢٠٠٣-. فهو يعـالج كيف انفكـت عرى-اللاحم الإسـلامي- في الإمبراطورية العثمانية، بعد ظهور فكرة- اللاحم القومي- وخصـوصـا بعد سيطرة حزب الإصلاح الترقي القومية التوجه، تركيا-، بعد الثورة على السلطنة- عبدالحميد- عام- ١٩٠٨-

مع العلم أن منشور انطلاق- الثورة العربية- للشريف حسين سوغ حركته

بـ

- خروج جمعية الاتحاد والترقي-

الحاكمة آنذاك عن الإسـلام، قبل أي سـبب آخر، وحتى أهم تحرك قومي عربي سـياسـي، أعني مؤتمر باريس عام- ١٩١٣-، لم يطالب بالانفصال عن السلطنة، بل طالب بـ اللامركزية- في الحكم .

٣-

٢٠٢٢/٢/٢٧

- الموجود في الأذهان. . والموجود في الأعيان- .

سبق لي في كتاب-

إعادة تكوين سورية، وردة أن قنبلة؟- دمشق- ٢٠٠٥-

أن نقلت قصة تكوين

- الكيان السوري-

كما يسـميه، وكما يرويها أحد مؤسـسـي هذا الكيان، وهو المفكر القومي العربي- سـاطع الحصـري- ١٨٨٠- ١٩٦٨- وكيف تكون هذا الكيـان بعـد عمليـات متتـاليـة بين-التمزيق والتلزيق- مـا بين عـامي- ١٩٢٠- ١٩٤٦-، أي بعد تقوض الإمبراطورية العثمانية

والانفصال عنها، ولهذا لا داعي للتكرار هنا، وقد قال، أو وصف- الدكتور غسان سلامه- في أحد كتبه حين الحديث عن سورية هكذا

- سورية، أو ما تبقى-

أي مـا تبقى بعـد عمليـات التمزيق والتلزيق التي قـام بهـا الانكليز والفرنسيين والأتراك ل

- سورية الطبيعية- .

هذا- الكيان الملفق والملزق في تكوينه- تعرض لضـــغوط كبيرة حللها- باترك سيل- في كتابه الشهير

- الصراع على سورية-،

وجوهر هذا الصـــراع أن لا أحد، إلا القلة، كان مقتنعا بهذا الكيان الوليد، حتى من سكانه، فبعضهم يريد وحدة مع العراق، وبعضهم يريد وحدة مع مصـر، والملك عبدالله في الاردن يريد ضـم هذا الكيان اليه، وحتى بعض حكام هذا الكيان مثل- جميل مردم، و الشـيشـكلي وربما ســعدالله الجابري كانوا- متوجســين- من ضـــم- الجبلين-ألى الاتحاد الســوري، وكذلك كان بعض سـكان الجبلين يريدون- كيانات صـغرى خاصـــة بهم، وعندما انفجرت أزمة الإخوان المســلمين في ثمانينيات القرن العشــرين، ســارعت كل- طائفة في ســورية إلى إبراز نفســها وتشكيلاتها المستقلة، كما يذكر من عاصر تلك الأحداث.

من هذا يتضـح أن هذا الكيان كان هشـا، ويتعرض لضـغوط داخلية قوية، أضافة إلى الضغوط الخارجية من ناحية، ومن جانب آخر فحكام هذا الكيان المتولين منذ عام- ١٩٤٦- أداروا بلدا غير متألف ومتجانس تاريخيا، و- سكانيا- حيث- بشره- ما يزالون مشردزمين قوميا وطائفيا وطبقيـا ومنـاطقيـا، أنـه- مجموع- غير موحـد حتى في القوانين والاعراف والممارسات الحياتية

، وهذه بعض الأمثلة، وفكروا في دلالة ونتائج الأمثلة الآتية

- -١ كل الوزارات ومجالس النواب و- الشعب- التي شكلت خلال هذا الفترة كانت توزع حقائبها ومقاعدها على أســاس قبلي وعشــائري وقومي وديني وطـائفي حتى أن- فـارس الخوري- كـان يترشـــح في الانتخابات عن مقعد- الأقليات- التي ليس لها تمثيل مســـتقل- قليلة العدد- .

- -٢ بقى قســـم كبير من الأكراد في الجزيرة وغيرها دون إمكانية الحصول على هوية شخصية.

- -٣ كل الدساتير ظلت تشترط في رئيس الدولة أن يكون مسلما.

- -٤ كان يدرس للمسـلمين دروس خاصـة بدينهم، و للمسـيحيين دروس مسيحية.

- -٥ يمكن للمسـلم أن يتزوج مسـيحية، ولا يمكن للمسـيحي أن يتزوج مسلمة، إلا إذا اسلم.

-٦ -لم يتغير اي شـيئ في قانون من الأحوال الشـخصـية، وبقي الرجل مسيطرا، ، والمرأة لا ترث إلا النصف، ولا تستطيع أن تسافر دون- ولي أمر- قانونيا على الأقل.

-٧بقيت بعض المجموعات تطبق تشريعاتها العقائدية الخاصة بها، بما يتنافى مع وحدة التشريع للدولة، او البلد.

هذه الأوضـاع الداخلية المفرقة للجماعات، وغيرها من أمثالها عرقلت، واقعيا وقانونيا وفعليا، اي عملية- أدماج- للسكان، أو تشكيل مجتمع المواطنة الموحد، حيث قانون وتشـريعات وحقوق وواجبات واحدة للجميع، كأفراد، وليس كمجموعات متفرقة- قبلية- بتسـكين الباء- الانتماء، أي أنها وقائع منعت تشـكل المجتمع المدني، وبقيت- الدولة و-السـكان-- مجموعة كيانات متقاربة- فيزيائيا-، لكن غير موحدة، أو مندمجة- كيميائيا-، ولهذا، عمليا وواقعيا- لم يتشكل مجتمع موحد.

للهروب من هذا الوضع والتغطية عليه، كانت الحكومات المتلاحقة ترفع- شعارات-ومطالب كبيرة مثل

- الوحدة العربية، قضية فلسطين.. . -

وأمثالها من هذه الشـعارات والمطالب الجميلة، لكنها غير ممكنة التحقيق في الأوضـاع الاجتماعية الداخلية المتوفرة لمن يطرحها، على الرغم من-نبلها- ألى أن انفجرت هذه- القنبلة- مؤخرا، و ذبحت- الوردة- المأمولة، مع الأسف الشديد.

لابد أن نذكر أن محاولات للدمج الوطني قامت بها أحزاب ونقابات ومشاريع مختلفة، لكن هذه المحاولات ما لبثت أن أجهضت، والحزب الذي رفع شعار المرحلة

أمة عربية واحدة-

مثلا، في عهده برزت، أو تفاعلت وفعلت كل هذه الاوضـــاع والتكوينـات واللوينـات والمشـــكلات-التـذرريـة- المـذكورة، وغير المساعدة على الاندماج الوطني.

- مجتمع-، أو تكوينات، أو كيانات، أو حتى- دولة- مثل هذه الدولة والمجتمع، لا يســتطيع يصـــمد في وجه التحديات و الهزات الداخلية والخارجية. ببساطة سيتفتت هذا المجتمع، ويتفجر، وهذا ما يحصل، أو هذا ما حصل.

. ببساطة كانت الدولة السورية الحديثة و-مجتمعها-في- الاذهان-، أما في- الأعيان- أي في الو اقع، كما يفرق بينهما الفلاســفة الاغريق والعرب، فلم يكن يوجد إلا

- مجموعات وجمعات-

بشرية لم تستطع، أو لو يتح لها الوقت لتؤلف دولة، أو

-تندمج- في شـــعب- إطار- ودولة مواطنة متألفة، أو واحدة، على الرغم من كل المحاولات والنوايا الطيبة، لكن يبدو أن الشيطان ينتصر في بعض الأحيان.

اخيرا

. . . أقول قولي هذا. . . والقلب يقطر أسى. . والعين تمطر دمعا. . متمنيا أن يبقى المستقبل أفق احتمالات أفضل.

٤-

٢٠٢٢/٣/٢

- الوضع الجيوبولوتيكي الجديد-

قبل الإسلام كانت منطقة الشرق الأوسط وأراضيه و شعوبه ميدان صــراع تاريخي وحروب بين الإمبراطوريتين الفارسـية والرومانية، وبعدها بيزنطة، وكان نهر الفرات هو

- الحد العسكري الحضـاري- الفاصـل بين هاتين الامبراطوريتين، ولم يكن للعرب تاريخ خاص بهم في هذا الصــــراع، وفي هذا العالم

الذي يعيشـــون فيه، وحتى الفترة قبل ظهور الإســـلام مباشـــرة، كان العرب يعيشـــون على هذا الحد الفاصـــل- الواصـــل بين هاتين القوتين المتصارعتين، عسكريا وحضاريا، ومن ثم كانوا يشكلون

- حرس حدود-

لهاتين القوتين، وفي الوسط، إذ كان- الغساسنة- في الشام يعملون لحســـاب- الروم-، بينما كان- المناذرة- في العراق يعملون لحســـاب- الفرس .

جاء الإسلام في هذا الوسط والحد الحدودي الحضاري المتفجر-

وكان ما فعله هو أن جمع

- قوات طرفي حرس الحدود العرب هؤلاء-

من مناذرة وغســـاســـنة وقبائل عربية أخرى في الجزيرة العربية، وشكل بهم ومنهم

- قوة جديدة-

وهاجم إمبراطوريتي الروم والفرس، معا، بهذه

- القوة الجديدة-

ملغيا- حـد نهر الفرات- كجبهـة، وكحـد فـاصـــــل بين قوتين وحضارتين، ومشكلا بهذه

- الاندفاعة المفاجئة-

حدا وجبهة عسكرية جديدة تمتد من حدود الصين إلى حدود فرنسا، عبر ثلاث قارات هي آســـيا وأفريقيا واوروبا، كما حدث، وكما هو معروف .

شـــعب من القبائل المتنابذة المتقاتلة التي تعمل لحســـاب القوتين التـاريخيتين، شـــعب من الرعـاة وأدلاء قوافل التجـارة العـابرة على الطريق الاستراتيجي التاريخي، شريان العالم القديم، أعني

- طريق الحرير-

شعب، ربما كان

- غير محسوب حسابه-

، وغير متوقع فعله، شعب لا تاريخ مستقلا له جاء ذكره في التاريخ للمرة الأولى في القرن التاسع قبل الميلاد، قام بهذا

- الفعل العسكري التاريخي-

وهذه المفاجأة التاريخية الكبرى

تحت راية أيديولوجية جديدة هي

- الإسلام-

، شعب لا يمتلك أي تاريخ

- إمبراطوري-،

أو أي إسهام ومكانة خاصة به في التاريخ، وتوسع مثل هذا التوسع، وظهرت شخصيته المستقلة للمرة الأولى، وبانت أعماله على مسرح التاريخ العالمي، شعب

- جمعه وأطلقه على العالم النبي محمد- ٥٧٠- ٦٣٢- ميلادية وخلفاؤه-

في القرن السابع الميلادي،

كما قال مستشرق إسباني:

[شعب مثل هذا الشعب المتقدم ليشارك في صناعة الحضارة والتاريخ العالميين، كان لا بد له وهو يشيد مؤسساته وثقافته وحضارته وإدارته للإمبراطورية الجديدة من أن يكتب تاريخه الجديد، بل وتاريخ العالم الذي امتد فيه وعليه من وجهة نظره، ومن وجهة نظر

- الوضع الجيوبولوتيكي الجديد-

الذي أنتج مركزا حضاريا وسياسيا وجيوبولوتيكيا جديدا للعالم، بدل المركز الجيوبولوتيكي الحضاري القديم القائم على

- الصراع والتوازن-

بين الروم ولفرس.

. . وماكان فاصلا عسكريا وحضاريا في العالم القديم، أعني

- نهر الفرات-

صار مجرد

-نهر داخلي-

في الوضع الحضاري الجيوبولوتيكي الجديد

. . . كيف كتب، إذن- فاعلو التاريخ هؤلاء، أعني العرب، قصة هذا التاريخ الجديد، قصة الحضارة والعالم الجديد الذي أشادوه، ومن وجهة نظر وضعهم الجديد في العالم، ووجهة نظر رؤيتهم لأنفسهم وللعالم.؟؟.

. . يتبع . .

٥-

٢٠٢٢/٣/٧

- موضوعات كتابة التاريخ عند العرب ودلالتها-

(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)

اسم كتاب في تأريخ كتابة التاريخ وموضوعاته عند العرب للمؤرخ- السخاوي ٨٣١- ٩٠٢- هجرية-١٤٢٧- ١٤٩٧- ميلادية.

. . ويقول- الفريد روزنتال، مترجم كتاب السخاوي هذا إلى الإنكليزية :

[. . .- وقد أقام المؤلف- السخاوي. م. خ- بهذا الكتاب نصبا قيما لعلم التأريخ عند العرب-]

من كتاب

- علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة- الدكتور صالح أحمد العلي. -الصفحة- ٣٧١- الناشر- مؤسسة الرسالة. بيروت- ١٩٨٣- وقد سبقت طبعة أولى للكتاب في بغداد.

. . مثل كل الأمم بدأت رواية- كتابة التاريخ عند العرب بالاستذكار والرواية الشفوية، ومن ثم أتت رواية بعض الحوادث وأخبار، أو أعمال بعض الرجال من الذاكرة، ثم تأتي مرحلة التدوين يوما بيوم، حدثا بحدث وموضوعا بموضوع، و رجلا برجل، ومدينة بمدينة،

وعندما- يتمأسس- الشعب المعني ويستقر في كيانات ومؤسسات راسخة، يبدأ تدوين هذه الحوادث وأعمال الرجال المميزة من الذاكرة، ثم بعد مرحلة التدوين تأتي مرحلة

- فلسفة التاريخ-

وفلسفة التاريخ تعني دراسة مسيرة الإنسان التاريخية من وجهة نظر فلسفية، أي أنها تعني-التساؤل عن دلالة ما حدث ومغزاه وأسبابه ونتائجه، إنسانيا-

على هذا المنوال استذكر العرب تاريخهم الخاص، وكانت حوادث وشخصيات الإسلام الأولى، وشخصية النبي وصحابته هي أول ما بدأ باستذكاره وروايته، ومن ثم بداية الشروع في التدوين بعد

- تمأسس الإسلام والدولة العربية وترسخها-.

بدءا من أواخر القرن الهجري الثاني- الثامن ميلاديا-

بدأ تدوين أخبار النبي و- مغازيه-، كما في كتاب

- المغازي، للواقدي- ١٣٠- ٢٠٧- هجرية-

وأحاديث النبي وأخبار صحابته، كما في- طبقات ابن سعد المولود عام- ١٦٨- هـــ المتوفي عام ٢٣٠ هجرية، وكتابات أخرى تسجل حوادث وأخبار المرحلة الأولى، ثم أتت تدوينات أخبار حوادث مفردة مثل وقعتي- الجمل وصفين-.

ثم أتى المؤرخ الطبري-٢٢٥- ٣١٠- هجرية- في القرن الثالث الهجري ليقوم بأول خطوة منظمة لكتابة التاريخ العام منذ- نشوء الخليقة- وحتى العام- ٣٠٣- هجرية، بحيث يعتبر بعضهم ان كل ما كتب بعد الطبري، هو متابعة لتاريخه، أو- إعادة- لتاريخ الفترة التي دونها، ، إلى أن أتت مناهج وكتب جديدة تبحث عن التاريخ وفيه، في كتب الأدب والكتب الأخرى- غير المباشرة-، للتاريخ.

قام تبويب الطبري لتاريخه على فكرة- مركزية *عالم الإسلام*-

وأن تاريخ البشرية يجد

- مركزه ونهايته- في الدعوة العربية- الإسلامية، الحدث المؤسس للتاريخ العربي، ومن ثم في حوادث تاريخها ومسيرتها، ولهذا بوب تاريخه حسب السنوات

- تاريخ خطي للزمن-

وحسب أخبار الرجال والموضوعات الأخرى، وستستمر هذه الطريقة في التأريخ العربي، بحيث أنتجت، أو- فرعت-، طريقة ثانية هي

- التذييل-

أي أن يأتي مؤرخ تأليف فـ

- يذيل-

على من تقدمه، وهذا يعني أن يبدأ المؤرخ الثاني تاريخه عند- النقطة الزمنية- أي السنة التي وقف عندها تاريخ سلفه، مما أدى إلى

- استمرارية في سردية التاريخ-

عند العرب، وما يعنيه ذلك من استمرارية هذا الشعب في التاريخ، واستمرار وعيه الذاتي لشخصيته ونفسه وحضارته.

طريقة التذييل على المؤلفات التاريخية هذه ستتخذ في القرن السابع الهجري شكلا- ممأسسا- في الكتابة التاريخية العربية .

وهذا موضوع التدوين القادم .

-١- :- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ-، للمؤرخ- السخاوي ٨٣١- ٩٠٢- هجرية-١٤٢٧- ١٤٩٧- ميلادية

-٢- :- علم التاريخ عند المسلمين-، الفريد روزنتال- ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي.

-٣- :- المغازي، للواقدي -٢٠٧ -١٣٠هجرية-

-٤- :- طبقات ابن سعد المولود عام- ١٦٨- هـ المتوفي عام ٢٣٠ هجرية

-٥- :- تاريخ الأمم والملوك-، المؤرخ الطبري-٢٢٥- ٣١٠- هجرية.

التاريخ من تحت

٢٠/٢/٢٠٢٢

- التاريخ من تحت-

- .. صانعوه وكاتبوه ... ومقاربته-

١

تحية إلى الدكتور- عبدالله حنا- Abdullah Hanna

[... كان اهتمام المؤرخين وعامة القراء ، حتى منتصـــف القرن الماضـــي- التاســع عشــر . م .خ- ، منحصــرا في التاريخ الســياســي والدســتوري ، وفي الأحداث الســياســية ، وفي الحرب ، وفي الأســر والسلالات الملكية ، وفي المؤسـسـات السياسية . كان التاريخ ، اذن ، يعنى بصـورة جوهرية ، بالطبقات الحاكمة ......ولم يكن المؤرخ ليهتم بسبر غور حياة جماهير البشرية الغفيرة ، الغامضة ، و نشاطها الخفي ، أولئك الذين قامت رفاهية العالم وسعادته على كدحهم البطئ ، والذين كانوا الأســاس الخفي لذلك الصــرح الســياســي والدســتوري الذي بناه الرجال المشهورون ، الذين يمجدهم المؤرخ تمجيدا]

من كتاب

- نماذج بشرية من العصور الوسطى- .

اسم الكتاب في اللغة الانكليزية هو-

أناس من العصور الوسطى . م .خ- . تأليف- ايلين بور

ترجمة- محمد توفيق حسين .

الناشر- دار الثقافة- بيروت- ١٩٥٧-

الصفحة- ١٥- ١٦-

أوائل ثمانينيات القرن العشـــرين رأيت في واجهة إحدى المكتبات الدمشـقية هذا الكتاب- أعلاه- معروضـا ، فذكرني بكتاب للناقد الأدبي الدكتور- محمد مندور- عنوانه- نماذج بشـرية- ولهذا اشـتريت الكتاب لأرى العلاقة بين كتابين يحملان العنوان نفسه تقريبا .

شـــدني الكتاب الجديد لأنه يتحدث عن- التاريخ- ، تاريخ العصــور الوسطى بطريقة جديدة ، بالنسبة لي ، ومن وجهة نظر ورؤية جديدتين ، فبـدل الملوك والحكـام والحروب والأبطـال والعبـاقرة والأحـداث الفاصــلـة في التـأريخ ، يتحدث الكتـاب عن الحيوات اليومية للنـاس العاديين وكأنها هي ما يصنع التاريخ .

في فترة- اكتشــافي- لهذا الكتاب تعرفت على مســتشــرقة ألمانية اسـمها- اولريكا- ، وقد دلها علي الدكتور- عبدالله حنا- لمسـاعدتها في التعرف على بعض الكتب والمراجع العربية التاريخية النادرة ، وقد ساقتني حماستي- لاكتشافي- الحديث إلى أن حدثت الزائرة عن الكتاب ، فقالت لي انها تعرف هذا الكتاب وتقدره ، وأن هذا الكتاب من مدرسة حديثة في كتابة التاريخ تسمى في ألمانيا

- التاريخ من تحت-

وأضافت

- وعندكم في سورية يتبع الدكتور- عبدالله حنا هذه المدرسة .

كنت قد قرأت كتابا واحدا للدكتور عبدالله حنا عن

- الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام-

وهو كتاب تقليدي المنهج من حيث كتابة- تاريخ الافكار- ، وإن كان فضـل هذا الكتاب علي أنه عرفني على شـخصـيته وتاريخ- سـليم خياطة- واليســار الماركســي غير الشـيوعي في ســورية- ، لكن هذا موضوع أخر .

.. ثم كان أن ازداد تعرفي على الدكتور حنا ، وقرأت كيف يطبق الدكتور هذا المنهج ، وأن كنت أرى أنه يطبقه-أحيانا- بشــكل مغال في- سياسيوسته- وطبقويته- .

لكن الدكتور حنـا يبقى من أهم البـاحثين والمؤرخين العرب الذين يقاربون التاريخ ، ومن وجهة نظر الطبقات الشـــعبية ، وهو من هذه الناحية- رائد- وأستاذ لهذه المدرسة- الرؤية في كتابة التاريخ .

- التاريخ من تحت-

.... وكتب من أمثال:

١- حركات العامة الشــعبية في دمشــق ، في القرنين الثامن عشــر والتاسع عشر .بيروت- ١٩٨٥-

-٢ العامية والانتفاضـــات الفلاحية- ١٨٥٠- ١- ١٩٢٨- في جبل حوران

-٣ الفلاحون يروون تاريخهم في سورية القرن العشرين- دمشق- ٢٠٠٩-.

-٤ دير عطيـة- التـاريخ والعمران من الوقف الـذري ال المجتمع المدني .دمشق- ٢٠٠٢-

أضف إلى ذلك- ملحمته- البحثية- الممنوعة والمصادرة عن-

- تـاريخ الفلاحين في الوطن العربي- دراســـة ميدانيـة عن حيـاة الفلاحين ونضالهم في النصف الأول من القرن العشرين.

أضف إلى ذلك كتب الدكتور حنا الأخرى

..مؤخرا ، في الاعوام العشـرين الماضـية ، وتحت تأثير أفكار- ما بعد الحداثة- التي ترفض ما تسميه- السرديات الكبرى- والاحتفاء بـــ- المتشظي- والمفرد ، وقد ترجم ، او فهم ذلك عندنا كـــــــــ- عودة عن السـرديات- الأفكار الكبرى- من عقلانية وعروبة واشـتراكية وعلمانية وتحديث . .. وغيرها ، والعودة إلى- الوحدات الصـــغرى- من- قبلية وطائفية وعائلية وجهوية- بشكل واع ، أو غير واع ، وقد صدرت في ســـورية كتب كثيرة ، تحـاول أن تؤرخ- من تحـت- لمنـاطق وأفراد وقرى ومدن وتحركات شعبية في النصف الأول من القرن العشرين ، وما قبله ، وكأنها تقارب

التاريخ من تحت-

لكن أغلب هذالكتب ، فيما أرى ، وفيما وصــــل إلي ، لم- يتمثل- ، هذه الطريقة- الرؤية في كتابة هذا النوع من

- التاريخ من تحت-

على الأقل ، على الرغم من شيئ من

- رطانة الحداثة واليسار-

في لهجتها ومصطلحاتها ،

فجاءت هذه الكتابات وكأنها مجرد- تأريخ تمجيدي لـ

- لقبائل وطوائف وعائلات وأفراد-

معينين ، أي كـأنهـا- إخصـــاء- لهذه الطريقـة الغنيـة في التـأريخ وأهدافها وقاعدتها ، أو

- مرتكزاتها وخلفياتها الفكرية-

مما يجعل المرء ، أو يجعلني- شخصيا- أتمنى لمن يتصدى لكتابة هذا النوع من التاريخ أن يقرأ بعض كتابات الدكتور- عبدالله حنا- على الأقل ، ليعرف منطلقات وأهداف وطرائق ، بل والرؤية الفكرية الكامنة وراء هذه المقاربة ، أو هذه الكتابة- للتاريخ- أو وطرائق هذه المقاربة ، كبيرة الأهمية لـ

- للتاريخ من تحت- .

٢

٢١/٢/٢٠٢٢

.. وتحية أخرى إلى كل من

- -١ الدكتور عبدالكريم رافق .

- -٢مجلة- دراسات تاريخية- .

... لم يكن الدكتور عبدالله حنا Abdullah Hanna، موضـــوع تدوين الأمس ، وحده من اهتم برؤية وكتابة

- التاريخ من تحت-

والاعتماد على هذه الرؤية

-الطريقة المنهجية الفكرية- ، والتي هي في حقيقتها نوع من

- التاريخ الاجتماعي-

في مقاربة التاريخ العربي والســوري وكتابته ، لكن بينما شـــدد الدكتور حنا على

- الطبقات الشعبية ، العمالية والفلاحية وقطاع المثقفين-

فقد وســـع زميله الآخر في محاور وقوس معالجات هذه الطريقة المنهجية- الفكرية الاجتماعية في الكتابة التاريخية ، واهتم بحقول وموضوعات و- تقنيات- ومصادر أخر ى ، خصوصا

- سجلات الأحوال الشخصية-

إذ امتد نشـــاطه إلى مو ضـــوعات جديدة في التأريخ الاجتماعي جمعها في كتابين- انظر الصور- ، وابحاثها مثل:

- -١ مظاهر التنظيم الحرفي في في بلاد الشام .

- -٢ الفئات الاجتماعية ومصادر الثروة والسلطة في غزة.

-٣ -البنية الاجتماعية والاقتصـــادية لمحلة باب المصـلى- الميدان- في الشام .

-٤ -قافلة الحج الشامي وأهميتها في العديد العثماني .

. غيرها .. وغيرها مما يقارب هذه الموضـــوعات التي تلامس في منهجيتها ومضوعاتها ورؤيتها

- التاريخ الاجتماعي-

أو

- التاريخ من تحت-

وقد امتلأت مجلة

- دراسات تاريخية-

التي ما زالت تصدر منذ عام- ١٩٨٠- عن قسم التاريخ في جامعة دمشق بهذا النوع من الدراسات التاريخية .

مرة أخرى أحيي جهود هذه

- المدرسة التاريخية السورية-

- الأدب من تحت-

٣٠ سبتمبر ٢٠١٧ ·

/٢٠١٧/٩/٣٠/

- من قصص : عقلاء المجانين-

ثمة طريقة جديدة في كتابة التاريخ تسمى :

- التاريخ من تحت-

تقوم هذه الطريقة على كتابة تاريخ الانسان- الشعب في حياته اليومية وطرق ومواد حياته والاهتمام بما- أهمله- وتعالى عليه المؤرخون- الرسميون الذين يهتمون بالملوك والسلاطين والقواد العسكريين ومعاركهم كما هو معروف .

قياسا على ذلك يمكننا التحدث عن الأدب الانساني على مذهب المؤرخين- من تحت- فنتحدث عن :

- الأدب من تحت-

وتقوم هذه الطريقة الأدبية على رواية- تدوين- تاريخ وقصص ونوادر الناس المهملين عادة من :

مجانين وحمقى ومتهتكين وساخرين شعبيين ، وحوادث قد تبدو للمؤرخين الرسميين- تافهة- أعني المؤرخين الذين يهتمون بقصص النابغين والعباقرة والرواد من مختلف الأنواع .

يحفل الأدب العربي القديم بهذا النوع من- الأدب من تحت- ، وحسبك كتب ابن قيم الجوزية وغيره عن :

الحمقى والمغفلين و عقلاء المجانين ، والكتب عن البخلاء وعن الشحاذين واللصوص والعيارين والمخرنقين ، مما لا مجال لذكره هنا ، وربما كان الجاحظ وتلميذه أبو حيان التوحيدي من أوائل الكتاب العرب- الكلاسيكيين- الذين اهتموا بهذا النوع من الأدب :

واليكم مثالين مما يورده أبو حيان التوحيدي في هذا الباب ، وعلى هذا المنوال :

١ـ

[قيل لمجنون:
أيسرك ان تصلب في صلاح هذه الأمة؟
قال :
لا ، ولكن يسرني أن تصلب الأمة في صلاحي .]

٢ـ

[سمع مجنون رجلا يقول :
اللهم لا تأخذنا على غفلة .
قال :
اذن لا يأخذك أبدا]

من كتاب- البصـــائر والذخائر- ابو حيان التوحيدي- القرن الهري الرابع .
المجلد الرابع- الصفحتان- ٥٨- ٥٩-

٢٠١٥/١/٣١

وجهة نظر: يبدو ان روسيا، وبعد ان تخلت عن الاشتراكية، قررت التخلي عن الرأسـمالية، اذ لم تجد لها مكانا مناسـبا فيها، ولهذا قررت العودة-مباشـــرة-الى الاقطاعية-القيصـــرية- الامبراطورية، والرئيس بوتين جاهز لهذه المســـيرة التاريخية ومحبذ لها، على ما يفعل. اما تركيا فقد قررت العودة الى الامبراطورية العثمانية بقيادة الســـيد اردوغان. واما بالنسبة لايران فهي منذ مدة سـائرة نحو الامبراطورية الكســروية لابســة هذه المرة الجلباب الذي قضـــى على امبراطوريتها الكسروية السابقة: الاسلام. بقي الاخوة العرب الذ ين يبدو وكأن حالهم يقول: اذا كان الجميع يعودون الى ماضـــيهم، فلما لا نعود نحن الى

ماضينا: القبائل والطوائف والتبعية لهذه الامبراطورية او تلك ؟ .والله اعلم .

٢١فبراير ٢٠١٥

كل من قرا متعمقا تاريخ القرن العشرين يعرف ان من اهم اسباب الحربين الاوربيتين- العالميتين- ٢+١ان المانيا دخلت المرحلة الراسمالية- الاستعمارية متأخرة، بحيث لم تبق في العالم منطقة قابلة للاستعمار الا وسبقت اليها فرنسا وبريطانيا، حتى اسواق التصريف والمواد الاولية سبقت اليها، ولهذا كان لابد من القفز على الجيران واشعال الحروب، وهذا ما حدث في الحربين اياهما، يبدو لي اليوم، وارجو الا اكون مخطئا، او قائسا للحاضر على الماضي، او الشاهد على الغائب، ان هذا هو الوضع المؤسف والمزري والتاريخي لروسيا اليوم، فروسيا، بعد ان دخلت المرحلة الاشتراكية ابكر من اللازم، على ما ظهر، فدفعت الثمن فشلا ذريعا، ها هي تدخل المرحلة الراسمالية متاخرة، هذه المرة، اكثر من اللازم، كما هو ظاهر،، فيعاقبها رب البيت الراسمالي مثل تلميذ مبتدئ، ولهذا تقفز على جيرانها وتشعل الحروب وتساعد كل من يعطيها موطيئ قدم في العالم، مسكين "الموجيك " الروسي الفقير: لقد دفع الثمن مرتين :اولا ثمن الاشتراكية، ثم ها هو، اليوم، يدفع ثمن الراسمالية، ولم يحصل على اي منهما، على ما يبدو.

---

٥ مارس، ٢٠١٥

مساكين هذه الايام: مسكينة هي اسرائيل لانها تبدو، هذه الايام، مثل زوجة شرقية مهجورة، ومسكينة هي السعودية + تركيا، لانها تبدو مثل عشيقة هجرها عشيقها- حاميها، ومسكينة هي ايران لانها تبدو مثل لعوب يطالبها لعوب اخر ب: "زواج متعة قصير الاجل"، ومسكينة هي روسيا لانها تبدو مثل "كونتيسة" عجوز تتصابى، لكنها مفلسة، ومسكينة هي بريطانيا + فرنسا لانها تبدو مثل غانية تقلد وتتبع

ابنتها المستهترة،، اخيرا، وليس اخرا، مسكين هو "دون جوان" كل هؤلاء "الصبايا الحسان" لانه يتلاعب بهن، وهو حائر ما بين الزوجة الشرعية والعشيقة والكونتيسة المفلسة ومشروع زواج المتعة المؤقت .مسكينة هي- ايضا- السيدة الاولى مشيل اوباما-ومعها الشعب العربي- لانها اخر من يعلم ..اخيرا واخيرا: مسكين انا... لأنني ساذج أظنهم: مساكين.

٢٢ مارس ٢٠١٥

حرب الألف عام، قبل صعود المحيطات

-١-

[إن هناك عينين اثنتين وكلت إليهما القدرة الإلهية أن تبصرا العالم، وهما قيصر الروم وإمبراطور الفرس]

هذا ما قاله احد الأكاسرة في وصف خريطة العالم منذ ابتدأت الحروب الميدية- الفارسية- اليونانية، في القرن السادس قبل الميلاد، إلى أن جاء الإسلام- العرب- بعد ألف عام تقريبا في القرن الميلادي السادس، لينشأ، أو يقترح خريطة جديدة، أو توازنا جديدا للقوى في منطقة العالم القديم، بعد أن أنهى- مؤقتاً- دولة الأكاسرة، وقضم بلاد الشام ومصر والشمال الأفريقي، ثم اسبانيا- مؤقتا- من الروم ..

كانت الحروب الفارسية- اليونانية هي المناسبة، أو المرة الأولى التي استخدم فيها مفهوم (صراع الشرق والغرب) فالشرق هو فارس، والغرب هو اليونان، ثم روما، ثم بيزنطة.

أما أوروبا وأمريكا ومجاهل أفريقيا، وباقي العالم، فكانت تنتظر الكشوف الجغرافية مع كولومبس وفاسكو دي غاما، ومن تلاهما، وصولاً إلى مرحلة الرأسمالية والاستعمار، و- صعود المحيطات-، ثم ظهور كل من روسيا وأمريكا على المسرح العالمي .

أما ما يسمى اليوم- الشرق الأوسط- وبلاد الشام، إضافة إلى أرمينيا، فقد كانا يشكلان منطقة (الحدود)، وبالتالي عقدة- الفصل والوصل-، أو ساحة الاشتباك الجاهزة دوما لتكون ساحة الصراع بين

هاتين القوتين اللتين سميتا آنذاك، (دولتا المشرق والمغرب) ثم ما لبث هذا التحديد الجغرافي أن اتخذ دلالات سـياسـية وعسـكرية وفكرية وحضارية ودينية وجيوبوليتيكية، مجدولة ببعضها بعضاً .

أما- بحرنا- البحر الأبيض المتوسـط، فقد كان هو المدى، أو المسـرح البحري الحضـاري- التواصـلي التفاعلي الذي جرت على سطحه وحوافه هذه الملحمة الدرامية الكبرى في التاريخ البشري، أي هذا الصـراع التفاعلي الحضـاري، العسـكري- أحيانا، والسـلمي- الثقافي- أحياناً أخرى، و الذي استمر ألف عام كما قدمنا، واتخذ، على مر الزمن، أشكالا عدة، لعل آخرها ما نعيشـه اليوم، ولهذا الموضـوع حديث اخر.

٢٠١٥/٥/١٦

أعدت أمس (٢٠١٥ /٥/١٥) قراءة كتاب- سقوط الأسر الحاكمة- تأليف- ادموند تايلور،- منشـور عام ١٩٦٥- القاهرة- وكنت قد قرأت هذا الكتاب وسحرت به عام-١٩٩٧- فسحرت أكثر مرة ثانية.

الكتاب يتحدث عن الحرب الأوربية- العالمية الأولى، كيف قامت، ثم انتهت بسـقوط الأسـر الامبراطورية الحاكمة في كل من روسـيا وألمانيا والنمسـا- المجر والدولة العثمانية، وكيف كانت نتيجة الحرب انتهاء استبداد الأسر الإمبراطورية التي ذهبت نتيجة فسادها الداخلي وعدم كفاءتها الفكرية والسياسية وانقضـاء زمنها التاريخي، لكن ليأتي مكانها استبداد اشد هولاً: استبداد البلشفية والنازية والفاشية، وكلبية وجشـع فرنسـا وبريطانيا اللتين تعاملتا مع العالم، آنذاك، ومنه البلاد العربية، كغنيمة حرب باردة، ولهذا يبدو التاريخ للمؤلف- قصـة حزينة- طالما النتيجة، من كل هذه الحرب، كانت مقتلة.

مثلما كانت استمرار الاستبداد، وبشكل أدهى، وأكثر مرارة وكما يكتب المؤلف:

" لقد انتهى عهد الملكيات لا لأن عهد الاستبداد قد ولى، ولكن لأن أنماطاً منه أشد، أقوى أخذت في الظهور "- الصفحة-٦١٠-

ثم يلخص المؤلف، في نهاية الكتاب قصـــته، أو ســـرده التحليلي، بقوله:

"وعلى هذا فلنا أن نقرر حقيقة نختم بها هذه القصة- سقوط وانهيار وبعث الاستبداد-، قصة القادة الذين لا يبصرون والجماهير المخدوعة، قصـة الأخطاء القديمة التي لا تنسـى، والأخطاء الجديدة التي تفرض، والثورات التي تؤدي إلى الحرب، والحرب التي تؤدي إلى ثورات، والســـلام الـذي يتقرر، والآمـال التي تبـدو أمـام الأعين ثم تختفي، وخطوات القهقرى الواسعة ' والخطوة الضيقة إلى الأمام " الصفحة- ٦٥٧-

يشرح المؤلف ويحلل، بأسلوب آسر وفهم عميق، شخصيات هذه- القصـــة الدامية الحزينة- من الأباطرة، الســـاقطين، إلى شـــخصـــيات الرؤساء المنتصرين، كلمنصو ولويد جورج والرئيس الأمريكي ودرو ولســـون، ويلقي عليها- جميعاً- باللوم، ويعتبر أن ما فعله هؤلاء في مؤتمر الصـــلح واتفاقياته، إنما هو زرع بذور المأســـاة الأشـــد هولا، الحرب الأوربية- العالمية الثانية، ولا يعجب، في هذا الخضـــم، إلا بشخصية كمال أتاتورك لأنه انتزع مصير بلاده من- عفونة ومخالب- ذئاب الحرب الأوربية- العالمية الأولى، معرفا- الكمالية- بقوله:

"هي حركـة مضـــــادة للاســـتعمـار تؤيد الحرب التي تهدف إلى الحصول على الاستقلال، وهي الرائد الأول لكثير من الثورات القومية التي نجحت في رفع النير الغربي عن كاهل الســـكان في جميع أنحاء العالم الإسلامي" الصفحة- ٦٤٢.

٢٠١٥/١١/٣٠

١-- (المسالة الشرقية هي حرب الروس مع الباب العالي .)

من كتاب: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع- تأليف إدورد فنديك-مصر- ١٨٩٦-

- -٢ في أوائل تســعينيات القرن العشــرين قال الرئيس الفرنســـي فرانسوا ميتران:

- كنا نتأهب لدخول القرن الحادي والعشـــرين، فإذا بنا نعود إلى القرن التاسع عشر-

-٣- ويبدو أننا- الآن- في القرن- ٢١-، وخصوصا في سورية، قد عدنا إلى القرن التاسع عشر- المسالة الشرقية- وصراع الباب العالي مع روسيا لاقتسام ما فات روسيا من- بقايا- الرجل السوري المريض-

.

٤ -- ملاحظة:

في عام-١٨٤٤- **وصف القيصر الروسي نقولا الأول- ١٨٢٥- ١٨٥٥- تركيا بـــــ رجل أوروبا المريض-** وذلك في حديث له مع ابردين- رئيس وزراء بريطاني، ثم عرض عليه وجوب اتحاد روسيا وانكلترا في اقتسام تركيا بينهما.

-٥- راجع التفصيلات في كتاب- هربرت فيشر: أصول التاريخ الأوربي- الجزء الرابع- الصفحة-٢٢١-

ولكم الشكر إن فعلتم وقرأتم .

٢٠١٥/١٢/١

حرب وسلام يلدان حروب المستقبل:

أثناء الحرب العالمية الأولى- ١٩١٤- ١٩١٨- اخترع الكاتب الانكليزي هـ. ج. ولز العبارة الشهيرة- حرب تنهي كل الحروب- وهي عبارة اســتخدمها بحســن نية وعدم فاعلية، الرئيس الأمريكي- ودرو ولسون- أثناء مفاوضات الصلح في مؤتمر فرساي بعد هزيمة ألمانيا وحلفائها مثل تركيا.

لكن- ذئبية- كلمنصو الفرنسي ولويد جورج الانكليزي كانت أقوى من أحلام الكاتب ولز والرئيس ولسون، فجاءت- سايكس بيكو- ووعد بلفور وإذلال ألمانيا المريع، إضافة إلى- اتفاقيات = تخبيصات فرنسية انكليزية أخرى لتزيد الوضع الناتج تعقيدا، في وقت لم تكن- الامبريالية الأمريكية، أو الشيوعية الروسية قد أينعتا ثمارهما بعد .

نتيجة اقتسام و تمزيق شعوب الشرق الأوسط وإذلال ألمانيا في فرساي كانت أن الحرب التي أريد بها- على ما قيل- إنهاء كل الحروب صارت برميل البارود المتفجر لأغلب توترات وحروب القرن العشرين، وبعضها- مثل مشكلات منطقة الشرق الأوسط- ما تزال تولد التوترات والحروب التي نعيشها راهنا.

ربما لهذا السبب كتب الكاتب الأمريكي- دافد فومكين- عام-١٩٨٩- كتابا عن هذه الفترة والاتفاقيات آنذاك سماه- سلام ينهي كل سلام- وقد ترجم الأستاذ المرحوم اسعد الياس هذا الكتاب باسم- سلام ما بعده سلام- وصدر عن دار رياض نجيب الريس عام-١٩٩٢- وليس لي إلا أن انصح بقراءته لمن يهتم، أو لمن ما يزال يقرأ في هذه الأيام .

للحديث صلة وخاصة عن روسيا، وربما إيران وأمريكا وتركيا وأوضاعهم وسياساتهم خلال القرن العشرين المنصرم، وهو القرن الذي أورث القرن الحادي والعشرين كل مشكلاته المتولدة عن الحرب العلمية الأولى، وهي- بلاؤنا- اليوم.

٢٠١٥/١٢/٦

أمنية دون مجاملة :

شخصياً أتمنى أن تكون روسيا دولة- ديموقراطية قوية-، فهذا قد يكون في صالح التوازن، وربما السلام الدوليين، وربما في صالح الشعب الروسي.

لكن ليس على حساب أحد، وخصوصاً الشعب الروسي والسوري، أو أوكرانيا و القرم.

أتمنى أن تكون روسيا دولة ديموقراطية قوية، لكن دون أية أوهام، أو أمجاد إمبراطورية قيصرية أو شيوعية.

ولكن أخرى: هل هذا ممكن يا ترى، إذ أن كل دولة قوية تنزع إلى التسلط على شعبها وعلى الآخرين، وحتى ولو كانت- دولة- ديموقراطية.

تبقى روســيا بالنســبة لي البلد الذي أنجب تولســتوي وتشــيخوف وبليخانوف ولينين وايزنشــتاين ومايا كروبســكايا وليفيتان ويســنين وباسترناك وامثالهم.

هذه هي- روسيانا-، وفي النهاية:

على لغة- جبران خليل جبران- :لكم روسياكم، ولنا روسيانا.

٢٠١٦/١/٢٠

صور للسيدة روسيا في اوضاع مختلفة :

١- طوال القرن التاسع عشر- تقريبا-كانت- صورة- روسيا هي:

".. فقد كانت روســيا، بنظامها الاوتقراطي، العدو الأول للثورة الديمقراطية والاجتماعية في أوروبا، والاحتياطي الاكبر لقوى الثورة المضادة فيها ."

نقلا عن تقديم الأستاذ- جورج طرابيشي- لترجمته لكتاب- ماركس، انجلز: حول روسيا. بيروت- ١٩٧٥

٢- أما في القرن العشـرين، وكما يرى كثيرون، فقد كانت صـورة- روسيا-، أو: الاتحاد السوفياتي، هي- الممثل الأول- للثورة الديمقراطية والاجتماعية- في العالم، مثلما اعتبرها بعضــهم- الخزان الأكبر لقوى الثورة ا لعالمية- كما يذكر كل من عاش في- القرن العشرين- الطويل- حســب وصــف طيب الذكرى والكتب المؤرخ الانكليزي- اريك هوبسباوم-

٣- اما اليوم، وفي مطلع القرن الحادي والعشرين، فصورة روسيا- الواقعية جدا، وغير الاشتراكية- فهي صورة دولة- رأسمالية متخلفة-، مأزومة، تبيع المواد الخام، وتشـتري المواد المصـنعة من الغرب، بل وتعاقب-، ومع ذلك تحاول أن تلعب دور قوى محلية على مســتوى- إيران والسعودية وتركيا –

٤- مرة- في عام-١٨٦٠- كتب الدكتور كارل ماركس إلى الدكتور الآخر صديقه، ثم خصمه لاسال رسالة قال له فيها:

" ..صـحيح أننا في ألمانيا نكره روسـيا، وقد أعلنا من العدد الأول من- الصـحيفة الراينية الجديدة- الحرب على روسيا بوصـفها الرسـالة الثورية لألمانيا، لكن الكره شيئ، والفهم شيئ آخر" .

- جملة معترضة:

الحب مثل الكره، كلاهما يتطلب- الفهم-، فما بالك بـ- السياسة ؟-

على كل: يبدو أن هناك، في هذه الحياة، و هذه البلاد، من يفضـــل الجغرافيا على التاريخ، فمكة هي مكة، مثلما الفاتيكان هو الفاتيكان، أيا كان- البابا-أو- خادم الحرمين الشـــريفين- تماما مثلما هناك رجال يحبون امرأة ما في مختلف حالاتها، صـورها، ومختلف حالاتهم- التي لا تختلف- .

أما عن- مشـاعري الشـخصـية- حول صـور هذه السـيدة المبجلة وحالاتها، في مختلف أوضاعها، وأوضاعنا، فإنني أشعر بالأسى، بل والأسـف تجاه بلد تولسـتوي وتشـيخوف وليفيتان وبليخانوف ولينين و الرفيقة الكلبة- لايكا- أول من دار حول الفضـاء-، مثلما أشـعر بالأسـى والأسف على بلدي المدمر: سورية .

والى التاريخ ترجع الأمور.

٢٠١٦/١/٢٠

- أقرؤونا.. وسامحونا:

.على الرغم من أن- فحوصـــاتي وتحليلاتي- المخبرية تشـــير إلى ضآلة نسبة- النوستالجيا- في دمي، أو في ذاكرتي، أو- شخصيتي-، لا تشـكل خطرا يؤبه له، فإنني- لا أكتمكم- أحن أحياناً، ولسـت خجلا من ذلك، إلى الأيام التي- كنا- أقول فيها:

قوى الثورة العالمية ثلاث، وهي:

١- منظومة الدول الاشتراكية، وعلى راسها الاتحاد السوفيتي.

٢- حركة التحرر العالمي، ومنها حركة التحرر العربية

٣- الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية

ملاحظة:

أدون = أتذكر، هذا الكلام الماركسي- الخشبي- على الرغم من- ماركسيتي التحريفية، أو تحريفيتي الماركسية المعلنة والمضمرة، قديماً وحديثاً- إذ أنني لم أخف يوما إعجابي بـ: بليخانوف، مارتوف، تروتسكي، كاوتسكي، برنشتاين، ومدارسهم التحريفية المجيدة، بل كان رأيي فيهم أنهم- ماركسيون صالحون- مثل- ماركس، انجلس، لينين، على الرغم من أنني أظن: لو وصل أي منهم إلى السلطة- في روسيا- تحديدا- لفعل ما فعل العم- ستالين.

- أقول ذلك ليس على سبيل الاعتذار لبعض ما فعل العم ستالين، بل على سبيل- الأمانة-، وتقرير الوقائع، لا النيات، او الشعارات-

أما اليوم، حيث لا يوجد إلا :

١- الرأسمالية العالمية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى رأسها الرئيس باراك اوباما.

٢- حركة الانغلاق والتخلف العالمي، ومنها أنظمة الاستبداد والتخلف الشرق أوسطي، وعلى رأسها العربية السعودية وإيران وضواحيها إضافة إلى- ميليشيات وداعشيات- الجميع.

٣- تبخر الطبقة العمالية في البلدان الرأسمالية القديمة، وتوابعها الرأسمالية الجديدة مثل روسيا والصين والسادة- النمور الأسيوية-.

أما ما كنا نسميه- القارة الملتهبة-، ونعني امريكا اللاتينية، فقد انطفأت شعلتها، على ما هو مشاهد فيها اليوم من الظلم والظلمة اللذين يغمرنها.

إما اليوم- مرة ثانية-، حيث لا يوجد إلا ما- قدمنا-، فإنني أسمح لنفسي أن- تخون- شخصيتي وذاكرتي وفحوصاتي وتحليلاتي المختبرية، إذ أسمح لبعض- النوستالجيا- المريرة والسقيمة بأن تتسلل إلى نفسي- الأمارة بالخير- غالباً- وبالسوء- أحياناً-.

هنا اردد- مقتنعا و- محوراً- قول بريخت:

- إلى من سيأتون بعدنا:

" أقرأونا.. وسامحونا ."

اليوم التفت- مرة واحدة، فقط لا غير- إلى الخلف، ثم أتابع النظر والميسر- معكم- إلى المستقبل.

٢٠١٦/١/٢٢

مكر التاريخ، والجغرافيا كذلك:

١- كما هو معروف تقوم- خريطة الطريق- للماركسية الأرثوذكسية على الصورة التالية:

تطور رأسمالي يؤدي " حتماً بالطبع، إذ ليس مع- الحتمية التاريخية- أي مزاح " إلى الثورة التي توصلنا بقطارها إلى- اليوتوبيا الشيوعية الميمونة- المنشودة.

لكن المفارقة، إن لم نقل- المفاجأة- كانت أن الدول والأنظمة الاشتراكية، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي- روسيا- والصين سارت- منومة- خلال القرن العشرين عكس الطريق المرسوم على الخريطة، وبدل السير إلى الاشتراكية، مشت قدما نحو الرأسمالية.

فهل هذا- تفنيد- لخريطة الطريق- الماركسية، أم هو- مكر من التاريخ؟

٢- وعلى- خريطة المستقبل- نفسها سارت أحزاب وأنظمة- حركة التحرر العربية- التي أرادت الانتقال من التفتت و- الدولة القطرية- التي صنعها الاستعمار بالطبع- إلى الوحدة العربية المنشودة. وكل ذلك حصل في القرن العشرين.

والمفارقة، أو- المفاجأة- هنا أيضا- أن الأحداث والوقائع سارت عكس الخريطة المستقبلية هذه، وأن الحزب القومي العربي، حزب البعث، والحامل الأول لـ- خريطة الطريق- هذه نحو- الوحدة العربية الشاملة، والذي حكم- قاعدة التوحيد- في العراق وسوريا، حدث- ويا للمصادفة، أو- المؤامرة- في زمن سيطرته على هذين البلدين- القاعديين- تفتيت وتمزيق وحروب أهلية، أي أن هذا الحزب- الحركة- لم يستطع حتى المحافظة على- وحدة- الدولة القطرية التي تسلمها .

مرة ثانية:

هل هو مكر التاريخ- المحتال، ابن الحرام هذا-، يا ترى، أم هي الوقائع الصلبة والباردة لحقيقة ونتائج ما مورس ؟

٣- في محاضرة- جيرمي ريفكن- حديثا- حول: الثورة الصناعية، يتحدث المحاضر- المؤلف عن مجتمعات هذه الثورة الرأسمالية القادمة على قطار هذه الثورة الصناعية- الرأسمالية الثالثة، والمنطلقة من الصين وألمانيا هذه المرة، والتي بدأت تتحقق على ما يبدو، وكأنه يتحدث عن- يوتوبيا- شيوعية- لا يستطيع حتى ماركس ولينين أن يرسم- خريطة طريق- لواحدة أفضل منها.

مرة أخرى: هل هو مكر التاريخ أن نركب قطار الاشتراكية، ونحن نظن أننا نركب قطار الرأسمالية ؟

٤- هذا عن مكر التاريخ، وأما عن مكر الجغرافيا فثمة- طرفة- روسية تكثف وتختصر الموضوع.

تقول هذه الطرفة:

لقد حدث للينين عكس ما حدث لكولومبس، فقد كان كولومبس يعتقد انه ذاهب إلى الشرق- الهند- فوصل إلى الغرب- أمريكا-، أما- المغامر الآخر- لينين- وروسيا معه، فقد كان ذاهبا إلى الغرب- المجتمع الصناعي- الديمقراطي- الشيوعي، وإلغاء الدولة، حسب بوصلة معلمه ماركس، فوصل هو وروسيا، إلى الشرق، إلى- ستالين والاستبداد الآسيوي، وترسيخ الدولة إياها.

٢٠١٦/١/٢٢

نابغة الميضة :

حول قضية اغتيال المعارض الروسي- ليتفننكو- في بريطانيا، واتهام الرئيس الروسي فلادمير بوتين بالضلوع فيها:

ذكرني هذا الخبر- الاتهام بقصة قصيرة اسمها- نابغة الميضة- للكاتب المصري- يوسف السباعي- كنت معجبا بها في المرحلة الثانوية:

تتحدث هذه القصة القصيرة عن- ولد- فقير من حي- الميضة- القاهري كان يتعيش عن طريق جمع أعقاب السجائر وبيعها، و- دارت الأيام- بهذا الولد الفقير حتى صار غنيا و- صاحب عمارات- ولكنه ظل ينحني ويلتقط أي عقب سيجارة يصادفه في طريقه.

الرئيس فلادمير بوتين، حتى بعد أن صار- صاحب عمارات- ورئيس دولة مهمة مثل روسيا، ظل يحن إلى، ويمارس عمله- زمن الفتوة- كـ :ضابط- KGB على ما يبدو، أو حسب الاتهام البريطاني.

٢٠١٥/١٢/٤

أحيانا- بالطبع: ليس دائما- تكون هناك حاجة لطرق ومناهج وأدوات جديدة للتفكير في ظواهر وأفكار وأحداث جديدة- طارئة-، وعلى سبل المثال:

١-- سياسة الرئيس الأمريكي باراك اوباما- الجديدة- في العالم وفي الشرق الوسط تحديدا.

٢-- سياسة الرئيس الروسي- فلادمير بوتين- الجديدة- في العالم، وفي الشرق الأوسط تحديدا .

الوضع العام في العالم- اليوم- والاضطراب الكبير- في الشرق الأوسط تحديدا.

ترى: هل هذا ممكن، مع- الفقر- الذهني والفكري والأخلاقي والمعرفي الملاحظ في عالمنا المعاصر.

٢٠١٦/١/٢٤

كيف يأكل بعض الناس خبزهم:

أواسط الثمانينيات من القرن العشرين المنصرم زارني في العمل باحث روسي وقال لي انه يكتب أطروحة دكتوراه حول- التوجهات الاشتراكية في حزب البعث العربي الاشتراكي-. قال انه ذهب إلى القيادتين القطرية والقومية لحزب البعث في دمشق، فلم يجد المراجع

المطلوبة، وأن- أحد- العاملين في إحداهما- لم أســـأله عمن دله علي لأنني قدرت انه الصديق المرحوم- عطية الجودة-.

رحبت بــ- الرفيق-، ودعوته إلى الغداء في البيت حتى أطلعه على ما أملك من المراجع، وحتى يكون الجو حميمياً لأنني كنت- أضـــمر- سـؤالا اسـتفزازياً- كما قدرت-، وقد ينزعج الرفيق الروســي- منه، أو يعتبره- خبثاً، وربما هرطقة-.

بعد كأس الفودكا الخامس، ألقيت قفازي- سؤالي الآتي عليه:

يا رفيق أنت تدرس العلوم السياسية، وهذا يعني انك درست الفلسفة والمنطق- أجاب: طبيعي-، لكن ألم يدرسوكم في المنطق أن- التعريف بالسـلب- هو أضـعف أنواع التعريف، وأنه لا يعني ولا يفهم شــيء من تعريفنا- مثلاً- اللون- الأبيض- بأنه هو- اللا أسود-، فمن أين اخترعتم لنا أيها الرفاق الروس مقولة- طريق التطور اللاراسمالي ؟-.

كان الدارج – آنذاك- هو وصف بلدان مثل سورية بأنها تسير في- طريق التطور- اللارأسمالي-

ثم أخذت أهبتي للنقاش والحوار والرد.

كانت المفاجأة أن جوابه كان هو حرفياً:

صدقني- يا أستاذ- أن هناك أناس في بلادنا يأكلون خبزهم من وراء هذا الكلام .

وقتها أدركت أنني لست- الماركسي المهرطق- الوحيد، وأن الفودكا فعلت فعلها معه، وجعلته يتخلى عن الحذر مني، وهو ما لاحظته في بداية الزيارة والحديث.

هـذه الأيـام أفكر: كم من النـاس يـأكلون خبزهم من كلام يعرفون- ونحن نعرف- انه أكاذيب في أكاذيب ؟

٢٠١٦/١/٢٨

يوميات قارئ :

- تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا- .-١٨٥٠

ربما هي مصـــــادفة- ذات دلالـة- وربمـا هو وعي- خبيث،- أو- لاوعي- أكثر خبثاً، أن تكون- قراءاتي- في هذه الأيام منســــجمة مع- ظروف ومناخات وسـياسـات بلادنا- الروسـية- أي: من حيث- الطقس البارد والســـياســـة الحارة-، فقراءاتي متمحورة خلال هذه الأيام عما كتبه- الاســتشــراق الروســي- ما قبل الثورة البلشـفية، ثم ما كتب عن المنطقة العربية- بعدها- في أيام- الاستشراق الاشتراكي- الماركسي- اللينيني- الستاليني، يضاف إلى ذلك- ما تيسر-، وهو قليل، من كتابات العرب عن روسيا في عهديها .

قريباً ربما أدون بعض الملاحظات والاســــتنتاجات التي قد تكون طريفة وجديدة، وربما مثيرة، وخاصـــــة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذين العهدين الروســـيين اللذين قد يبدوان- متناقضــــين، لكنهما ليس كذلك، فيما أرى من هذا الجانب على الأقل، إضــافة إلى- غنى- المواد التي أســــعدني الحظ- ومتابعتي التاريخية القديمة لهذا الموضـــوع في عهديه، لكنني- على أمل اللقاء فيما بعد- أورد- اليوم- هذا المقطع الطريف:

[ثم عند خروجنا- عام- ١٨٤٠- من الكرنتينا- الحجر الصــــحي للقادمين من بلد إلى بلد آخر- جاء حكيم آخر ونظرنا- فحصــــنا طبياً-، ثم توجهنا إلى ديوان الجمرك، فنظروا الأمتعة جميعها، وأرسلوا الكتب والجرنالات- الجرائد- إلى محل آخر ليمتحنوها- يراقبوها-، وهكذا يفعلون في كل الكتب والجرنالات الواصـــلة في الروســـيا، ولا بد من عرضــــها على محك البحث، ومنع ما لا يناســـب منها، ولهذا ترى في الجرنالات بعض عبارات ممحوة بالســــكين، ثم بعد ذلك أخذت الكتب وسكنت في موضع معد للغرباء].

من كتاب- رحلة الشيخ الطنطاوي- محمد عياد- إلى البلاد الروسية- ١٨٤٠- ١٨٥٠- م- المسماة بتحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا- ص- ٧٦-

قدم لها وحررها: د. محمد عيسى صالحية-

الكتـاب طريف من كـل النواحي، وهو يعـادل- من حيث الأهميـة- كتابي رفاعة الطهطاوي وفارس الشدياق المعاصرين له- تقريبا-، لكن

سوء حظ الشيخ الطنطاوي- جعله يموت في- الروسيا- ويموت معه كتابه، فلا يبعث الكتاب- مطبوعاً- إلا عام- ١٩٩٢-، وربما لهذا يبدو الكتاب اليوم مثل- تحفة- ولم يكن له التأثير الذي كان لزميليه، أو لرحلة وأعمال كل منهما، خاصة وأنه يملك رؤيتهما التنويرية نفسها، وربما بدرجة اقوي، إضافة إلى روح الفكاهة لديه .

٢٠١٦/١٠/١

- الغضبة المضرية الأمريكية على الخديعة الروسية-

في الأخبار أن دبلوماسيا روسيا، بعد أن سمع- مثلي أنا المواطن السوري:، ربما- بـــ- الغضبة المضرية الأمريكية من السياسة الروسية، قال عن الحالة الأمريكية- وليس عن حالتي، أنا المدون أدناه- إنها-:

- حالة انهيار عصبي في واشنطن.

بالطبع هي حالة انهيار عصبي في واشنطن، لو حدث لي- شخصيا- ، أو: للروس والسيدين بوتينن ولا فروف- شخصيا، كذلك-، ما حدث مع الرئيس اوباما- الدكتور في القانون-، ووزير خارجيته- القس المبجل- جون كيري، لانهارت حياتي، بل و- مستقبلي السياسي-، أو: ماضي السياسي، على الأصح-، ولكن ماذا حدث حتى حدث :

- هذا- الانهيار العصبي في واشنطن ؟

ما حدث- بلا طول سيرة، أو كتر حكي، هو التالي:

طوال عام، أي منذ التدخل الروسي في سورية، والسيدان- الأكاديميان- اوباما وكيري يظنان إنهما يخدعان السيدين بوتين ولافروف- الموظف في السلك الخارجي، وكولونيل المخابرات، ويوقعان- الحليف الروسي- في- المستنقع السوري-، وإذ بهما يكتشفان- مؤخرا- أن بوتين- لافروف هما اللذان كانا، وما زالا- يخدعان الثنائي- الأكاديمي: اوباما + كيري.

- والله شي بجنن يا مجلس الآمن ؟؟

٢٠١٦/١٠/٩

- حكاية الإقطاعي المفلس-

يحكى انه كان هناك إقطاعي خســـر كل أملاكه تقريبا في حفلة- مقامرة تاريخية كبيرة-، وبســـبب ذلك ذهبت زوجه مع رجل آخر، و لكن الســـيد الإقطاعي رفض قبول نتائج المقامرة التاريخية، وظل من أيام العز الإقطاعي الســـالف- مجدا وذكرا- يحتفظ، من- بقايا –العز الإقطاعي القديم بـ- غرضين- عزيزين على قلبه، وهما :

-١-

صك الزواج القديم- وأوراق- طابو- الإقطاعية- ملوحاً بهما في كل زمان و مكان وهو يقول: هذه- -...هي زوجتي، وهذه هي إقطاعيتي.

-٢-

جفت قديم ذو فوهتين- كان والده، ثم هو يصـطادان به، و صـاحبنا الإقطاعي المفلس لا يترك عرســـا، أو حفلة، أو نزهة إلا و- يعرض- سلاحه إياه،

ملاحظة – ١-

هذه القصـــــة غير- واقعية- بمعنى أنها لم تحدث، فيما أعلم، ولم أسمع بمثلها، حتى أنني لم أقرأها في أي كتاب، أو مجلة، ولم أشاهدها في أي فيلم، لكنني- اخترعتها- هذا الصـــباح لتســـليتكم، فهي طازجة- بائخة، مثل طزاجة وبوخان- الفيتوات- الروســـية مؤخرا، واليوم في مجلس الأمن الدولي.

ملاحظة – ٢-:

للمساعدة في- تفسير الأمثولة = القصة المخترعة :

آ- مكان كلمات- صـــك الزواج القديم- و- أوراق- الطابو-، ضـــع كلمة: ورقة الفيتو في مجلس الأمن.

ب- ضع مكان كلمة:- الجفت القديم-، كلمة: السلاح الذي تستعرضه روسيا هذه الأيام.

وبذلك- يا أخي- ينطبق الدال على المدلول، والرمز على المرموز إليه، فيفهم ويفسر القول الواضح =النص =الرمز الذي لا يحتاج إلى رمز أو تفسير.-

أما- المقامرة التاريخية- الإقطاعية- الروسية- السوفياتية-، فإنها لا تحتاج- رمزاً- ولا تفسيراً، ففهمكم وفهمنا – كفاية-.

والى فيتو قادم في مجلس الأمن الدولي و إلى- قعقعة- و حفلة- استعراض + تجريب = تدريب- أخرى للسلاح الروسي في بلاد الله الواسعة، فأبناء الله ليسوا أكثر من بط بري، على ما يبدو لأصحاب حفلات- التدريب والتجريب- على- صيد البط البشري.-

...أما لماذا اصف روسيا بـ الإقطاعي المفلس: ماديا وأيديولوجيا-، فسببه واضح ومعروف لدرجة أنني إن أجبت- باستفاضة- على هذا- السؤال الإنكاري- فإنني أخشى أن اتهم من ذوي المعرفة والمشاهدة والإحصاءات، وأخيراً من ذوي العقول الراجحة بالاستهانة بـ العقول-، ومعاذ الله أن افعل هذا .

..جعلنا الله وإياكم ممن عرف، وعقل فوعى، والى الحق اهتدى .

..آمين يا رب العالمين.

٢٠١٦/١٠/٣٠

من كتاب: حول روسيا. ماركس، أنجلز. ترجمة: جورج طرابشي. دار الطليعة. بيروت. ١٩٧٥-

-١- (كان اهتمام ماركس بالمسألة الروسية- بكل مضاعفاتها- كبيرا إلى درجة جعلته ينكب على تعلم اللغة الروسية في النصف الثاني من حياته. وكان لهذه المسألة الروسية أكثر من وجه. فقد كانت روسيا، بنظامها الأوتوقراطي، العدو الأول للثورة الديمقراطية والاجتماعية في أوروبا، والاحتياطي الأكبر لقوى الثورة المضادة.)

من مقدمة جورج طربشي للكتاب- ص- ٥ –

-٢- (فردريك أنجلز: السياسة الخارجية للقيصرية الروسية: مقال في- الاشتراكي- الديمقراطي- أيار- ١٨٩٠-

(إن لنا، نحن الأحزاب العمالية في أوروبا الغربية، مصـــلحة في انتصار الحزب الثوري الروسي. فإمبراطورية القياصرة تمثل، أولاً، أكبر معقل للرجعية الأوربية وآخر موقع محصـــن لها ولجيشـــها الاحتياطي في آن معا ؛ وهي تشـــكل بمجرد وجودها الســـلبي تهديدا وخطرا علينا.. إذ ترمي أســاســاً- هذه الســياســة. م. خ- إلى الفوز بمواقع جغرافية تضـــمن لها الهيمنة في أوروبا وتحول دون انتصـــار البروليتاريا الأوربية.)

الصفحة- ١٥٥- من الكتاب- حول روسيا .

ملاحظة-١-:

أما عن تدخلات- روسـيا السـوفياتية- لقمع تحركات شـعبية داخلية في المجر وتشيكوسلوفاكيا وأفغانستان، بعد الحرب العالمية الثانية، فقد كتبت عنها تدوينا سابقا منذ أسبوعين تقريبا.

و ربمـا لهـذا ليس عن عبـث أن كثيرين من المحللين والمتـابعين، ومنهم كاتب هذه السـطور، يرون أن سـياسـة بوتين الدولية- التدخلية- الجديدة، هي مزيج من أحلام العودة إلى- العظمة- والسياسات التدخلية الخارجية القيصـــرية- الشـــيوعية في أوروبا والعالم، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .

ملاحظة-٢-:

إن موقع ووضـع روسيا اليوم، كقوة اقتصادية وسياسية في الدرجة بعد العاشـــرة في النظام الرأســـمالي العالمي الجديد، يجعلها اضـــعف بكثير مما كانت عليه في القرنين ١٩+٢٠- روســـيا اليوم مجرد دولة شبه متخلفة من الناحيتين الاقتصـادية والسياسية + الإيديولوجية .أما عن قوتها العسـكرية فليسـت الأولى بأي حال من الأحوال، على الرغم من اسـتعراض القوة في أوكرانيا وسـوريا. إنها مجرد- قوة إقليمية-- في أحســـن الأحوال. وبوتين يذكر بصـــدام حســـين، أكثر مما يذكر بالقيصر، أو بستالين.

٢٠١٥/١١/٣٠

١ ـ

دولة – عظيمة- لكنها متخلفة:

تأخرت ألمانيا في بناء دولتها- القومية-، ومن ثم تأخرت في ميدان الرأسمالية والاستعمار في القرن التاسع عشر، وكان ثمن ذلك- التأخر- أن كبدت شعبها والعالم حربين عالمتين وثورة مخفقة ونظاما نازيا.

– ٢

القول نفسه- مع وجود الفارق حتما- قد يصح على روسيا القيصرية التي لم تستطع الوصول إلى الرأسمالية في القرن التاسع عشر، فقفزت إلى- الشيوعية- دفعة واحدة، وعندما لم تنجح هذه-الشيوعية الروسية- عادت روسـيا إلى- الطريق الرأسـمالي- أي عادت إلى النقطة التي حاولت القفز فوقها، لكن بعد ــ تأخر-٧٥- عاما، في تسعينيات القرن العشرين.

–٣

الآن- ما رأيكم بدولة- رأسـمالية في وقت متأخر ولا تملك أن تبيع إلا النفط والغاز- مثل قطر والسـعودية- والأخشـاب- مثل أية دولة افريقية فقيرة، ولا يوجد أي سلعة من منتوجاتها في السوق العالمية إلا بنادق الكلاشـينكوف، وتحاول أن تشـتري حاملات الطائرات- رمز القوة الأطلسـية- من فرنسـا، وترتيبها في اقتصـاد العالم الرأسـمالي المسـيطر فيما بعد الدرجة العاشـرة، ومع ذلك تريد أن تبعث أمجاداً إمبراطورية ذابلة- روسية أو شيوعية- ؟

الكلام نفسـه تقريبا- مع وجود الفارق بالطبع- يمكن أن يقال عن تركيا والإمبراطورية العثمانية، وأوهام- بعثها-، كما يحاول- العثمانيون الجدد- في اسطمبول.

– ٤

لكن السـؤال الجاد هو: أي ثمن سـتدفعه البشـرية، وخصـوصـا الشـعوب الروسـية والعربية والتركية، ثمنا لهذه الأحلام = الأوهام الإمبراطورية الدامية ؟

٢٠/١٢/٢٠١٦

- سليمان الحلبي تركيا-:

لســت دولة، أو جهة ســياســية لأســتنكر، أو أؤيد فعلا ما ذا طابع سياسي، وإن كان حادث اغتيال مثل حادث اغتيال السفير الروسي في تركيا على خلقية ما حدث في سوريا، وحلب خصوصا، مع العلم أنني ضد العنف عموما، والاغتيال الفردي خصوصا، لكنني من هواة قراءة التاريخ، وملاحظة- الأشــباه والنظائر-، أي من هواة تذكر ما يثيره حدث ما من ذكريات تاريخية مماثلة للحدث المستجد.

باختصار:

لقد ذكرني اغتيال شـاب تركي لسـفير روسـيا، في تركيا، بسـب ما حدث في سوريا، وحلب خصوصـا، بحادث الشـاب السوري- سلمان الحلبي- الذي اغتال الجنرال كليبر في مصــر، زمن الحملة الفرنســية على مصر.

جيوبوليتيكا روسية

٦ نوفمبر ٢٠١٦ ٠

- أن لا تأتي أبدا، خير من أن تأتي متأخراً-:

- بمناسبة- ١٠٠- سنة- على الثورة البلشفية-

يعرف جيداً دارسو التاريخ والأدب الروسي في القرن التاسع عشر أن روســيا كانت ممزقة ومتصــارعة- آنذاك- بين اتجاهين أســاســيين هما:

-١-

الاتجاه الروســـي- الســـلافي، والذي يقول بالابتعاد عن- الغرب- والمحافظة على الكنيسة والقيصرية والتطور الخاص بروسيا .

-٢-

الاتجــاه المتغرب، والــذي يقول بمغــادرة- التخلف التــاريخي الروسي- عن طريق السير في اتجاه- التغرب-.

الاتجاه التاني- الغربي كان ينقسم، بدوره، الى اتجاهين متصارعين هما:

-١- الاتجاه الذي يقول بـــــــ الطريق الرأســـمالي- البرجوازي الغربي.

-٢- الاتجـاه- الغربي- الثـاني، والـذي كـان يقول بتجـاوز الاقطـاع الروسي والرأسمالية الغربية معا، والانتقال الى- الاشتراكية- مباشرة، بتأثير الفلسفة الماركسية الألمانية، وقد كان هذا هو طريق البلاشفة في اكتوبر- ١٩١٧- كما هو معروف.

اعترض- في حينه- على تصور البلاشفة كلٌّ مِن:

البرجوازيون اللبراليون- كيرنسكي وأنصــاره، مثلما اعترض على تصور وتصرف البلاشفة- ماركسيون- هامون مثل:

- المناشفة و بليخانوف وكاوتسكي وبرنشتاين وغيرهم ممن دمغهم البلاشفة بدمغة- التحريفية- الشهيرة..

صـــمم البلاشـــفـة في طريق قفزتهم = خطتهم لتجـاوز- التخلف الروســي- على طريق تجاوز المرحلة الرأسـمالية، والوصــول، أو- القفز الى الاشـتراكية مباشـرة-، إلى أن سـقطت التجربة الاشـتراكية الروســية أوائل تســعينيات القرن العشـــرين، وعادت روســيا، لكن متأخرة- ١٠٠- سـنة، إلى- طريق التطور الرأسـمالي، وهكذا تبين أن المناشـفة وبليخانوف وبرنشـتاين كانوا على حق، وأن للتاريخ مسـيرة وقوانين لا يمكن القفز فوقها .

شخصياً:

أستنتج من كلامي السابق:

-١-

إن الغرب وأمريكا لم- يهزما- روسيا بواسطة، أو من خلال الحرب الباردة، لكن روســيا هي الي هزمت نفســها و قوضــت مشــروعها وطريقها الاشـــتراكي، أو تخلت عنه، أو أن قوانين التاريخ هي التي هزمت الروس الذين حاولوا القفز على التاريخ،، أو مخاتلته. ولهذا فلا معنى- للحقد الروسي على الغرب والعالم-، وتالياً

لامعنى. ولا مكان لـــــــ- نظرية المؤامرة-، في هذا هذه الحالة- الحدث، كما في غيرها .

-٢-

إن روسـيا تدخل القرن الحادي والعشـرين، وتسـير- وهي مصــابة بجرح نرجســي نتيجة- دعسـتها = قفزتها الناقصـــة إلى الاشـتراكية، وتدخل الى العالم الرأسـمالي، متأخرة عن الحفلة- ١٠٠- سـنة، وربما لهذا لن يكون نصــيبها الا الفتات- الرأســمالي- الاســتعماري، شــأن ونصـــيب كل متأخر- جداً- عن الدعوة = الحفلة. ربما لهذا تبدو روسـيا- اليوم- وهي تصـرخ وتولول وتبرق وترعد وتقعقع بالسـلاح،

مطالبة بحصة أكبر- في السوق- الوليمة- الرأسمالية التي تأخرت عن الوصول أليها كثيراً .

لكن مهلاً:

ألم يكن هذا بالضبط هو وضع وحالة ألمانيا ؟:

أعني:

التأخر عن حضور- الوليمة الرأسمالية- الاستعمارية العالمية التي بدأت منذ القرن التاسع عشر، وهو الوضع الذي جعل ألمانيا تشعل مرتين فتيل حربن-- ١٩٣٩ + ١٩١٤ ؟ .!

وبعد:

ثمة مثل روسي معروف يقول:

أن تأتي متأخراً، خير من أن لا تأتي أبدا.

في حالة روسيا- اليوم- يبدو أن العكس هو الأصح:

أن لا تأتي أبداً، خير من أن تأتي متأخرا.

لكن أيضا:

ما ذنبنا،- نحن السوريين والأوكرانيين- اذا كانت روسيا ستدفع- غرامة- تخلفها-١٠٠- سنة عن حفلة الرأسمالية العالمية، وعلى الأصح

ما ذنبنا:

في أن تدفع روسيا، على حسابنا، فواتير وفوائد مضاعفة لـ:

- قفزتها الاشتراكية، أو- دعستها الناقصة- ؟ !

هذا موضوع آخر، كما يقال .

بحلول مئوية الثورة الاشتراكية الروسية، يطلق دعوة للحوار والتدوين خلال هذا العام عن مفهوم الثورة ومآلاتها (قيامها وإخفاقها(، الدروس والاستنتاجات، الأعمال الأدبية والفكرية التي تناولت مفهوم الثورة...

(حول الثورة الروسية، والثورات عموماً .)

٢٠١٧\٢\١٩

- تأملات حول الثورات-

- مداخل حوارية حول الأحلام الثورية-:

- -٢١٠٧- ١٩١٧

-١-

)ومع أننا نستعمل كلمة- ثورة-، وقد تستعمل في نطاق أوسع، فان الصفة المنسوبة، وهي كلمة- ثوري-- للدلالة على سلسة متنوعة من التغيرات، فإننا نحتفظ في أذهاننا بمعنى أدق لهذه الكلمة يشـــتمل في حقيقته على العنف، ولا ينصرف إلى معان أخرى أعم .

إننا نتجه بتفكيرنا إلى الانقلابات الكبيرة التي غيرت مجتمعات سياسية كانت مستقرة في الماضي، مثل: الثورة الانكليزية التي حدثت في العقد الخامس من القرن الســابع عشـــر، والثورة التي تلتها ســنة- ١٦٨٨- ومثل الثورة الامريكية، والثورة الفرنسية، وما انبثق عنها في القرن التاسع عشر، والثورة الروسية في سنة- ١٩١٧- وما نتج عنها من احداث في القرن العشـــرين. وقد يتجه تفكيرنا أيضـــا إلى العنف والرعب والمقاصل وعمليات التطهير .

ولكن تفكيرنا يتركز في استبدال جماعة جديدة- استبدالا مفاجئا عن طريق العنف-(.

من كتاب:- تشـــريح- الثورة- كرين برنتون- ترجمة زياد عناب وشجاع الاسد. ص- -١٦بيروت- ١٦٦٥- وللكتاب ترجمة مصرية ثانية .

-٢-

)لقد بدأت حياتي مع نشوب الثورة الفرنسية، لكني- الآسف- عشت لأرى نهايتها، غير أني ما تنبأت قط بهذه النتيجة .

فقد أشـرقت شـمس حياتي مع بزوغ فجرها، لكني كنت أجهل أنهما سيغربان معا بهذه السرعة .

إن الدفعة الجديدة التي أشـعلت الحماسـة في عقول الناس، قد أججت في عقلي وهجا متعاطفا متالقا معها .

وكنت أنا وهي قويين نستطيع أن نجري إلى آخر الشوط معا .

ولكني ما حلمت قط بأن شمس هذه الثورة ستتحول الندم .

أو أنها سـتغيب مرة أخرى في ظلام دامس من الظلم، قبل أن تغيب شمسي بوقت طويل .

ومنـذ ذلـك الحين، فـإني أعترف، بـأنني أحس بـأني لم أعـد أحس بشبابي، فقد تبددت آمالي معها (.

الكاتب الانكليزي- وليم هازلت- ١٧٧٨- ١٨٣٠

- ٣-

(كنا نحس بالخجل، ليس لأن اللهب قد خبا- وأسفاه انه لم يخب- بل لأن قوتنا قد أثبتت أنها رخوة، وأنها أقل من رغباتنا .

إننا ما زلنا- كما كنا دائما- نريد أن نخلق عالما جديدا وأفضـــل، ولكننا رأينا أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك .

لقد اعترفت بالامر الواقع.)

الكاتب اليوناني من القرن العشرين- نيكوس كازنتزاكي- من كتاب: تقرير الى غريكو-، ص- ٢٤٧- ترجمـة: ممـدوح عـدوان- بيروت- طبعات عديدة- .

ضـــمن هذه المحاور- الضـــوابط، اتمنى ان يجري الحوار المقترح والمرجو:

حول الثورة الروسية والثورات عموما، إن أمكن .

مع الشكر:

....

- تأملات حول الثورات-

- مداخل حوارية حول الأحلام الثورية-:

- -٢١٠٧- ١٩١٧

التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر يكررون حماقاتهم .

جيوبولوتيكا- ١٤٥ -

٢٠١٧\٢\٢٠

- تأملات قارئ للتاريخ الحديث، وللواقع الراهن-

- سياسات امبراطورية مفلسة ومخادعة- ٢٠١٧- ١٩١٧- :

تأملات قارئ للتاريخ الحديث ، وللواقع الراهن ـ ٢٠ ـ ٢ ـ-٢٠١٧
سياسات امبراطورية مفلسة ومخادعة ـ ٢٠١٧ ـ ١٩١٧

ـ ١يعرف قراء التاريخ الحديث أن سياسة الامبراطورية البريطانية -العجوز- خلال الحرب العالمية الأولى كانت تقوم على توزيع الأسلاب والغنائم والوعود باعطاء من يساعدها في حربها ضد المانيا ـ نصيبا ـ من- موروثات وأملاك -الرجل المريض المحتضرآنذاك ، أعني :
-الامبراطورية العثمانية ـ
فقد وعدت بريطانيا كلا من:
فرنسا بسوريا ، وروسيا بالأناضول والقسطنطينية ، وايطاليا بجزر شرقي البحر الابيض المتوسط ـ مداخل الأرخبيل اليوناني -، ووعدت الشريف حسين بمملكة عربية ، وفيصل بمملكة سورية ، والحركة الصهيونية ب :
-دولة في فلسطين- ..
..وهي وعود متناقضة أملتها الحاجة لمساعدة هذه الأطراف ، المتناقضة ، وبالتالي كانت وعودا ـ مخادعة ـ نتجت عنها أكثر مشكلات الشرق الاوسط التي ما نزال نعيش نتائجها ، وخصوصا هذه الكيانات ـ الهشة ـ في المنطقة العربية ـ الشرق أوسطية . ـ
ـ ٢واليوم يبدو أن هذه القصة ، وتلك السياسة الانكليزية ، الرعناء والمخادعة نفسها، تتكرران ، لكن بواسطة امبراطورية مفلسة عجوز متصابية مخادعة أخرى ، أعني:
-الامبراطورية الروسية ـ
..فالامبراطورية الروسية ـ المفلسة ـ العجوز ـ التي تحاول تجديد شبابها الامبراطوري ؛القيصري والشيوعي ، توزع الوعود والمغانم و- التفاهمات ـ ومناطق النفوذ على الجميع ، على كل الأطرف في الأزمة السورية ، بطريقة الامبراطورية المفلسة العجوز المخادعة ذاتها خلال الحرب العالمية الاولى أذ :

تعد النظام السوري ، وتعد الاكراد ، وتعد المعارضة ، مثلما تعد أمريكا بدعمها في - الحرب على الارهاب - في المنطقة ، ثم تطمئن الاسرائيليين والأردن ، وتعد تركيا وايران ، كل بحصة من الرجل السوري المريض ، والمحتضر على ما يبدو ، دون أن تنسى نفسها من - حصتها - في الساحل السوري ، عبر قواعد عسكرية دائمة ، وكأنها تريد تحويل المنطقة الى محمية ، وهو ما فعلته فرنسا بخلق لبنان ، وبريطانيا بخلق الاردن ، هذا اذا تناسينا مقدمات انشاء اسرائيل ، بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم أيجادها بعد الحرب الثانية .

والأدهى والأكثر مرارة :

أنها تريد فرض دستور على بلد وشعب ما يزالان ، حتى الآن على الأقل ، ولو قانونيا وشكليا ، مستقلين ، وعضوا في الامم المتحدة ، وليس محمية - انتدابية - ، وهو أمر لم يفعله ألا المحتلون الامريكان في العراق ، مثلما تريد قواعد عسكرية في الساحل السوري ، بدعوى - محاربة الارهاب - لمدة - ١٠٠ - سنة ، وكأنها تبشرنا ان الارهاب سيبقى - ١٠٠ - سنة اخرى.

مرة اخرى :

التارخ لا يكرر نفسه ، لكن البشر يكررون حماقاتهم.

١ أغسطس ٢٠٢٢ .

- جيوبوليتيكا تاريخية-..- المعضلة التاريخية الروسية-

.

<u>٧/١</u>

- توطئة-

- البداية التاريخية للمعضلة الروسية-.

[[روسيا تتجه إلى الغرب-

١٦٤٥- ١٦٩٩...

أما الدب الروسي الحبيس فكان يحرق الأرم لمرأى المخارج كلها مغلقة في الغرب، والمنافذ إلى البحر الأسود كلها يسدها التتار والترك. ولم يبق غير الشرق مجال لتحرك روسيا إلى- سيبيريا-، وذلك يبدو الطريق إلى الشدائد والهمجية. لقد كانت أسباب الراحة ومفاتن الحياة تومئ لروسيا أن تتجه غربا، وكان الغرب مصمما على أن يبقي روسيا بلدا شرقيا .]] .

من كتاب- قصة الحضارة- تأليف- ويل ديورانت .- ترجمة- فؤاد أندرواس. مراجعة- علي أدهم .- القاهرة- ١٩٨٠-.- الجزء- ٣٣-. الصفحة- ١٩-- اختارته وأنفقت على ترجمته- جامعة الدول العربية

.

- روسيا- ١٠٠٠- ٢٠٢٢-

يكاد التاريخ الروسي أن يكون مجهولاً في الثقافة والمكتبة العربية الحديثة، وتكاد- معرفة- روسيا تقتصر لدى غالبية القراء العرب على المرحلة السوفيتية، وما بعدها اليوم، وفي حدود ما أعلم، ليس هناك في المكتبة العربية، إلا كتاب واحد عن التاريخ العام لروسيا يغطي المرحلة ما قبل السوفيتية- ١٩١٧- ١٩٩٢-، صدر مؤخرا في مصر- ولم استطع الحصول عليه حتى الآن، مع الأسف-، وليس بإمكان القارئ العربي المهتم بمعرفة تاريخ روسيا العام الاطلاع على هذا التاريخ إلا من خلال قراءة مجمل ومطولات التاريخ

الأوربي العام، في الوقت الذي توجد فيه كتب هامة تفصـيلية وكثيرة عن تاريخ فرنسا وبريطانيا وأمريكا وغيرها .

فيما يلي، سأحاول تقديم عرض عام مكثف ووجيز للتاريخ الروسي العام، لعل ذلك يسد بعض هذا النقص، وذلك من خلال تسليط- بقعات ضـوء- موجزة ومكثفة ودالـة على الأحداث والمراحل التـاريخيـة المفصـلية، أو نقاط العلام الفارقة- في هذا التاريخ الروسـي الممتد خلال الألف عام المنصـرمة، فربما ذلك يسـاعد على فهم، أو مقاربة السياسات التاريخية القديمة لروسيا عبر التاريخ، وعلاقتها بالسياسة الحالية للرئيس الروسي- فلاديمير بوتين-، وخصوصا فيما يتعلق بـ غزو أوكرانيا- والتواجد العسكري في سوريا- وهذا ما تم في مرحلة ما بعد انهيار الاتحاد السـوفياتي، وبداية تشـكل ما يمكن تسـميته- المرحلة البوتينية- الحالية، وسـتكون مراحل عرضـنا لهذا التاريخ مسلسلة على الشكل- التحقيب التالي:

-١ -

- تقديم، أو ثنائية الانتماء الشرق والغرب.

-٢ -

الدوق فلاديمير، أو الخيار بين الشـرق- الإسـلام آسـيا، أو الذهاب الى- أوروبا- المسيحية- الغرب ؟! .

-٣ -

بطرس الأكبر، أو خيار التوجه نحو الغرب- أوروبا.

- ــ ٤

التوجه النهائي الحاسم إلى الغرب، أو لينين والبلاشفة والسفيَتة.

-٥ -

الوضع الحالي، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أو

- المرحلةالبوتينية-.

- تقديم-

منذ شجع، واعتنق الامبراطور الروماني- قسطنطين- ٢٨٠- ٣٣٧- الديانة المســيحية صــارت هذه الديانة شــرقية المولد، هوية وانتماءاً وتـاريخـاً وثقـافـة وأيـديولوجيـة للإمبراطوريـة الرومـانيـة المقدســـة ولأوروبا، وحدوداً جيوبوليتيكية، ورمزا للمســيحية لأوروبا والـــــ- غرب- عموماً، منذ ذاك التاريخ وحتى العصــور الحديثة، أي النهضــة الأوربية وظهور أوروبا العلمانية- الرأسمالية بعد الثورة الفرنسية .

..كذلك، ومنذ ظهور الإســلام أوائل القرن الســابع الميلادي- النبي محمد- ٥٧٠- ٦٦٣٦-،وامتداده من حدود الصين إلى قلب أوروبا في- اسبانيا- فرنسا- إيطاليا- صار الإسلام انتماءاً وهوية دينية وأيديولوجية وثقافة وتاريخاً وحدوداً جيوبوليتيكة وتراثاً للمنطقة التي انتشر وسيطر عليها العرب والإســلام، وباســم الإســلام، بل وصــارت هذه المنطقة، وهذه الثقافة ممثلة للشرق الأوسط- العرب- الاسلام- أسيا.

وبهذا الترتيب- الثقافي- الجغرافي- العقائدي الديني والأيديولوجي والجيوبوليتيكي-

الجـديـد للعـالم القديم و- جيوبوليكتيتـه- اتخـذت مقولـة الشـــرق والغرب- القديمة أبعاداً وأوضــاعاً جديدة، أي أن الصــراع الفارســي – الإغريقي، منذ القرن الخامس قبل الميلاد، حيث، ولدا مصطلحا

- الشــرق والغرب، وصــراعهما- للمرة الأولى في التاريخ، وقد تجلى هذا-- التقابل- التضاد-

بعد ظهور المســيحية واعتناقها في أوروبا، وظهور الإســـلام وتحطيمه للإمبراطورية الفارسـية، واسـتيلائه على أقسـام كبيرة من الإمبراطورية الرومانية المسيحية ..أقول بعد ذلك صار هذا

- التقابل الضدي-

هذا الصــراع القديم- الجديد ممثلاً، و معبراً عنه بواسـطة أطراف وممثلين جدد حلوا مكان المتصـــارعين الســابقين، أعني- الفرس والاغريق-

وصـــراع الفرس مع الرومـان الوثنيين، حتى اعتنـاق القيصـــر قسطنطين للمسيحيية .

..ببساطة وتكثيف وبتلخيص موح..

لقد حل العرب والاسلام محل الفرس في تمثيل الشرق، وأسيا، بينما حلت أوروبا محل الإغريق والرومان الوثنيين، ومن ثم المسيحيين في تمثيل الغرب، بل و الديانة المسيحية وأوروبا عموماً.

.وقد كان البحر الأبيض المتوسط، خلال هذا الصراع الجيوبولوتيكي القديم الطويل، المرير والممتد، هو

- بؤرة الصراع ومركزها-

، حتى زمن اكتشاف أمريكا، وصعود- جبولوتيكا المحيطات- امتداداً لجبولوتيكا- البحار الضيقة-، كالبحر الأبيض والبحر الأسود والبحر الأحمر، ثم دخول- الشرق الأقصى الآسيوي- الصين- الهند...الخ- إلى حلبة التاريخ العالمي الحديث، فيما بعد، مما قوى الجناح الأوربي في هذا الصراع، أو هذا- التقابل الضدي التاريخي المتفاعل- والمتنقل في بؤر تقابله وصراعاته وتضادانه، أو تماثلانه، والمختلف في- شخصيات- ممثليه من القوى والأطراف والثقافات المشتركة- المتفاعلة، سلباً و أيجاباً .

- ملاحظة، ارجو أخذها بعين الاعتبار حين قراءة هذا التدوين –

لست، بأي حال من الأحوال من القائلين بمقولة، أو نظرية

- الصراع الأبدي-

بين الشرق والغرب، أو الإسلام والمسيحية، أو آسيا وأوروبا، لكن المسألة عرضت، غالباً، هكذا خلال الألفين وخمسمائة سنة الماضية، ولا مندوحة لنا من عرض المسألة كما عرضت، وحسب مفاهيم تلك الفترة، أعجبني ذلك أم لم يعجبني، ولي، كما لآخرين، وجهة نظر أخرى، في قضية مسير، أو تطور الحضارة الإنسانية، مما لا مجال لعرضه هنا .

٢ أغسطس ٢٠٢٢ ٠

- جيوبوليتيكا تاريخية-

- المعضلة التاريخية الروسية-

٧/٢

- مولد أمة وهدايتها...و...

- رسالتها الخالدة -

((..وحين رفضــــت الكنيســـــة الروســـية في عام- ١٤٤٨- اندماج الكنيسة اليونانية مع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في مجلس فلورنسة، أعلنت اســتقلالها عن البطريرك البيزنطي، وبعد ذلك بسـنوات خمس، حين سـقطت القسـطنطينية في يد الأتراك، أصـبحت موسـكو عاصـمة المذهب الأرثوذكسـي. وحوالي- ١٥٠٥- كتب راهب متحمس ألى أمير عظيم في موسكو:

-- أعلم الأن أن سـلطان المسـيحية بأسـرها قد آل إليك، لأن رومة الأولى ورومة الثانية- يقصد رومة والقسطنطينة- قد سقطتا .أما الثالثة فهي صــامدة، ولن يكون هناك رومة رابعة، لأن إمبراطوريتك سـوف تدوم إلى الأبد.))

نقلا عن كتاب

- قصة الحضارة

- ويل ديورانت.

الجزء- ٢٦- الصفحة- ٥-

....

-١-

- دخول المسيحية الأرثوذكسية إلى روسيا-

طوال العصـــور الوســطى، وحتى مطلع العصـــر الحديث، كانت- روســيا- تعيش عيشــة- وثنية متســامحة مع الأديان، أو شــبه- متعددة الأديان، بحكم تبعيتها لسـيطرة- كانت حياة بدائية جدا، وبعيدة ومعزولة عما يجري في أوروبا الغربية، وحوض البحر الأبيض المتوســـط من ثقافة وعلوم ومشـكلات وصـراعات، لعل من أدق من وصـفها الرحالة العربي- ابن فضلان- في رحلته عام- ٣٠٩- هجرية- ٩٢١- ميلادية

- رحلة ابن فضلان

- أحمد بن فضلان بن عباس بن راشد بن حماد.

في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخير والروس الصقالبة.

- حققه وعلق عليها- الدكتور سامي الدهان .

- مطبوعات مجمع اللغة العربية. الطبعة الثانية . دمشـــق- ١٤٠٩- هجرية- ١٩٨٨- ميلادية. ففي هذه الرحلة يصـف ابن فضـلان روسـيا بطريقة / استشـراقية /تذكر بوصـف الرحالة الأوربيين للبلاد العربية في القرن التاسع عشر .

وكان يحكم روســـيا آنذاك، دوقات وأمراء متنازعون تنتقل مراكز القوة فيهـا من مكـان، أو من دوق إلى آخر، لكنهـا كلهـا تكـاد تكون خاضـــعة لحكم التتار الذين تؤدي إليهم جزية ســـنوية يجمعها هؤلاء الدوقات الذين فوضـــهم ســـادتهم التتار بذلك، وقد أعاقت سـيطرة التتار محاولة روسـيا لمدة قرنين من الزمان أن تصـــبح دولة أوربية غربية، كما كانت تطمح منذ ذلك الزمن، وربما إلى اليوم، إلى أن كان دخول روســـيا في الدين المســـيحي على يد- فلاديمير- ٩٨٥- ١٠١٥- دوق كييف التي كانت عاصمة لأمارته .

ثم كان أن اتى- الدوق إيفان، او- إيفان الرهيب- -١٥٨٤ -١٥٣٣

كما وصـــف ولقب في التاريخ، حاكماً مســـتبدا مشـــهوراً بوحشـــيته وشـــهوانيته، اذ كان عنده- ٣٥٠٠- امرأة، ولا تحصـــى جرائمه وأفعاله الشنيعة الأخرى، ويقال أنه طلب إلى الرهبان أن يصلوا من أجل نفوس ضحاياه،، وحسبك من وحشيته أنه ضرب ابنه ووريث عرشه بـــــــ- العصـا الملكية- ضـربة أفقدت الوريث حياته، لكن هذا لم يمنع الكنيسـة من تسـجيله في سـجل القديسـين، مكافأة له على فرض المسـيحية على رعـايـاه، ذلـك أنـه فحص في أوقـات تفكيره الأديـان التوحيديـة الكبرى الثلاثة، ولم يعجبه في الإسلام انه لا يحلل الخمر، فقال:

- الخمر لذة الحياة عندنا نحن الروسـيين، ولا معنى للحياة بغير هذه اللذة-

فلما رد عليه أحد الكاثوليكيين بقوله:

- ما يؤكل أو يشرب دليل على عظمة الله-

، أسكته فلاديمير بقوله:

- إن أباءنا لم يسيروا على مثل هذا المبدأ

.... وعندما أجابه أحد اليهود خجلاً متأسفا، بأن بيت المقدس في أيد أجنبية- يقصد الإسلام .م. خ.- قال له الدوق فلاديمير

- لو أن الله أحبكم وأباءكم ما كتب عليكم ان تتشتتوا في الأرض. هل تريدنا أن نكون يهودا، ليكون مصيرنا مصيركم ؟

و..و...

... ولكن ربما كان من الأفضل أن نورد بقية هذه الحكاية الشيقة والطريفة، أقصد حكاية دخول روسيا على يد فلاديمير في المسيحية، كما يرويها كتاب

- تاريخ أوروبا الحديث .

- العصور الوسطى-

- تأليف- هربرت .أ .ل. فيشر

نقله إلى العربية- محمد مصطفى زيادة. السيد الباز العريني.إبراهيم أحمد العدوي، الناشر- دار المعارف.مصر.القاهرة- الطبعة الثانية. الجزء الثاني- ١٩٥٧- الصفحة- ٤٠٥- ٤٠٦-

((..ثم أرسل فلاديمير وفدا من رجاله إلى مدينة القسطنطينية، ليروا رأي العين ما وصلت إليه من هذه الأخبار

- أخبار فخامة القسطنطينية وضخامتها وبذخها. م. خ-، فامتلأت قلوبهم أعجابا بما شهدوا في آيا صوفيا وصلواتها وقداساتها من الجلال، وكتبوا إلى فلاديمير يشيرون عليه باعتناق المسيحية الأرثوذكسية دون غيرها من الديانات، فإنهم رأوا المسلمين في بعض بلادهم ولم تعجبهم حالهم، وهذا نص ما كتبوه لفلاديمير:

--((ومررنا في طريقنا إلى القسطنطينية ببلاد البلغار المسلمين- شمالي بحر قزوين-، ورأينا كيف تكون صلاتهم في معبد يسمونه مسجد، حيث يقفون صفا صفا، ثم يركعون ويسجدون ويجلسون، حتى إذا انتهوا من الصلاة تلفتوا يمنة ويسرة كأنما مسهم الجن، وحياتهم خلو

من البهجة، طافحة بالكأبة والرائحة، ولا خير في دينهم. ولما ذهبنا إلى الألمانيين رأيناها يحتفلون الاحتفالات الكثيرة في معابدهم الوثنية، غير أننا لم نشـــهد بينهم ما يثير روعة أو جلالا، ثم ذهبنا إلى القســطنطينية حيث أرشـدنا البيزنطيون إلى عمائر شـاهقة يعبدون فيها ربهم، فلم ندر أإلى السماء ارتفعنا أم ظللنا على الأرض.))

. ...وبعد رحلـة وتقـارير هـذا الوفـد أمر فلاديمير بـالـدعوة إلى المسيحية بين شعبه، ومن يومها، وإلى اليوم، ارتبطت الديانة المسيحية- الأرثوذكسية بالحاكم في روسيا، وصـارت الكنيسـة ناطقا رسـميا باسم الدولة، و مدافعا عنها .

.. ربما من هنا نفهم العلاقة الحالية، أي التحالف القائم بين الرئيس فلاديمير بوتين، الحالم بأن يعيد زمن القياصـرة، وزمن- روما الثالثة- وربما زمن- فلاديمير- أمير كييف- وبين الاكليروس الأرثوذكســي، و نفهم لماذا

- بـارك، ورش الرهبـان الأرثوذكس بـالمـاء المقدس الطـائرات العسكرية الروسية- التي أتت تحارب في سوريا، أو تغزو أوكراينييا.

-٢-

- دعوى وراثة بيزنطة، أو

- روما الثالثة-

و.. وبعد ذلك، في ســـنة- ١٤٧٢- خطرت لإيفان الثالث- الرهيب- فكرة ((أن يرث حقوق الأبـاطرة البيزنطيين وألقـابهم، ومن ثم تزوج- زو باليوغوس- ابنة أخي آخر حكام الإمبراطورية الشرقية- بيزنطة .م. خ- وكانت قد نشأت في روما وتشربت شيئا من بواكير عصر النهضة، وقد جلبت معها بعضـــا من العلماء الإغريق، وربما كان بإيحاء منها إرساله لأول بعثة علمية إلى الغرب .

.... ويحتمل أن زوجته الاغريقية- زوجة إيفان هذه .م. خ- أوصـــته بأن يتخذ كذلك لقب- قيصـــر-، وهو لقب روماني إغريقي. لقد اتخذ النســر الإمبراطوري المزدوج شــعاراً قومياً، وأدعى وراثة الســلطة

الســـياســـية والدينية لبيزنطة الغابرة، واقتبســـت من بيزنطة نظريات الحكومة وأعيادها ومراســـمها، وكذلك فعلت الكنيســـة، بوصـــفها من أدوات الدولة بعد أن أدخلت إلى روسـيا المسـيحية البيزنطية والأبجدية البيزنطية الإغريقية وأشـــكال الفن البيزنطي، وبقدر ما كانت بيزنطة شرقية لقربها من آسيا، فإن روسيا التي كانت قد أصبغت بــــ الصبغة الشـــرقية-، بســـبب حكم التتار لها، أصـــبحت من وجوه كثيرة، مملكة شرقية مغايرة للغرب، غريبة عنه، غامضة لديه .))

- نقلا عن- قصة الحضارة، الجزء- ٢٦- الصفحتان- ٦- ومما تقدم، آمل، أو ربما بات واضـــحاً كيف تأســـســـت- الدولة الإمبراطورية الروسـية-، منذ البداية، على- الاسـتبداد الشـرقي، الشـرقي- سـواءاً من حيث نظامها الديني، أو نظامها السياسـي. مما جعلها تبتعد عن- أوروبا الغربية- الصـــاعدة آنذاك، والتي كانت تشـــق دروباً أخرى في بناء مجتمعاتها ونظاماتها الدينية والسـياسـية، وهو ابتعاد، وربما خلاف ما يزال ســـارياً، فاعلاً ومتفاعلا، منذ لحظة التأســـيس الأولى، إلى اليوم، على ما يبدو.

المعضلة التاريخية الروسية-

٧/٣

- بطرس الأكبر .. والاتجاه نحو الغرب -

ســـمتان أســـاســـيتان تميزان المشـــاعر- والوعي التاريخي، بل والسياسات الروسية خلال التاريخ منذ تأسست روسيا، والى اليوم، هاتان السمتان هما:

-١ -

- العزلة الجغرافية، و تاليا العزلة الثقافية والحياتية عن العالم، وعن الغرب الأوربي تحديداً.

-٢ -

الرغبة في كسـر هذه العزلة، و اللحاق بــــ هذا- الغرب الأوربي- المكروه، والرغبة في المشاركة في مسرح السياسية العالمية والحضارة الإنسانية .

يجري الحديث عن هذه العزلة الجغرافية الروســـية عن العالم، أو تقدم هذه العزلة في أعمال كثير من المؤرخين والجغرافيين العالميين باعتبارها- مثالاً- لكيفية تأثير الجغرافيا في التاريخ، فـــ يشير- مثلاً- ويل ديورانت- إلى هذه الحالة الانعزالية الجغرافية الروسية قائلاً :

- هنا خلقت الجغرافيا التاريخ-

/قصة الحضارة- الجزء- ٣٣-. الصفحة-٥- /

فثمة، إذن، ما يســـميه الجغرافي البريطاني من القرن العشـــرين- جوردن إيست- في عنوان كتابه بـ:

- الجغرافيا توجه التاريخ-

- جوردن إيست .

- ترجمة- د. جمال الدين الديناصور.

مراجعة- د. دولت صادق.

الناشـــر- دار الحداثة. بيروت- ١٩٨٢-. الطبعة الثانية. عن الطبعة الأولى في سلسلة- الالف كتاب المصرية-.

هذه المعضـــلة الجغرافية- الجيوبولوتيكية الروســية، شــكلت الدافع والمحرك، المعلن والخفي، لكل التاريخ الروســـي منذ تشـــكلت الأمة والدولة الروسـية، وحتى زمن الرئيس الحـالي- فلاديمير بوتين-، وربما لهذا علينا أن نعود الى- القصة- من بدايتها، لنعد أذن ..

((بينما كان المعاصـرون للويس الرابع عشـر- القرن السـابع عشـر. م. خ- في باريس ولندن ينعمون بمبـاهج المجتمع الراقي، كان ر عـايا قيصــر مســكوفيا غارقين في همجية الشــرق وظلامه...)) الصــفحة- ٣٦٠-

. ..كانت روسيا حينئذ الشرق بعينه. وقد بلغ من أنكار اعتبار الشعب الروسي جزءاً من الجماعة الأوربية أن من بين الاقتراحات التي بحثت في بلاط- هنري الرابع ملك فرنسا- ١٠٥٠- ١١٠٦-. م. خ.- مشروعاً لقيام الغرب بحركة صليبية واسعة النطاق لطرد المسكوفيين والأتراك من الأراضي الأوربية.)). الصفحة- ٣٦٢-

نقلا عن كتاب

- أصول التاريخ الأوربي الحديث.

تأليف- هربرت فيشر.

- ترجمة-الدكتورة عصـــمت راشـــد والدكتور أحمد عبدالرحيم مصطفى.

مراجعة- الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

الناشر- دار المعارف مصر .الطبعة الثالثة.

كانت روسيا محاصرة ومعزولة بجغرافيتها وفيها، فمن الشمال ثمة القطب الشـــمالي والبحر الأبيض المتجمد في أكثر الأوقات مما يجعله غير صـــالح للملاحـة. ومن الغرب تقف الســويد والمجموعـات الإسكندنافية الأخرى سداً في طريق الوصـول إلى بحر البلطيق، ومن ثم بحر المانش والمحيط الأطلسي. وفي الشرق يقف الأتراك سداً كبيرا منيعاً في طريق الوصـول إلى البوسـفور والدردنيل، ومن ثم إلى البحر الأبيض المتوسط. ومن الجنوب ثمة القارة الهندية وأفغانستان وإيران،

وبريطانيا التي ستحتل الهند وقناة السويس وباب المندب وخليج هرمز والخليج العربي كله، مما يسد كل المنافذ الممكنة لفك هذه العزلة .

ربما لهذا كان على روســيا، وعلى الحكام الروس أن يحاربوا على كل هذه الجبهات، محاولين فتح- ثغرة-، طريق، ممر إلى الآفاق الرحبة لحركة المرور العالمية، أضافة إلى الحرب الداخلية على جبهتي-الفكرة السلافية- والكنيسة الأرثوذكسية- اللتين ترفضان كل تجديد وتطوير للبلاد والمجتمع، أي لفك هذه العزلة الخانقة

......

.وكان أن أتى القيصر العظيم- بطرس الأكبر- ١٦٧٢- ١٧٢٥-

وبطرس الأكبر هذا يكاد يكون نفسه شخصية- واقعية- في وجودها.، و- أسطورية- في أفعالها، يستحق مقالاً خاصاً. تسلم السلطة عام- ١٦٨٩-، وقد حارب على الجبهات العسكرية والبلدان- السدود- المحيطة بروسيا، وعلى الجبهة الداخلية، أملا في فك هذه العزلة الروسية العتيدة، مستخدماً كل الطرق الممكنة، سياسياً ودينياً وعسكرياً وسلوكياً، متبرعاً بكل ما يملك- شخصياً- من الأقطاعات والمال في سبيل روسيا، مؤمنا بروسيا كحلم ودولة فوق كل القضايا، للعالم وله ولعائلته وللشعب الروسي. وكان مؤمنا أن مستقبل روسيا ومكانتها موجودان في هذا الغرب الأوربي- الكاثوليكي الذي ينكر روسيا وتنكره، لكنها بحاجة إليه- إنها المأزق، المعضلة، العربية نفسها-، وينظر إليها- روسيا- كمجرد بلد شرقي غارق في- الهمجية والظلام والاستبداد-، فكان- بطرس- سابقاً، في اتجاهه نحو الغرب، بذلك لمحمد على في مصر، وميجي اليابان في القرن التاسع عشر، وللينين القرن في القرن العشرين .

لم يكن- القيصر بطرس مجرد عاهل شرقي مستبد- بل كان جندياً وفلاحاً ومهندساً وباني سفن. كان يعمل بيده، ويتعلم، ويعمل كل شيء، في سبيل أن يتعلم كل هذه الحرف ذهب متنكراً وسافرا، إلى أوروبا مرتين، ولفترات طويلة، وتعلم كل هذه المهن في ورشها التي عمل فيها، كعامل، وعندما وجد أن ابنه ووريثه على العرش، غير جدير بروسيا- قتله- تحت التعذيب، فلا شيء قبل، أو بعد أن تلحق روسيا

بركب الحضـارة الأوربية الإنسـانية، ولهذا أنشـأ مدينة- بطرسـبورغ- على الخليج الفنلندي، لتكون- نافذة على الحضـــارة الغربية- المتقدمة، بانتظار الوصول إلى مضيق البوسفور، و- القسطنطينية-.

حقق بطرس الكثير، لكن بعد أن ذهب لم يتـابع خلفـاؤه طريقـه، فعادت روسـيا إلى- ظلاميتها-، وإلى حروبها مع الجوار لفتح مسـالكها الى طرق التجارة والحياة الدولية. تماما كما حدث لـــ- محمد علي- في مصر، وكما حدث، ويحدث اليوم لروسيا نفسها بعد ما- مات- الاتحاد السـوفياتي-، ومات وعد مشـروع- الاشـتراكية العالمية- التي أراد بها البلاشـفة- تجاوز الغرب الأوربي الرأسـمالي، إلى الاشـتراكية، بقفزة سـريعة واحدة-، متخطية المرحلة البرجوازية الرأسـمالية، لكن لتعود روســيا اليوم،- ويا لمكر التاريخ وقوانينه !!- إلى طريق جديد- قديم، طريق الرأسـمالية، في العهد- الرأسـمالي الحالي- للرئيس الروســي الحالي- فلاديمير بوتين- طريق الرأسمالية-.... الرأسمالية التي تأخرت عنها روسـيا مائة سـنة، وهو عهد- بوتيني- وطريق خطر مغزول من خيوط النزعات القيصرية الإمبراطورية الروسية، والنزعة السلافية، و الديانة الارثوذكســية-، ممزوجة كلها بأحلام وأوهام العودة إلى كل هذا- الخليط الرجعي، في غالبه – لــ

- إنقاذ روسيا من معضلتها التاريخية إياها.

يحاول بوتين أن يكون- إيفان الرهيب، وبطرس الكبير، وفلاديمير لينين الشـيوعي، وبطريرك الأرثوذكس... كل هؤلاء وهذه- الخليطة-، المتفجرة، كالديناميت من الآراء التاريخية معاً، مســلحاً، لا باقتصـــاد قوي، أو بنموذج ســياســي اجتماعي جذاب، كالاشــتراكية، مثلاً، بل مســلحا- فقط- بأوهامه وأحلامه التاريخية- والفيتو- في مجلس الأمن الدولي..،و بالقنابل الذرية التي يهدد بها العالم اليوم... بطريقة غير مسؤولة، كشاب غر يلهو بمسدس محشو وسريع الطلقات.. كما يلاحظ على تصرفات الرئيس بوتين، خلال الأحداث الأوكرانية الأخيرة .

...

- جيوبوليتيكا تاريخية-

- المعضلة التاريخية الروسية-

<u>٧/٤</u>

القسم الأول من

/ ٥ / ٤ /

- بطرس ولينين والقياصـــرة والبلاشــفة... و المعضـــلة... أو الحلم الروسي-.

١- -

((في العالم الآن أمتان عظيمتان، الروســيون والأمريكيون، بدأتا من نقطتين مختلفتين، ولكن يبدو أنهما تتجهان نحو هدف واحد بعينه. فقد نشـــأتا كلاهما في الخفاء دون أن يفطن إليهما أحد. فبينما كان العالم مشغولاً عنهما بغيرهما من الأمم، إذ بهما تقفزان فجأة الى الصدارة، و تتبوآن كل منهما مركزها في الصـــف الأول من الدول. فكأنما العالم قد سمع بميلادهما وعظمتمها معا في أن واحد)) .

نقلاً عن :

- الديمقراطية في أمريكا. تأليف الكاتب الفرنســـي- ألكســـيس دي توكفيل- ١٨٠٥- ١٨٥٩-- ترجمة- أمين مرســـي قنديل-- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشــر. القاهرة. ١٩٦٢- الجزء الأول- الصــفحة- ٥٢٩-

- من منشورات مؤسسة فرانكلين.

- ٢-

((صحيح أننا نكره روسيا، وقد أعلنا من العدد الأول من- الصحيفة الراينية الجديدة- الحرب على روسيا بوصفها الرسالة الثورية لألمانيا، لكن الكره شيء، والفهم شيء أخر.

- ماركس إلى لاسال- ١٨٦٠-.

في هذه النصـــوص التي تترجم لأول مرة إلى العربيـة، يقول لنـا مـاركـس وأنـجـلـز ويـعـلـنـان لـمـاذا كـانـا يـكـرهـان روســـيـا: روســيا الأوتوقراطية ومســتودع الاحتياطي الأكبر للثورة المضـــادة، روسـيا الاسـتبداد الشـرقي، ومعبر الغرب إلى أسـيا، روسـيا المشـاعر الريفيـة وإمكـانيـة القفز فوق المرحلـة الرأســـماليـة، وأخيرا روســـيـا الأسـطورة الطوباوية والشـعبوية عن الثورة الفطرية والغريزية للفلاح الموجيك في مواجهة البروليتاري الصناعي.))

عن كتاب: حول روســـيا. تأليف- ماركس- أنجلز.- ترجمة- جورج طرابيشي. دار الطليعة- بيروت. الطبعة ١ ١٩٧٥

- كلمة الغلاف الأخير لهذا الكتاب.

-٣-

((وكان أفضل الأشخاص المثقفين- الروس. م. خ.- وأعمقهم تفكيرا في القرن التاسـع عشـر لا يعيشـون في الحاضـر، الذي كان شـيئا منفرا بالنسـبة أليهم، بل كانوا يعيشـون في المسـتقبل، أو في الماضـي، وكان بعضـــهم وهم- الســـلافوفيل- يحلمون بروســيا مثالية كانت موجودة قبل عصـر بطرس، أما بعضــهم الآخر- وهم المســتغربون- فكانوا يحلمون بغرب مثالي.))

نقلا عن كتاب- أصـل الشـيوعية الروسـية. تأليف الكاتب الروسـي نقولا برديائيف- ١٨٧٤ – ١٩٤٩-. ترجمة-فؤاد كامل. مراجعة- علي أدهم. الناشـــر- الدار المصـــرية للتأليف والترجمة- القاهرة.- ١٩٦٦- الصفحة- ٣٢-. وللكتاب ترجمة ثانية لـــــ ذوقان قرقوط- صادرة عن دار الطليعة- بيروت- ١٩٧٢- بعنوان- منابع الشيوعية الروسية.

....

هكذا، وكما ترون في المقبوسـات أعلاه، ومنها، بدت روسـيا منذ القرن التـــاســـع عشــــر لــمـــراقـــبـــيـــن مـــخـــتـــلـــفـــيـــن:
- بلداً جديداً على التاريخ العالمي، كما- توأمه- أمريكا، تماما، يبحث عن مكانه ومكانته في عالم يدخله للمرة الأولى مثل- فلاح- يزور مدينة

كبيرة- عاصمة حضارية-، للمرة الأولى بحثا عن- عمل- ومكان إقامة دائمة، بل ويريد، كذلك- السيطرة- بدءاً من هذه المدينة، إن لم نقل- السيطرة على العالم. وإعادة تشييد- روما الروسية الأرثوذكسية الثالثة- بعد دمار روما الأولى، أو سقوطها بيد الكاثوليك، وسقوط القسطنطينية بيد العثمانيين- وهذه- رسالة إلَهية خالدة- أخرى تكفلت وكلفت نفسها بها الأنتلجنسيا والقياصرة الروس، وهي رسالة ومهمة لا تختلف كثيرا عن- الرايخ الألماني الهتلري- وعن- التكليف الإلهي الشيعي- الأخير، لحسن نصرالله بالدفاع عن لبنان، وربما عن- الرسالة العربية الخالدة-..... ..فثمة. -.رسالة عالمية خالدة- لهذه الأمة الروسية الوليدة، مرة حملت اسم المسيحية الأرثوذكسية- ومرة كان حملت اسم- الشيوعية-... واليوم، في مطلع هذا القرن الحادي والعشرين،- يدمج- ويجمع الرئيس الحالي- فلاديمير بوتين كل أسماء وتواريخ هذه الرسالة الروسية الخالدة-، أي-الأرثوذكسية- السلافية- فلاديمير، الشيوعية، الأوربية، الآسيوية، بطرس، لينين، ستالين الأمين العام، القيصر...الخ تحت اسم وراية واحدة جديدة قديمة هي- البوتينية الروسية الخالدة-.

فيا... لمكر التاريخ... وهزله ومأسويته، إن لم أقل- يا.... لسخرية التاريخ-، بل و.... مآسيه-.

..نعود إلى موضوعنا..

....هي روسيا، البلد الجديد الناهض على التخوم الفاصلة بين آسيا العريقة، وأوروبا الحديثة المتحكمة في سياسات العالم، حديثا، أي منذ عصر النهضة الأوربية، فالثورات الاجتماعية والعلمية، والامبراطوريات الأوربية، وإعادة تشكيل العالم الموروث من أنقاض العصور الوسطى، وجديد الاكتشافات الجغرافية الجديدة- الطرق والمسالك البحرية الجديدة، وأمريكا وغيرها-.

...ها قد دخلت روسيا، كأمة جديدة على هذا التاريخ الحضاري العالمي، على هذه- المدنية- الغابة- دخلت المعترك، أو أتت وثمة قوى وإمبراطوريات عالمية متنافسة ومتحاربة، إمبراطوريات عريقة تسيطر على أوربا وآسيا، مثل فرنسا وبريطانيا والنمسا والإمبراطورية

العثمانية، وفيما بعد دخلت حلبة الصراع الدولي قوى جديدة مثل أمريكا واليابان وألمانيا، فكيف يمكن لهذا البلد ذي المســاحات الشــاســعة والإمكانيات الجبارة، و الواعي بنفسه وقوته وحضوره حديثا، أن يشق طريقه ويثبت- مكانه ومكانته- بل و- حصـته- من خيرات هذا العالم ؟ !-.

لكن......

- كيف يمكن للقوى الامبراطورية الأوربية والآسـيوية العالمية- القديمة- المسـيطرة، أن تفســح في الطريق لهذا الوافد- الامبراطوري القيصري الغريب- القادم من- عصور الظلام- ومجاهل غابات سيبيريا وأقاصـي الشـمال المتجمد، إلى ملعب الحضـارة والمدنية الأوربية....

....بالطبع سـتبذل هذه- القوى الأوروبية- والعثمانية في القرن التاسـع عشــر كل الجهود لحصــر روســيا الوافدة التي تحاول شــق طريقها، وتجاوز الدول والامبراطوريات التي تقف في طريقها، أو على حسـاب هذه الامبراطوريات المتقاتلة، وســتحاول إبقاء روســيا في- قواعدها- الجغرافيـة، و عزلتهـا القـاريـة، وتخلفهـا التـاريخي العتيد، و ســتبـذل روســيا، في المقابل، كل الجهود الممكنة، وتقاتل لاختراق هذه العزلة التي يراد عزلها، وإدامة حصرها فيها، ستحاول، هذه الروسيا الجديدة، الدخول إلى عالم يكرهها وتكرهه، ينكرها وتنكره، وهي الأرثوذكسية- الســلافية- الشــيوعية، هي هي البطرســية- القيصــرية- الدينية- الارثوذكســية- البوتينية، هي روســيا- إياها. إياها-، فماذا يفيد تغير الأشــخاص والأســماء والصــفات والأنظمة والأزمان، إن بقيت هذه الورطة التاريخية المشــكلة- المعضـــلة، أو هذه اللعنة- لعنة المكان والـــجـــغـــرافـــيـــا والـــتـــاريـــخ مـــعـــا- مـــاثـــلـــة، ورابضـــــة، ولـــم تـــحـــل ؟..!

لكنه، مع ذلك، عالم تحتاجه وترغبه وتحلم به روسيا، عالم، و- غرب- يحتجانها، كذلك، على الرغم من عدم مودته لها، عالم- يصغر ويضيق ويتوحد- في كرته الأرضية الواحدة، عالم متشابك فيه- الكل محتاج إلى الكل-، عالم باتت روسيا، بغض النظر عن مشاريعها وأحلامها العالمية المتناقضـــة والخطرة، أو الجنونية، بل والحمقاء أحيانا... عالم باتت

روســيا جزءاً من وجوده ومشــكلاته ومصــيره، جزءاً من مســاره ومصيره.

تلك كانت، وهي الآن، المعضــلة الروســية التاريخية، فما هي اذن السبل والطرق والأحلام والأفكار والمشاريع التي- اقترحها واجترحها- الروس، تـاريخيـا، بمختلف فئـاتهم وخيـاراتهم وأزمـانهم لحـل هـذا المعضـلة التي ما تزال مسـتمرة، بل متفاعلة ومتفاقمة. خصـوصـا منذ القرن التاسـع عشـر، حيث برزت المعضـلة والقوة و- الخطر- كلها معاً في أوروبا والعالم، في الفترة ما بعد الثورة الفرنسية، ونابليون ؟! ......

٧/٥

- بطرس ولينين والقياصــرة والبلاشــفة... و المعضــلة... أو الحلم الروسي-.

((أتى اليوم الذي تنبأ به بلمرســتون- من أشــهر وألمع رؤســاء الوزارة البريطانية في القرن التاسع عشر وزراء بريطانيا. م خ.- حين قال

- يبدو من الواضــح أنه، عاجلاً أو أجلاً، لا بد أن يلتقي في وســط آسيا فارس القوزاق- يعني روسيا. م. خ.- بفارس الهند- يعني بريطانيا المحتلة للهند آنذاك .م. خ.-، أو رجل البلطيق- يعني روسيا الآتية عبر البلطيق إلى بحر المـانش، أي الى بريطـانيـا. م.خ.- برجـل الجزائر البريطـانيـة، ولا بـد أن يكون همنـا أن نحرص كـل الحرص على أن يكون هذا اللقاء بعيدا عن ممتلكاتنا في الهند بالقدر الملائم المفيد لنا. ولن نتجنب هذا اللقاء ببقائنا في عقر دارنا في انتظار الزائرين .-

وفي عـام- ١٨٨٠- التقـت الامبراطوريـات الثلاث البريطـانيـة والروســية والصــينية عمليا في مكان واحد، لأن البريطانيين لم يقبعوا في عقر دارهم، فقد اندفعوا غربا، بقدر ســرعة الروس في الاندفاع شرقاً.)) ..

- أي أسرعوا لملاقاة الروس والتصدي لهم-.م. خ.-

نقلاً عن كتاب:

- أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين .
مصدر مذكور سابقا- الجزء الثاني. الصفحة- ٤٧-٤٨ –

١-
اللعبة الكبرى

في القرن التاسع عشر كانت الدول الأوربية التي تمتلك شواطئ ومنافذ ومسالك إلى العالم الخارجي، اي خارج البحر الأبيض المتوسط، مثل بريطانيا وفرنسا واسبانيا وهولاندا والبرتغال، قد امتلكت، أو استعمرت ما أرادت، أو ما استطاعت الوصول إليه من العالم الذي اعتبرته فضاءات مفتوحا للاستعمار، وبقيت روسيا مثل سجين- جائع- ضمن جدران أربعة- سبق وأن عددناها- وهذا السجن هو جغرافيتها التي فرضت عليها العزلة التاريخية التي لم تخرج منها،- في محاولاتها لاختراق هذه العزلة-، إلا مرة واحدة إلى البحر الأبيض المتوسط، وهي حادثة جديرة بالتسجيل هنا، وتتعلق بالمنطقة العربية، وعلاقة روسيا للمرة الأولى بهذه المنطقة، و بالعالم خارج جغرافيتها، وسبق أن كتبت عنها تدوينا، سابقا

((.. و أعجب من ذلك أيضا، في عام ١٧٦٩- ٧٠- أن ثلاثة أساطيل من السفن الحربية الروسية، انطلقت من كرونشتات- قاعدة بحرية روسية قرب بطرسبورغ. م. خ.- وتوصلت، بعد أن عبرت المانش وخليج بسكاي، الى البحر المتوسط الشرقي، حيث أسهم وجودها في تنشيط ثورة خطيرة في مورة

-ومن ثم ثورة ظاهر العمر الزيداني في بلاد الشام، ووقتها ضرب الأسطول الروسي مدينة بيروت، وأنزل مشاته على ساحلها، ورفع العلم الروسي هناك. م. خ.-

في مورة- يقصد اليونان. م.خ.- قام بها السكان التابعين لتركيا...

. ...وهذه الحملة البحرية العظيمة كانت بالنسبة لبلاد أوروبا الغربية، تذكرة فظة لإمكانات روسيا الظاهرية وأول ظاهرة فعلية للأهمية التي تعلقها روسيا على البحر المتوسط.))

من كتاب:

- تاريخ القرن الثامن عشـــر. تأليف- الدكتور ماتيو أندرســـون . ترجمة- الدكتور نورالدين حاطوم .- الناشـــر- دار الفكر المعاصـــر- بيروت .لبنان. سوريا. الطبعة الثانية- ١٩٩٦- الصفحة- ٢٦٦–

.. لكن هذا النص يحيلنا إلى ما سيأتي تاليا عن- المسألة الشرقية-

..فلنعد اذن إلى حديث- اللعبة الكبرى-...

في ســـبيل الخروج من عزلتها الجغرافية، طرقت روســـيا، بعنف، على الجـدران الأربعــة المحيطــة بهــا، فتحــاربــت أولاً مع البلاد الإسكندنافية والسويد في أقاصـي الشمال الأوربي لتأمين بطرسبورغ ونافذتها الضيقة على أوربا و الى بحر المانش الشمال وما بعدهما .

ثم حاولت التوجه شـــرقاً إلى الصـــين فأخفقت، وهنا بدا لها طريق يقود إلى، أو عبر الهند وايران ممكننا للوصـــول الى المحيط الهادي والخليج العربي، لكن بريطانيا كانت تنتظر هذه اللحظة، كما رأينا في المقبوس أعلاه، فجرى الصـراع في أراضـي أفغانسـتان الوعرة وعلى حدود إيران، فكانت النتيجة إخفاقات أخرى، توجهت بعدها روسيا إلى أواسط أسيا- سمرقند، بخارى، أوزبكستان قرغيزيا...الخ، واحتلتها، ثم تذكرت الطريق، عبر سيبيريا، إلى الشرق الأقصـى فافتتحتها، مقتربة بذلك من مناطق نفوذ اليابان، حيث جاء صـــدام عســـكري مع اليابان كانت نتيجته هزيمة مدوية وأليمة لروســـيا، في عام- ١٩٠٤- هزيمة، اهتز لها الشـعب الروسـي، لكن احتفل بها- الشـرقيون- ومنهم العرب، وقالوا فيها القصـائد، باعتبارها أول معركة- انتصـف-، أو انتصـر فيها الشرق على- الغرب المستعمر- في التاريخ الحديث .

.والمفارقة الطريفة هنا أن:

- الشـــرق- أعتبر روســـيا دولة اســـتعمارية- غربية-، بينما كان الغرب الأوربي يعتبر روسـيا دولة- شـرقية-. ويحاصـرها ويحاربها على هذا الأساس .

مرة أخرى

هـذا هو مكر التـاريخ وسـخريتـه، أو.... خـداعـه من البشـر وتخطيطاتهم.. وأوهامهم .

أمام هذه الهزائم الروسية على هذه الجبهات في آسيا الوسطى، والتي سميت- معاركها الدبلوماسية والحربية، وخصوصا بين بريطانيا وروسيا، بالإسم الشهير في أدبيات القرن التاسع عشر التاريخية بـ:

- اللعبة الكبرى –

والتي خلاصتها منع بريطانيا لروسيا من أخذ الهند لفتح ممر بحري لها على المحيط الهادي وبحر العرب، تطورت- الموروثات

- الجيوبولوتيكية والاستراتيجية-

الروسية، أو تطور التفكير الروسي إلى ما سمي في المدونات السياسية العالمية، منذ القرن التاسع عشر، وربما إلى اليوم، بـ:

٢-

- المسألة الشرقية-

((.. المسألة الشرقية التي هي حرب روسيا مع الباب العالي- أي الدولة العثمانية. م خ .-)).

نقلا عن كتاب:

- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع .

لجامعه- ادورد فنديك

الناشر- مطبعة الهلال .مصر. ١٨٩٦-

....

أمام هذا الإخفاق الذي عرفناه سابقا في- اللعبة الكبرى-، اتجهت، وربما تذكرت- العين والقيصرية الروسيتان الحالمتان-

الحلم الأرثوذكسي- الروسي- القيصري- القديم، إياه، اي إعادة أحياء- روما الثالثة-، وعملياً الوصول إلى مضيق البوسفور والقسطنطينة، ولكن كان دون ذلك الدول الأوربية القوية

والإمبراطورية العثمانية، وكذلك، أو خصـوصـاً، عدو روسـيا اللدود طيلة هذه الفترة، أي انكلترا، فتفتقت ذهنية الدبلوماسية الروسية عن أن الحل ممكن في

- دبلوماسـية الإرضـاء والرشـاوى المتبادلة مع الأعداء الأوربيين، بدل الحرب غير مضمونة النتائج،

أي سياسة- خذ، وأعط، وأنت ترضى، وأنا أرضى-.

وذلك كطريقة للتعامل مع الدول والامبراطوريات الأوربية الممانعة لها، و إقناعها بفتح- ممر- لروسيا إلى بحار العالم.

وقد جاء العرض الروسـي-الكريم-، وبوضـوح اسـتعماري سـافر.. هكذا، تأملوا معي ..

((.. فقد سـعى في محادثته- القيصـر الروسـي. م.خ.- الشـهيرة مع اللورد أبردين وزير الخارجية البريطانية في عام- ١٨٤٤- إلى إيجاد تقارب مع انجلترا، والوصـول إلى تفاهم بالنسـبة للمسـتقبل. ولا تترك هذه المحادثة مجالاً للشك في نواياه، فقد وصف السلطان- يقصد الدولة العثمانية. م. خ.- بأنه- رجل مشـــرف على الموت-، وأعرب عن رأيه في أن إمبراطوريته في سبيلها إلى الانحلال، وأنه يحسن اتخاذ الأهبة للأمر مقدماً. وأبدى عزمه على الفوز بالقســـطنطينية، و موافقته على أن تحصل انجلترا نظير ذلك على مصر وكريت أيضا إذا شاءت ....

.. ولكن من الأمور الجديرة حقا بالتســـجيل أن اقتراح نيكولا هذا الذي ينم عن حكمة وحركة ســـياســـية قدر له أن يقبل فعلا في عام- ١٩١٥-))

أي في اتفاقية سايكس- بيكو سازانوف- م. خ.-

٤١٦ -٤١٥، و ٤٢١- على التوالي .

من كتاب:

أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين. مصدر مذكور .

.. ثم تكرر هذا العرض الاقتسـامي الاسـتعماري الروسـي السـخي مرة ثانية عام- ١٨٥٣-، مع استعمال عبارة

- رجل مريض للغاية، قد يموت بغتة بين أيديهم-، و- بلد أخذ بالانهيار، فيما يبدو-.. الخ

لكن بريطانيا فضـــلت أن تحمي الدولة العثمانية على أمل أن تبقى دولة حاجزاً بين- الغرب الأوربي وروسيا الآسيوية-، فمدت في عمر هذه الدولة إلى الحرب العالمية الاولى حيث انهارت الدولة العثمانية .

وذلك ضعف- وانحلال- تركيا واقتسامها، فكرة نابليون بونابرت منذ / ١٨٠٤/ كما ذكرت سابقاً .

مرة أخرى، ها هي بريطانيا تسد على روسيا الباب، أو الممر الى البحر الأبيض المتوسط ومضيق البوسفور والقسطنطينية، بعد أن كانت قطعت عليها الطريق، و- اللعبة الكبرى- أذ أغلقت طريق، أو- ممر الهند وايران- إلى المحيط الهادي وبحر العرب، ومرة أخرى ها هو- يلهو بنا- هذا التاريخ، ويمكر بنا نحن البشر، إذ عندما:

- اقتربت اللقمة من الفم الروسي-

، وكاد الحلم التاريخي يتحقق، إذ وافقت بريطانيا، بالإضـــافة الى فرنســـا، هذه المرة، على عرض القيصـــر الســـخي القديم، منذ عام- ١٨٤٤-، لكن، ويا لسوء الحظ

كان أن حدثت الثورة البلشفية عام- ١٩١٧-، وتخلى قادة هذه الثورة عن أحلام الضم والاستعمار، ومشاركة الرأسماليات والإمبراطوريات الأوربية في مشروعاتها لاقتسام العالم، فانسحبت البلاشفة من اتفاقية- ســـايكس- بيكو- ســـازانوف-، لا بل نشـــروها وكشـــفوها، ومن ثم فقد جددت الثورة البلشـــفية شـــباب الإمبراطورية الروســـية، وأنقذتها من الانحلال والاضمحلال، كما حدث للعثمانيين، ولآل- الهابسبورغ- في النمســـا وألمانيا، ولكن بعد أن ضـــحى البلاشـــفة بالرأس القيصـــري، وبالأرثوذكســـية الروســـية العتيدة، لتعاود- روســـيا، هذه المرة حلمها الغربي الأوربي القديم والمســـتمر. ولتجدد الحلم الروســـي العالمي العتيد، لكن من نقطة انطلاق، وتحت راية حمراء أخرى، أو من- ممر

فكري وأيديولوجي- أخر الى العالم، ممر مختلف، أو من منطلق جديد هو:

- الثورة الشيوعية الروسية العالمية-.

٩ أغسطس ٢٠٢٢

٧/٦

/ ٥ / ٥ /

بطرس ولينين والبلاشفة والغرب الأوربي-

- الشيوعية الروسية العالمية-

ثمة الصورة الكاريكاتورية تبين كيف نظر- الشرق- إلى الثورة البلشفية كمجرد طامع استعماري آخر ينافس في- التهام العالم- على الطريقة الأوربية في استعمار العالم، أما الخريطة المرفقة، فتبين النظرة الأوربية والشرقية للبلشفية، واعتبارها- قوة ناعمة- تستخدمها روسيا الجديدة، بملابس وايديولوجيا جديدة للوصول إلى أوروبا والعالم الخارجي ومنافذه، وكسر عزلتها التاريخية، أو تجاوز معضلتها التاريخية المزمنة، ومنافسة دول أوروبا للسيطرة الإمبراطورية على العالم.

الصورتان نشرتا مع مقال بعنوان

- البلشفية والشرق .
- مجلة الهلال المصرية.
- الجزء- ٦-. السنة- ٣٤-. آذار- ١٩٢٦-.

-١ -

تناولت في الحلقات الاربع السابقة من هذا التدوين المعضلة التاريخية الروسية، جيوبوليتيكياً وسياسياً وجغرافياً، من زاوية خارجية، والان أتى دور

- الظروف والأوضاع الداخلية للإمبراطورية الروسية-

او ما أنتجه هذا الوضع من أفكار وتيارات فلسفية وسياسية حللت وتمثلت هذه المعضـــلة، و أنتجت، فيما أنتجت، واحداً من أهم الآداب العالمية الحديثة في العالم، خصــوصــاً في مجال الثقافة والرواية والفن عموما، مما لا مجال لعرضــه هنا، مثلما أنتجت في المجال الاجتماعي والسياسي الروسي والعالمي

- التجربة الشيوعية الروسية العالمية-

أو

- الإمبراطورية الســوفيتية، مكان الامبراطورية الروســية القيصرية-

مقدمة بذلك تصــوراً ونموذجاً جديداً مضـــاداً للتصــور والنموذج البرجوازي- الرأسمالي الأوروبي للعالم، وخالقة وضعاً جيوسياسياً جديداً للعالم، انقسمت الكرة الأرضية بموجبه إلى معسكرين ونموذجين للحياة الاجتماعية، وكل ذلك بدأ خطواته الأولى انطلاقا من التفكير الروســي- داخل روســيا- في طرق حل المعضــلة الروســية المزمنة تاريخيا، خصــوصــاً، كما توضــح الأمر في القرن التاسع عشر. فلنبدأ القصة من منشأها

-٢ -

- الانشقاق الروسي الاجتماعي والفكري والسياسي الكبير-.

خلال، وعلى طول القرن التاســع عشــر انقســم المجتمع والفكر والثقافة والسياسة الروسية إلى معسكرين متضادين:

-١ -

التيارات السلافية التي ترفض الغرب الأوروبي، دينياً، ورأسمالياً، وجغرافياً، وتدين بطرس الأكبر، أول من خط هذا الطريق في التوجه إلى- الغرب-، وســياســة التغريب، ومحاولة تصــنيع روســيا، ويقول أصـــحاب هذا التيار بالمحافظة على روســـيا، كما هي، وأن بإمكان

روسـيا حل معضـلتها بالاعتماد على أفكارها وتراثها وشـعبها وقواها الفلاحية فقط، وأن بالإمكان تجاوز الرأسمالية الأوربية بالعودة إلى

- مشاعية القرية الروسية، واشتراكيتها-.

-٢-

... وتيارات متغربة تقول أن الحل للمعضـلة الروسـية موجود في التوجه نحو الغرب الأوربي، بكل ما فيه، فهذا الغرب، بعلومه وأفكاره وصناعته هو الطريق الوحيد للتحديث.

وفي هذا التيار كان هناك رأيان مختلفان .

الرأي، أو الاتجـاه الأول يقول بـالـذهـاب إلى الغرب الأوربي والتحـديـث على الطريق البرجوازي- الرأســمالي، وهـذا كـان رأي كيرنسكي والبرجوازية الليبرالية الناشئة حديثاً، ورأي

- الماركسيين القوميين-

من بليخانوف ومارتوف، إلى المناشفة، وتيارات أخرى .

أما الرأي أو الاتجاه الثاني، ضـــمن هذا التيار المتغرب، فقد كان يقول بـالاتجـاه إلى الغرب، لكن بعـد تجـاوز مرحلـة البرجوازيـة والرأسمالية، و-القفز إلى الاشتراكية- مباشرة، ودفعة واحدة، وقد كان الكاتب الروسـي- تشـيرنفيسـكي- ١٨٢٨- ١٨٨٩- صـاحب روايـة- ما العمل- ١٨٦٣-، والتي اسـتعار، أو اسـتعاد لينين عنوانها في كتابه- ما العمل- ١٩٠٢- كما استعار منه فكرة-القفز إلى الاشتراكية-، هذه، من أوائل من طرح هذه الرأي

- الخطير- المغامر-

وهو الرأي الذي تبنـاه لينين فيمـا بعـد، وأضـــافـه إلى- الفلســـفـة الماركســـية-، فيما بعد، مع العلم أن هذا الرأي، أي- الحل للمعضـــلـة الروسية هو

- أصلاً- هو رأي- المحافظين الروس-، كما سبق وبينا ذلك. فلنقرأ ماذا قال تشرينفسكي، الصاحب الأول لهذا الرأي، الحل- المستعجل-

((.. كان تشرينفسكي- بوصفه اقتصادياً- أشد أصالة، ولم يكن مثل غيره- يقصد المحافظين الروس. م. خ.- خصما للتطور الصناعي، ولكنه يعرض المشكلة التقليدية التي واجهت الفكر الروسي في القرن التاسع عشر

- هل تستطيع روسيا أن تنجو من التطور الرأسمالي ؟

ويجيب على ذلك بقوله إن روسيا تستطيع أن تختصر المرحلة الرأسمالية إلى لا شيء، وأن تنتقل رأسا من الأشكال الاقتصادية الدنيا إلى الاقتصاد الاشتراكي))

نقلا عن كتاب:

- برديائف

اصل الشيوعية الروسية. الصفحة- ٥٦-. مصدر مذكور سابقاً .

-٣-

صارت هذه الفكرة- الحل للمعضلة الروسية-، فيما بعد، هي نقطة خلاف لينين وتروتسكي والبلاشفة مع رفاقهم الماركسيين الروس مثل بليخانوف ومارتوف والمناشفة والليبراليين، عموماً، ومن ثم الماركسيين الألمان مثل كاوتسكي وبرنشتاين الذين

- نُبذوا- بالضم- ووصفوا من قبل البلاشفة الروس وأتباعهم في العالم، فيما بعد، بأنهم تحريفيون وخونة-... الخ،

مما لا مجال لتفصيله هنا، وقد فصلناه في كتاب أخر سبق نشره في دمشق عام- ١٩٩٢- بعنوان- المجتمع المدني والعلمنة-...

.. ومن هنا، من هذه النقطة الخلافية، أتت البدعة المسماة:

- الماركسية اللينينية-

وجوهر هذه البدعة هو:

- كيف تلائم وتطور نظرية فلسفية- اجتماعية- سياسية موضوعة لمجتمعات أوربية- صناعية- كاثوليكية وبروتستنتية، أو علمانية- متقدمة، مع الماركسية: لتطبق، هذه الماركسية- اللينيية- الجديدة في

مجتمعات- شــرقية أســيوية- روســية فلاحية- أرثوذكســية، أو دينية عموماً- ومتخلفة اقصادياً وفكرياً واجتماعياً.

لن اقول أكثر عن ماهية ومسار ومصير هذه البدعة-الماركسية-، فقد قال التاريخ كلمته عند انهيار الاتحاد الســـوفياتي، وانهيار هذه البدعة-الماركسية- في تسعينيات القرن العشرين، وأظهرت التجربة، مثلما أبان التاريخ في سيره أنه لا يمكن- الاحتيال على التاريخ وخداعه أو

- لا يمكن اختصار التاريخ، أو لوي عنقه-

كما حاول لينين والبلاشفة وتروتسكي فعله في قفزتهم المنتشية التي أبهرت العالم في وقتها، ولفترة طويلة، فيما بعد، والتي كان شـــعارها البراق هو قول لينين

- أمس مبكر، وغدا متأخر. اليوم، وألا فاتت الفرصة-.

والفرصـــة كانت هزيمة الإمبراطورية- القيصـــرية الروســـية في الحرب العالمية الأولى، كما تعرفون .

. ...لكن سرعان ما تبين الوجه- المغامر والخطير-، وربما- الخطأ-، الخطأ الفكري والخطأ التنفيذي، في التجربة البلشفية عموماً، في هذه القفزة ....

.... إذ ها هي روسيا بعد محاولة وتجربة- سبعين- عاماً من هذه- القفزة فوق الرأســمالية إلى الإمام، نحو المرحلة الاشـــتراكية- ها هي روسيا تقفز منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، لكن- إلى الوراء- هذه المرة. ها هي روسـيا تعود إلى نقطة الانطلاق، إلى الرأسـمالية، ها هي تعود الى رأي- حل المناشـــفة ورأي- التحريفيين- العظام أمثال بليخانوف ومارتوف المنشــفيكي وكيرنســكي وكاوتســكي وبرنشـــتاين في عدم إمكانية تجاوز- المرحلة، أو اللحظة التاريخية الرأسمالية-.

هـا هي روســـيـا، مثقلـة بتجربتهـا المهزومـة تعود الى المرحلـة الرأسمالية، لتقف في أخر الصف الرأسمالي، متأخرة، ها هي روسيا تبحث عن الأســـواق والتجارة والمنافذ والســـيطرة في العالم وعليه، بالحروب والغزوات، هنا وهناك، ها هي روســيا تعود إلى معضــلتها

في الوصـــول عبر المنافذ والمســالك الأربعة، أو ما تيســـر منها، الى العالم الخارجي، فتحارب وتتدخل وترسل جيشها إلى سوريا وغيرها، وتغزو أوكرانيا، وتبيع الاســلحة والغاز والنفط، فقط لا غير. مثل أي دولة من- العالم الثالث، ها هي روســـيا تعود كما كانت في القرنين التاسـع عشـر والعشـرين، عملاقاً كبيراً، عسـكرياً وبشـرياً، جغرافياً، وربما ثقافياً، لكن بأرجل اقتصادية ضعيفة .

....

-٤ -

وبعد

كان من المفترض أن تتهاوى الإمبراطورية الروســـية، في جملة الامبراطوريات التي هزمت وتهاوت في الحرب العالمية الأولى، لكن الثورة البلشفية جددت شباب روسيا وشباب امبراطوريتها المتداعية، والآيلة للســـقوط، وأعطتها دفعة جديدة وحلماً وطنياً خيالياً وعملياً جديداً، اقتنع به، والتف حوله كثيرون من المناهضـــين للرأســـمالية والاســـتعمار وأوروبا، في مختلف بقاع الأرض. كان حلما جميلا ومشـروعا للبشـرية وخلاصــها، مثلما كان حلما وطريقا لروسـيا في تجاوز معضلتها التاريخية الصعبة، معضلة كسر حصارها الجغرافي والقاري والشرقي، لكن الحلم ما لبث أن تبدد، بعد أن تحولت

- الراية الحمراء الشيوعية إلى راية زرقاء قيصرية- استبدادية – بوليسية-.

ثم كان أن طويت هذه الراية الحمراء نهائياً، ورفعت مكانها، جهاراً نهاراً

- الراية الإمبراطورية القيصـــرية- البوتينية، الإمبراطورية- الأرثوذكسية– الرأسمالية-.

كما نشاهدها اليوم ...

وهي راية مأزومة- نوســتالجية، تحاول، تحت وطأة الألم والأســى والاحســاس بالمرارة الناتجة عن هزائم الإمبراطورية والبلشــفية معاً، وكتعويض عن هذه الهزائم، تحاول- البوتينية- اســـتعادة وحرق كل

المراحل، والقفز فوق التاريخ مرة أخرى، وذلك بالعودة إلى حلم ورسالة

- الإمبراطورية الروسية- القيصرية- الأرثوذكسية – الآسيوية- الشرقية- الغربية- الأوروبية- البلشفية-..الخ.. ؟!؟ وكل هذا التاريخ المزدحم، والشائك والمتناقض... معا، وهذا هو جوهر التفكير والاستراتيجية.. و

- السياسية البوتينية-.

وهو ما نراه ونعيشه في هذه الأيام .

و ختاماً، ألا ترون معي أن هذه- الملحمة، او التراجيديا الروسية- على إخفاق- البطل- في النهاية، شأن كل ملحمة وتراجيديا عظيمة، هي من أروع وأعظم، بل وأغنى الملاحم التاريخية الاجتماعية البشرية، وأكثرها شجى وأسى، بل ودرامية في التاريخ والسياسة والثقافة العالمية، وربما كان ذلك هو ما جعلها تنتج واحدا من أهم وأغنى الإبداعات البشرية في مجال الثقافة والرواية والقصة القصيرة، خصوصا ؟!.

.. وآسف إذ أقول:

- إننا نحن العرب، في العصر الحديث، قد عشنا التجربة الروسية نفسها تقريباً، أو ظروفها، لكننا لم ننتج ما أنتجته هذه التجربة الغنية من إبداعات أدبية وثقافية، أو تجربة اجتماعية كبيرة وهامة.

. .ولكن....

. ..ولكن ...

.. لكن تعالوا ننسَ هذا الكلام الجدي المتجهم ولنذهب معا الى الفكاهة وسخرية التاريخ ومفارقاته ...

.. تقول نكتة روسية كانت متداولة في الحقبة الاشتراكية السوفيتية أن الذي حدث لينين يشبه ما كان قد حدث مع كرستوفر كولومبس من قبل، ولكن بالعكس تماماً، تماماً، فقد أبحر كولومبس يريد الوصول إلى الشرق- آسيا-، فوصل إلى الغرب – أمريكا-.

أما الرفيق لينين فقد أبحر متجها إلى الغرب- أوروبا-، فوصــل إلى الشرق – آسيا-.

وواضح- هنا- ما يعني كل من

-الشرق والغرب-

ملاحظة أخيرة:

الآن، وبعد أن انتهيت من كتابة هذه الدراسـة، ربما صـرت أعرف لمـاذا كـان يلح على ذاكرتي، طوال فترة الإعـداد والكتـابـة لهـذا الموضــوع، قول الروائي الروســي العظيم- فيدور دوســتويفســكي- ١٨٢١- ١٨٨١- عن الروس، وربما عن البشر، ككل:

(كلنا عدميون .)

تتمة وخاتمة لست حلقات نشرت خلال عام- ٢٠٢٢-.

- مساران ومصيران مختلفان، من القرن التاسع عشر، إلى الآن-

- ٧-

٩ أغسطس ٢٠٢٢ ·

٧/٧

تتمة وخاتمة لست حلقات نشرت خلال عام- ٢٠٢٢-.

- مساران ومصيران مختلفان، من القرن التاسع عشر، إلى الآن-.

((في العالم الآن أمتان عظيمتان، الروســيون والأمريكيون، بدأتا من نقطتين مختلفتين، ولكن يبدو أنهما تتجهان نحو هدف واحد بعينه. فقد نشــأتا كلتاهما في الخفاء نشــأة غير مرموقة دون أن يفطن إليهما أحد. فبينما كان العالم مشـــغولاً عنهما بغيرهما من الأمم، إذا بهما تقفزان فجأة الى الصــدارة، وتتبوأان كل منهما مركزها في الصــف الأول من

الدول. فكأن العالم قد ســـمع بميلادهما وعظمتمها في وقت واحد.))
من كتاب

- الديمقراطية في أمريكا.
- ألكسيس دي توكفيل- ١٨٠٥ ÷ ١٨٥٩-
الجزء الأول- ١٨٣٥-
- ترجمة- أمين مرسي قنديل.
- الناشر- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة--١٩٦٢-
- الصفحة- ٥٢٩-.

هذا نص- كلاسيكي في الفكر السياسي العالمي، مكتوب عام- ١٨٥٣-، ومع ذلك قلما تجد كتاباً جاداً في الفكر الســياســي الحديث لا يورده، أو يناقشـــه، وعملي، هنا، محاولة تحليل هذا النص على ضـــوء مســـاره ومصـــيره، منذ كتب، والى اللحظة الحاضـــرة، أو- الواقع الراهن-.

كما تقرأون فقد دخلت كل من أمريكا وروسيا ميدان السياسـة العالمية، كدولة عظمى، في وقت واحد، وبدأتا مســاراً مشــابها نحو هذه العظمة بمقاييس القرن التاســع عشـــر، بل والعشـــرين فيما بعد، أي القوة الاقتصـــادية والعســـكرية والأيديولوجية والســـكنية والســـياســـية.
والسؤال الذي يطرح نفسه، بقوة، هو:

- إلى أين وصـلت كل من هاتين الدولتين في مسـيرتها الخاصـة، لكن- المتزامنة-، وما هو مصيرهما الراهن، أو- وضعهما- في الربع الأول من القرن الحادي والعشرين ؟ !

بدأت الدولتان مسيرتهما معاً، وكانت روسيا دولة اقطاعية وتحاول أن تتكون وتتحدثن، وأمريكا كانت كذلك، وكان العصـــر عصـــر بزوغ الرأســـمالية وتمكنها، والتي كانت تعني التحديث والســـيطرة العالمية، وقد قامت روسيا بخطوات في هذا السبيل، فألغت القنانة، وبدأت حركة تصـــنيع، وتوســعت- اســتعمارياً-، في ســيبيريا ووســط آســيا والقرم والقوقاز، وداعبها أمل وحلم- تحطيم- الدولة العثمانية، أو اقتسـامها مع الغرب الأوربي- الاستعماري، وإعادة عرش الإمبراطورية البيزنطية

في- القسـطنطينية-، بل داعبها حلم- تجاوز الرأسـمالية- والغرب عموما، والقفز إلى الاشـتراكية، دون المرور بالرأسـمالية، فقامت- الثورة البلشـفية- ١٩١٧- ومن بعد، وفي سـبيل ذلك خاضـت روسـيا حروبا أهلية ودولية وتغيرات، بل وثورات ثقافية عبر تغيرات وقفزات مفاجئة ومتناقضـة في الاتجاهات، وهكذا سـارت روسـيا عبر- هزات- اجتماعية- ثقافية- سياسية متناحرة من الاقطاعية إلى الرأسمالية، إلى الاشـتراكية، إلى العودة إلى الرأسـمالية، وكانت تبدو وكأنها- محتارة- في أي طريق تسير، ووصلت إلى- الوضع- الذي تعيشه الآن.

كانت نتيجة كل هذا المخاض هو دولة متعثرة، تحتل المرتبة- -١٣ في مقياس التركيبة والأوضـاع الاقتصـادية والسـياسـية والأيديولوجية العالمية، وهذه هي مقاييس مكانة الدول وتقدمها في عالم اليوم، وهي مكانة روسية لا تتناسب مع منافستها وشريكتها، أمريكا-.

ها هي روسـيا اليوم، دولـة تحـاول أحيـاء الأفكـار والإمبراطوريـة البيزنطية،، دولة تعيد سياسـة القرن التاسـع عشـر الاسـتعمارية إياها، فترسـل جيوشـها إلى سـورية، وتحتل أراضـي دولة مجاورة هي أوكرانيا، وتهدد بإفناء العالم بسـلاحها الذري (هنا أفتح قوسـا لأتذكر وأذكر القراء بما يسميه نقاد الآداب العالمية بـ:

- النزعة العدمية في الأدب الروسـي-)، وتبتز السـياسـية الدولية والعالم باسـتخدام حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي، وتعيش على تصـدير المواد الخام، دون تصـنيع وتحديث حقيقيين، إلا في المجال العسكري، وكأنها دولة من دولة- العالم الثالث-.

الخلاصة، كانت نتيجة المعضلة التاريخية الروسية، والتي عرضنا جذورها وأسـبابها في الحلقات السـابقة، هي - المأزق الروسـي الذي تعيشـه روسـيا اليوم- كما يبدو لكل مشـاهد، أو دارس متعمق. في المقابل، سـارت أمريكا، منذ القرن التاسـع عشـر، في - خط مسـتقيم مباشـر- ودون تعثر، أو تلفت، في الطريق والخيارات الأيديولوجية والسياسية، نحو التحديث والرأسمالية، وتعرضـت مثل روسيا لهزات داخلية وحرب أهلية، وحربين عالميتين، وانهيار اقتصـادي عام في

ثلاثينيات القرن العشـرين، عندما كانت روسـيا تبني الاشـتراكية، لكن أمريكا، مع كل ذلك، وصـــلت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى مرتبة - الدولة الأولى في العالم-

في مختلف المجالات، عسكرياً واقتصـادياً وايديولوجياً وسـياسـياً، على الرغم من كل الملاحظات والاعتراضــات الممكنة على وضــعها وســياســاتها، عكس روســيا التي تبدو وكأنها دولة ما تزال تتعثر، وحيرى في أي السبل تسير.

هـاتـان حقيقتـان لا أظن أن أحـداً جـاداً يســتطيع الممـاراة فيهـا. بموازاة هذه التجربة كانت هناك تجربة أخرى لأمتين- شــرقيتين- هما مصر واليابان، خاضتا تجربة التحديث نفسها في القرن التاسع عشر، ووصـلتا الى النتيجة نفسـها، حيث أخفقت مصـر كما أخفقت روسـيا، ونجحـت اليـابـان، كمـا نجحـت أمريكـا، ولكن هـذا موضـــوع آخر.

هذه هي نتيجة المسار الروسي، المتعرج والمأساوي، منذ بداية الألفية الثانية للميلاد مع- القيصـر إيفان-، مرورا بتغريب وتحديث- القيصـر- بطرس الأكبر- وصـــولاً إلى اشــتراكية البلاشــفة- لينين وتروتســكي وســتالين- وبعدها محاولة العودة إلى ركوب قطار الرأسـمالية الراهنة للقيصــر- فلاديمير بوتين-، بعد التأخر حوالي المائة ســنة على موعد انطلاق هذا القطار الســريع الجامح، والذي وصــل إلى وصـــل إليه، وربما لهذه الأسباب- مجتمعة،- وغيرها، ليس من المستغرب أن يكون مكان روسـيا في العربة- ١٣- في قطار الرأسـمالية المنطلق سـريعا، وليس في العربة الأولى، كما يتوهم بوتين، وأصدقاؤه العرب، أو ممن هم على شاكلته.

...فلنفكر، معاً، في مسار ومصير هذه التجارب التاريخية الأربع، لأنها هي ما يشــكل مســار ومصــير حاضــرنا، وربما مســتقبلنا.

١٧/٨/٢٠٢١

- جيوبوليتيكا،

أو

- ضريبة المكان-

- اللعبة الكبرى-

تغير اللاعبون /الممثلون، والمسرحية وخشبتها باقيتان- .

- اللعبة الكبرى- مصطلح جيوبولوتيكي صكه صحفي بريطاني، وقد استخدم أواسط القرن التاسع عشر لوصف الصراع البريطاني- الروسي- الأفغاني على قلب وسط آسيا، وفيه، وكانت أرض أفغانستان وشعبها ميدان هذا الصراع، إذ كانت كل من روسيا وبريطانيا في ذروة نشاطها الاستعماري، وكانت أفغانستان-

أنذاك، كما اليوم، على ما يبدو

- سرة العالم-

أو- الأيكومين- الأرضي، بتعبير جيبولوتيكي تلك الفترة، وقد بلغت شدة المعارك- وقتها- أن بريطانيا خسرت في إحدى المعارك جيشا كاملا مؤلفات من خمسة عشر ألف جندي، ثم انتهى الأمر بأن توضعت بريطانيا في الهند، وتوجهت روسيا بجهودها الاستعمارية وحروبها إلى أوروبا والدولة العثمانية، ولما عرف بـ

- المسألة الشرقية-.

الصورة اليوم تكاد تعيد نفسها منذ دخول السوفييت/ الروس أفغانستان أواخر سبعينيات القرن الماضي، ثم ما تلا ذلك من خروج الروس من جهة، ومجئ الأمريكان، وعودة- طالبان- الان، أي عودة الصراع إلى أفغانستان- سرة هذا الأكومين،- أي الجزء المعمور من الأرض، أو- الترابي- من الكرة الارضية- في قلب آسيا، حيث تتوضع وتتواجه هذه المرة كل من

- أمريكا وروسيا والصين وإيران والهند-

كل بمشـاريعه وطموحاته السـياسـية والعسـكرية والاقتصـادية، فهل هو التاريخ يعيد نفسه، مرة أخرى، وأخرى ؟ .!

مرة أخرى أردد :

- التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر هم الذين يكررون حماقاتهم- .

ومرة أخرى أتذكر قول الرئيس الفرنســـي- ميتران- غداة ســـقوط الاتحاد السوفيتي أواخر القرن العشرين :

- كنا نتهيأ لدخول القرن العشـرين، فإذا بنا ندلف إلى القرن التاسـع عشر-.

٢٦/٢/٢٠٢٢

يوميات بلا أيام

بعد كل ما قيل عن

- الجريمة البوتونية- الروسية-

في أوكراايينيـا- لا يجد المرء- مثلي- مـا يقولـه ســـوى قول- البير كامو-

"وعرفت ما كنت أعرفه مرة ثانية"

..والذي عرفت ماكنت أعرفه مرة ثانية هو

- التاريخ لا يكرر نفسه، لكن البشر هم الذين يكررون حماقاتهم .

وربما أستطيع أن أضيف عن هذا النوع من البشر

- يكررون جرائمهم .

وهاهي ذي

- روسيا الاستعمارية-

في القرن التاسع عشر تعود إلينا في القرن الحادي والعشرين .

٢٨/٢/٢٠٢٢

... في هذه الأيام، أيام الغزو الروســـي لأوكرانيا، والعودة إلى سياسات الإمبراطورية الروسية في القرن التاسع عشر، أتذكر قول الرئيس الفرنسي السابق- فرانسوا ميتران- عند انهيار *الاتحاد السوفيتي في تسعينيات القرن العشرين- أواخره-:

"كنا نتهيأ لدخول القرن الحادي والعشرين، فإذا بنا ندخل في القرن التاسع عشر " !!

٢٠٢٢/٨/٢١

- تفصيلات أول تدخل روسي في بلاد الشام-

غالبية التواريخ العربية المدونة حتى القرن التاســع عشــر، كانت مكتوبة بطريقة

- الحوليات واليوميات-

أي أن حدثا يستمر وقوعه خمس سنوات- مثلا- لا يمكنك أن تقرأه كاملا، بل أنت مضـــطر لأن تقرأ الســـنوات الخمس، بأيامها، ومن ثم تعيد بناء الحدث في ذهنك كقصة، أو حدث متسق واحد .

أدون هنا حدثا وقع خلال عام واحد، وعلى شـــهور، في عام- ١٧٧٣-، بعد أن أعيد بناءه، حسبما رواه المؤلف، لكن بطريقة حديثة، أي طريقة رواية الحدث في قصة واحدة. وهذا الحدث هو

- أول تدخل عسكرروسي في بلاد الشام عام- ١٧٧٣- .

...وذلك أيام ثورة- ظاهر العمر الزيداني- على الوالي العثماني- أحمد باشا الجزار- .

-١

"في شهر حزيران وصل الى بيروت أربعون مركبا مسكوبيا تلبية لطلب ضـــاهر العمر الذي كان صـــاحبا للأمير منصـــور الشـــهابي، وأحاطوا بالمدينة بحرا وبرا، فوقع الخوف في الجزار الظالم... أما

الأمير يوسف وأعمامه فكتبوا إلى قبطان المسكوب واعدينه بخمسماية كيس- من النقود. م. خ -.

وقدوضـــعوا عنده في المركب رهنا الأمير موســـى ابن الأمير منصور حتى إذا استلموا المدينة يدفعون حالا، وهكذا قبل معهم. فجمع الأمير عســـاكرهم وأحاطوا بالمدينة وابتدأت الحرب في- ٢٠- تموز، وأطلقت مدافع لا تحصى من البر والبحر....

-٢

.."فحينما بلغ أحمد بك الجزار خبر هزيمة البشـــوات- العثمانيين الذين أتوا لنجدته من دمشـــق. م. خ.- نزل الخوف به وانحلت قواه، لأن قبطان المسكوب نزل مع عساكرهم إلى البر، وشدد الحصار على الجزار، و أبقي في البحر مع المراكب قليلا من العســـكر لحين اللزوم أليهم، ووضـع أكثر قواته في البر، مشـغلا ضـرب المدافع برا وبحرا، فالتزم الجزار عندئذ بالتسـليم مراسـلا القبطان ليسـلم عن يده لضـاهر العمر ...

-٣

"فبعد أن تسلم الأمير يوسف المدينة من قبطان المسكوب بتاريخ- ٢٢- أيلول من هذه الســـنة، ودفع له الدراهم التي صـــار القول عليها، والتي جمعها من أهالي بيروت، اسلام ونصارى، عندئذ بقيت عساكر المســـكوب في قلعـة بيروت، و بطلـت الحروب...... وعين الأمير يوسـف خرجا- راتبا. م. خ.- لعسـاكر المسـكوب خمسـة عشـر كيسـا ســـنويا، ورفع الناس علامة الصـــليب- العلم الروســـي. م. خ.- في بيروت بدون أدنى معارضة ...

-٤

"وفي هذه الأيام بلغنا خبر وقوع الصـلح فيما بين دولة المسـكوب والدولة العثمانية، هذا الصـــلح كان بســـعي ملك فرنســـا وخلافه من الملوك، وبعد وقوع الصلح سافرت عساكر المسكوب من بيروت" .

- نقلا عن كتاب

- حوادث لبنان وسوريا.،- من سنة-- ١٧٣٠- إلى سنة- ١٨٠٠-،- جمعها-روفائيل كرامة- ١٧٣٠- ١٨٠٠-.، نشرها- المطران باسيلوس قطان.،- منشورات- ج وسلم برس. طرابلس-. الطبعة الثانية- ١٩٨٣ –

..وكما تذكرون، هكذا تدخل الانكليز- عقب أحداث داخلية- ثورة احمد عرابي- واحتلوا مصر عام- ١٨٨٢-، وهكذا ايضا، أعاد الروس الكرة، وتدخلوا عسكريا في سوريا عام- ٢٠١٥-، عقب أحداث داخلية في سورية .

-- يروي هذه الحادثة، بتفصيلات مشابهة، مؤرخ معاصر هو- القس حنايا المنير- -١٨٢٠ -١٧٥٧ في كتابه،- الدر المرصوف في تاريخ الشوف .،- نشره- الأب أغناطيوس سركيس.،- منشورات- جروس برس. طرابلس- لا تاريخ. وعلى الأغلب في فترة نشر الكتاب السابق، لأنهما نشرا في سلسلة واحدة باسم،- مصادر التاريخ اللبناني–

..وكذلك تروى الواقعة في كتب متعددة أخرى لا مجال لذكرها هنا، وخصوصا كتاب- تاريخ ظاهر العمر الزيداني.، تأليف- المرحوم ميخائيل نقولا الصباغ العكاوي .، نشره- الخوري قسطنطين الباشا المخلصي .،- مطبعة القديس بولس في حريصا .لبنان- ١٩٣٥- .

٤/٣/٢٠٢٢

يوميات متابع

- مقدمات غير مبشرة بالخير-

ثمة ثلاث، أو أربع مقدمات غير مطمئنة للقرن الحادي والعشرين الذي ما زالت البشرية في أوله وهي:

-١ انحلال وتفكك الاتحاد السوفيتي في العقد الأخير من القرن العشرين، مما أدى إلى تفكك- الاستاتيكو- والاستقرار المتوازن للقوى و- الجيوبولوتيكا- العالمية بعد الحرب العالمية الثانية .

-٢ الهجوم على برجي التجارة العامية في نيويورك- أمريكا-، مما أدى إلى تمدد وانتشار

- إرهاب الاسلام السياسي، وإرهاب التنظيمات العقائدية الأخرى –

مما ادى، بدوره، الى الإرهاب الدولي و- الدولتي- المنظم كرد فعل.

٣- غزو روسيا لأوكرايينيا، مما قد يطلق سباقات تسلح وصراعات قوى عالمية جديدة بين قوى ذات- أنياب نووية-.

... أما- المقدمة- التي قد تكون:

-٤ ، فهي ما حدث في سوريا، من تفتيت لدولة نتيجة صراعات قوى محلية وعالمية، و كارثة- إنسانية فادحة .

قد يتعزى- بعضهم- ممن هم من جيلي وتفكيري، بأنه:

- لم يعد لديهم متسع من العمر لمعاناة-

الأهوال التي قد تأتي بها هذه المقدمات، غير المبشرة بالخير.. أو الأمل.. مع الأسف الشديد.

٤/٣/٢٠٢٢

- سياسات يوميات متابع لم حدث قديما، ولما يحدث اليوم-

- ثمرة قديمة كارثية-

منذ أواســـط الثلاثينيات من القرن العشـــرين ظهرت الدلائل على سياسة ألمانيا- هتلر- التوسعية والعسكرية والعنفية، وذلك عندما بدأت ألمانيا، وطوال سنوات ما قبل الحرب، سياسـة- هتلر- وتصـرفاته في التهديد، و- قضم- بعض دول الجوار.

في مواجهة هذه الســياســة والســلوك النازي العدواني، اتبعت دول أوروبا- الهامة- والمســتهدفة، آنذاك، ما ســمي في الأدبيات الســياســية والتاريخية العالمية بـــ

- سياسات الترضية-

وهي سياسة رئيس الوزراء الإنكليزي- تشمبرلين-، أو سياسة

- التواطؤ-

وهي سـياسـة- سـتالين- الذي وقع سـياسـة عدم اعتداء مع- ألمانيا-، عشية الحرب العالمية الثانية.

لم تثمر سـياسـتا التواطؤ والترضـية إذ هاجم هتلر أوروبا وروسـيا، فيما بعد.

في أوائل القرن الحادي والعشــرين يكاد- الســيناريو- نفســه يتكرر منذ أن اتبعت دول العالم الهامة والمعنية

- سياستي الترضية والتواطؤ-

تجاه ســـياســـات روســـيا و- بوتين- وتدخلاته العســـكرية في القرم وجورجيا وسـورية، وآخيرا في غزو أوكرانيا، مما يضـع العالم على أعتاب حرب عالمية ثالثة.

مرة أخرى

- التاريخ لا يعيد نفســه، لكنهم البشــر هم الذي يكررون أخطاءهم... وحماقاتهم...

انها، فيما أرى، سياسة رعناء تعيد سياسات قديمة كارثية مخفقة... ومعروفة المحصول والنتائج.

١/٣/٢٠٢٢

- ..عندما بلع وزير الدفاع ريقه..-
أو
- هذه الكرة الأرضية الطائرة... المخطوفة-

من عـادة الحكـام الطغـاة، هواة الحروب والفتوح والغزوات، أن يتبعوا، لتخويف الدول الأخرى وأرهابها، سياسة:

- حافة الهاوية-

..تماما مثل لص يشهر مسدسه حتى لا يقاومه أحد، أو مثل:

- خاطف طائرة-

عندما يشهر قنبلة يدوية، ويهدد بتفجير الطائرة في الجو، إذا لم تلب مطالبه .

لكن المشـــكلـة تقع للص، أو خـاطف الطـائرة، عنـدمـا لا يخـاف الآخرون من المسـدس المشـهر، أو من القنبلة، وعندها يلجأ اللص إلى الخطوة التالية:

- الابتزاز الخطر-

ويقوم على هذا الابتزاز الخطر على:

- مد الساق اليمنى فوق الهاوية، أو نزع صاعق القنبلة- .

يعلم اللص أنه لا يسـتطيع إطلاق مسـدسـه، لأن الحي سـيسـتيقظ، و يقبض عليه، ويعلم خاطف الطائرة، مشـــهر القنبلة، و نـازع فتيلها، أنه لا يســتطيع تفجير الطائرة لأنه سـيكون أحد الضــحايا، مثل أي راكب بريء .

أظن أن هذا ما حدث للرئيس الروســي- فلاديمير بوتين- عندما دفع الأمور إلى حافة الهاوية، هذه الأيام، وهدد بــ:

- غزوة أوكرانيا-

وعندما غزاها، وتعثرت الغزوة، ووُجه بمقاومة شـديدة لم يتوقعها، لجأ إلى الخطوة الخطرة الثانية، وهي:

- الابتزاز النووي-

..فقد أمر وزير دفاعه، أمس، بتجهيز السلاح النووي .

بث مشــهد الرئيس بوتين وهو يعطي وزير دفاعه هذا الأمر، وكان الملفت في الفيديو الذي بث هو:

- الارتكاس الجسدي لوزير على الاضطراب، كـــ

بعد تلقي الأمر، إذ أظهر الفيديو وزير الدفاع وهو:

- يبلع ريقه- .

وهذه الحركة تدل على الاضطراب، كما تعرفون .

..طبعا يعلم الريئس بوتين، مثلما يعلم خاطف الطائرة، مثلما يعلم وزير الدفاع، أنه لا يستطيع:

- تفجير الطائرة بمن عليها-

فهذا يعني موت الخاطف، مثلما يعني الاســتخدام الســلاح النووي، في العصر الحديث:

- تفجير طائرة الكرة الارضية-

بمن عليها، من روس وأوكرانيين وأمريكان وأوربيين... وغيرهم .

..ووزير الدفاع الروسي، على ما أظن:

- بلع ريقه-

مخافة أن يكون رئيســـه جادا في الأمر، أو أنه يخاطر ويغامر، أو أنه لا يعلم هذه الحقيقة، حقيقة أن روسيا نفسها، والكرة الأرضية كلها، والحضــارة البشـرية، بل وحياة الإنســان ســتنتهي، إذ قادت الحســابات الخاطئة، أو-

تسلل الأفعال العسكرية وردود الفعل عليها-

إلى قيام أحد مالكي السلاح النووي، أو

- المهددين باستخدامه-

، إلى:

- استخدام السلاح النووي-

فعلا، وليس قولا، بعد أن أشـهر الرئيس بوتين هذا السـلاح- القنبلة- مبتزا دول العالم- في:

- وجه ركاب هذه الكرة الأرضية الطائرة-

كرياليسون.. كرياليسون.. كرياليسون ....

الحرب الثقافية الباردة

٢٤يونيو ٢٠١٩ ·

- الحرب الثقافية الباردة-

هذه سلسلة تدوينات تعيد أجواء- الحرب الثقافية الباردة- وطرائفها في الثقافة العربية الحديثة .

– ٣/١-

- في الفن والتقنية-

((ذهبت الى معرض دمشـق في الأسـبوع الماضـي وشـاهدت- السـينراما- التي تعرض لأول مرة خارج الولايات المتحدة الأمريكية !

والسـبب الذي جعل الأمريكيين يعرضـون هذا النوع الجديد من السينما في معرض دمشـق، هو أن سـورية قبلت في معرضـها الدولي الصـين الشـيوعية التي حرصـت بالاتفاق مع روسـيا على حشـد أكبر كمية من وسـائل الدعاية لنهضـتها الصـناعية، فما كان من الولايات المتحدة الا أن حملت آلات- السينراما- الضخمة من أمريكا الى دمشق بـالطـائرات، فكـانـت النتيجـة أن الجنـاح الأمريكي اجتذب جميع رواد

المعرض الدولي، وطغى على الجناح الانكليزي الذي كان يعرض – التلفزيون-.

الكاتب- الصحفي سليم اللوزي.))

المصدر:

مجلة الكواكب المصرية. العدد- ٢٨- سبتمبر-١٩٥٤-

ملاحظة-

فكرت بإضافة واحد من تعليقين-

أما هازل، وأما سياسي جاد، لكني فضلت ترك التعليق والاستنتاج لكم... دام ذكاؤكم ومزاجكم .

- فهم الشعوب من خلال إبداعاتها الثقافية المتميزة-:

ربما تستطيع أن تفهم العرب من خلال إبداعهم المتميز في الشعر، ومن خلال شعر المتنبي خصوصا، وشخصية النبي محمد، وربما تستطيع أن تفهم الألمان من خلال الفلسفة والروح الانضباطية- العسكرية وفلسفة هيجل، وربما تستطيع أن تفهم الهنود من خلال اليوغا وإبداعهم التاريخي في الرياضيات وغاندي، وربما تستطيع أن تفهم الإغريق من خلال فلسفتهم التي تقوم على السؤال عن مكانة الإنسان في العالم،، وأما الطليان فربما كان فنا الرسم والنحت عند دافنشي وميكل انجلو، إضافة إلى حركات الجسد عندهم، هو أفضل مدخل لفهم هذا الشعب،، وربما تستطيع فهم الانكليز بقراءة شكسبير والفلسفة التجريبية والثورة الصناعية، وربما تستطيع فهم الفرنسيين من خلال فهم ديكارت والثورة الفرنسية ونابليون، وربما تفهم الأسبان جيدا إذا فهمت سر شغفهم بمصارعة الثيران ورقص الفلامنكو، وربما تفهم الروس جيدا إذا قرأت تولستوي ودستويفسكي وتشيخوف ولينين معا و جميعا، وربما تفهم أمريكا جيد إذا قرأت رواية موبي ديك وشعر والت وايتمان وامرسون وواضعي الدستور ولنكولن، ثم كنت متفرجا متابعا لأفلام الوسترن والعصابات في ثلاثينيات القرن العشرين، ففيها

أعمق فهم وتحليل جمالي إنساني- اجتماعي لأعماق شخصية هذا البلد، شاهدوا فيلمي- ظهيرة عالية، والعراب، على سبيل المثال ..

أوردت كل هذا الكلام لأقول :

مثلما كانت الفلسفة والشعر والدين والثورات والرقص والرواية والسياسيون مرآة الشعوب في الماضي، والكاشف عن رؤيتها للحياة، وعن تاريخها، فقد كان الفن السينمائي- الجديد- في القرن العشرين هو المميز المعبر عن ولادة هذه الأمة- الدولة- الحضارة- القوة الجديدة في التاريخ، أو في هذا: العالم الجديد.

نعم يا سادة: الفن السينمائي هو- ملحمة- ومرآة وجماع ثقافة القرن العشرين الفكرية والتقنية والجمالية. هو الإضافة الإنسانية الجديدة للثقافة العالمية- الإنسانية.

أما الانترنت، فما يزال من المبكر الحكم عليها، في القرن الحادي والعشرين، فربما استجد ما هو أهم منها. نحن ما نزال في أول القرن والطريق.

جيوبوليتيكا ثقافية

استقبال نظرية داروين في الثقافة العربية

مرَّ التعرف على نظرية داروين ومناقشـتها في الثقافة العربية بأربع مراحل نعرضها فيما يلي:

استقبال نظرية داروين علمياً:

وردت أولى الإشـــارات إلى نظرية داروين ورأيه في "النشـــوء والارتقاء". أو في الخلق وتطور الإنســـان، كنظرية علمية جديدة في مقالات ثلاث تسـتعرض هذا القول الجديد بشـكل أولي كتبها رزق الله برباري في السـنة الأولى من مجلة المقتطف (١٨٧٦) التي بدأت هذا العام تصدر في بيروت ويحررها [يعقوب صروف، ١٨٥٢ ـ ١٩٢٧] و[فارس نمر ١٨٥٦ ــ ١٩٥١] بإشراف وتشجيع [كرنيليوس فان ديك ١٨١٨ ــ ١٨٩٥] المدرس في الكلية السورية الإنجيلية، أي ما عرف منذ عام ١٩٢٠ بـ "الجامعة الأمريكية في بيروت".

كـان محررا هـذه المجلـة "المقتطف" من طلاب هـذه الكليـة ومن أســاتذتها العرب اللامعين، في وقت كان فيه أكثر أســاتذة الكلية من المبشرين البروتستانت، أما راعي المجلة والأستاذ الذي اقترح اسمها على المحررين والأستاذين الشابين كرنيليوس فان ديك[١]. فقد كان على علاقة مراسلة مع تشارلز لـ داروين (١٨٨٢ــ ١٨٠٩) صاحب نظرية النشوء والارتقاء الجديدة آنذاك، وحول موضوعها إياه.

كان داروين قد أصدر عام ١٨٥٩ الكتاب الذي أذاع به نظريته، وهو كتاب "أصل الأنواع" ثم دعم نظريته بكتابه الثاني "نشأة الإنسان" عام ١٨٧١ ثم توفي خلال عام ١٨٨٢، وخلال الفترة ما بين الكتابين ووفاة داروين كـانـت النظريـة قد ذاعت وانتشـــرت وصـــار لـهـا مؤيـدون ومعارضــون في جميع أنحاء العالم، وصـــار اسـم داروين معروفاً في

---

[١] ـ عن كرنيليوس فان دايك يمكن مراجعة الكتاب التالي: كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية العلمية في القرن التاسع عشر. تأليف. يوسف قزما خوري. دار سوراقيا للنشر ـ بيروت. لا تاريخ ـ تسعينيات القرن العشرين على الأغلب. وفان ديك هو الذي اقترح تلميذيه "محرري المقتطف" اسم المجلة.

أوســـاط أســـاتذة الكلية الســـورية الإنجيلية وطلابها ومراســـلي مجلة المقتطف وكتابها في بيروت.

توفي تشـــارلز دارون في نيســـان ١٨٨٢ وفي شـــهر أيار من العام نفسه مباشرة نشرت المقتطف نعياً لتشارلز دارون، وفي العدد التالي ـ حزيران ـــ ١٨٨٢ تابعت المجلة الحديث عن دارون ونظريته مشيرة إلى المراسـلات بين الأسـتاذ فان دايك وتشـارلز دارون، ومتحدثة عن نظرية دارون ومنوهة إلى أن نظرية دارون في النشـــوء والارتقاء لا تخالف الدين المسـيحي، وأن هناك مؤيدين لهذه النظرية بين صـفوف رجال الدين المسيحيين في أوروبا.

بعد ذلك، وفي عددي تموز وآب من العام نفسه ـــ ١٨٨٢ ـــ ظهر مقال في حلقتين يشـرح وبالتفصـيل ،النظرية الداروينية، وواضـح أن الـذي دفع مجلـة المقتطف إلى تكثيف وترداد الحـديـث عن دارون ونظريته إنما هو مناسبة وفاة صاحب النظرية، أضف إلى ذلك جديتها العلمية وجديدها العلمي والفكري. لكن الأمر بدا، على ما يبدو بالنسـبة لأسـاتذة الكلية، وجلهم من المبشـرين البروتسـتانت المحافظين فكرياً، وكأنه هجوم دارويني في عقر دارهم ــــ الكلية الإنجيلية الســـورية ـ فالمقتطف كانت تصدر عن دوائرهم، والثلاثي فان دايك ـــ صروف ـ نمر من زملائهم. وقد أيد مجرى الأحداث التالي شـــكوك الأســـاتذة المحافظين في رأيهم، مما أدى إلى تدخلهم "اللاهوتي"، وهكذا تحولت قضية دارون العلمية إلى قضية لاهوتية كما سنرى فيما بعد.

في شـــهر تموز من هذا "العام الداروني" ذاته أقيمت حفلة تخرج بمناسـبة انتهاء العام الدراسـي لتوزيع شـهادات التخرج على الطلاب الذين أنهوا دراســـاتهم، وكانت "الأقســـام" أي الكليات بلغة زمننا هذا التي يجري تدريس علومها آنذاك، هي أقسام الطب والهندسة والعلوم، ويبدو أنه كان من تقاليد الكلية أن يلقي أحد الأســـاتذة كلمة توديعية ـ توجيهية ــــ للطلاب في حفل التخرج، وقد كانت كلمة هذا العام من نصيب الدكتور أدوين لويس [١٨٣٩ ـ ١٩٠٧].

كـان الـدكتور لويس مهتمـاً بـالجيولوجيـا، والكيميـاء ولـه مؤلفـات تدريســـية باللغة العربية فيهما ولهذا كان طبيعياً أن يكون مطلعاً على

نظرية داروين ســواء من مصــدرها في بريطانيا أم من دوائر الكلية الإنجيلية في بيروت، وربما كان هذا ما دفعه إلى الإشــارة المقتضــبة إلى هذه النظرية قائلاً بعد استعراض تاريخ نظرية التطور قبل داروين:

"قام داروين الطبيعي الشــهير وألقى على الملأ كتابه المعروف بأصل الأنواع"

ثم يتابع الدكتور لويس شارحاً لطلابه مجمل نظرية داروين ومشيراً إلى ما لقي داروين من المعارضة وبعد ذلك يقول:

"... وأما من جهة مناســبة هذا المذهب لتعليل الحوادث وكفاءته لتبيين أسباب كل المسببات التي يتطلب تعليلها به فلا يمكننا أن نحكم الآن حكماً باتاً إذ لا يزال يوجد أمور كثيرة تحتاج التحقيق والإثبات والفحص والتمحيص قبل القطع في الحكم عليها".

ويتابع الأستاذ معللاً لطلابه سبب ذكره أو عرضه لمذهب داروين قائلاً:

"ولذلك ذكرته لكم مثالاً على تحول المعرفة إلى العلم بالإمعان الطويل والفكر الدقيق".

وواضــح الطابع التوجيهي والأمثولي العلمي في حديث أســتاذ إلى طلابه في كلام الدكتور أدوين لويس، وقد كتب الشــيخ إبراهيم الحوراني [١٨٤٤ ـ ١٩١٦] مادحاً خطاب لويس هذا وطابعه التوجيهي العلمي، لكن الشيخ الحوراني سيكون من أشد معارضي الدكتور شبلي شــميل أهم من رفع راية المذهب الداروني فيما بعد، وحالة الشــيخ الحوراني مثال واضح لتحول المحاججة العلمية إلى محاججة لاهوتية، أي تحول الاســتقبال العلمي للنظرية الداروينية إلى اســتقبال لاهوتي، ولكن كيف حدث ما حدث، كيف جرت الأمور وكيف تغير النقاش وانتقل من العلم إلى اللاهوت؟!

٢ ـ استقبال نظرية داروين لاهوتياً:

على ما يبدو كانت هناك خلافات ومناقشات شخصية بين الدكتور أدوين لويس وبعض أســاتذة الكلية، فقد كان الدكتور لويس شــخصــية ذات طابع متحرر اجتماعياً وفكرياً إلى درجة قد لا ترضــي بعض

الأســـاتذة الزملاء المحـافظين الآخرين، وربمـا وجـدوا في خطـابـه "مســتمســكاً"، عند ذكره لداروين ونظريته يســاعد في التخلص منه. ولهذا أتى الاعتراض على خطاب الدكتور لويس من هذه الجهة أولاً.

كانت مجلة المقتطف قد نشرت في شهر آب من عام ١٨٨٢ خطاب الدكتور لويس تحت عنوان:

"المعرفـة والعلم والحكمـة لجنـاب الـدكتور أدون لويس أســتـاذ الكيمياء، والجيولوجيا في المدرســة الكلية الســورية، وهي خطبة تلاها على الذين أكملوا دروسهم فيها في ١٩ تموز سنة ١٨٨٢"

وفي عدد المقتطف من شهر تشرين الثاني من عام ١٨٨٢ كتب أحد الأساتذة المحافظين (جايمس أنس) أو "دنس" فقد استخدم جايمس أسماً محلياً هو "أنس" بدل "دنس" على عادة بعض المبشــرين والأســاتذة آنذاك في استخدام اسم محلي. كتب الدكتور أنس رسالة إلى المجلة قال فيها عن خطاب زميله الدكتور لويس:

"ذكر مسـتر داروين كمثال لرجال العلم وذكر مذاهبه على أسـلوب يظهر منها أنها تسـتحق الاعتبار ولم يحاول إظهار فسـادها ونقصـها ولا كونـها محســوبة عند كثيرين من أكبر علماء عصــرنا ســخافة وخالية من الدليل"

ثم اسـتنكر الدكتور جايمس أنس أن يلقى مثل هذا الكلام أمام شـبان في أول دخولهم مجال الحياة ومعتركها. بعد ذلك رأى المراســل أن داروين ملحد.

وهنا انتقلت المناظرة حول الداروينية، كما هو واضـح. من العلم أو شــبهه، إلى المجال اللاهوتي ومجال التدين والإلحاد، حيث ينتقل السـؤال من: هل النظرية متسـقة منطقياً وتفسـر بعض الظواهر، كما يفترض بالنظرية العلمية، أم هي مجرد إلحاد، أي أنها تخالف تعاليم الكتاب المقدس.

في عدد مجلة المقتطف التالي: كانون الأول ١٨٨٢ رد اثنان على الدكتور جايمس أنس. أولهما يوسـف الحايك، وكان قد هاجر للعمل في مصـر على ما يبدو، وهو من متخرجي الدفعة التي ألقى على أسماعها

الدكتور لويس خطابه، وكان الثاني الذي كتب رداً موضحاً هو الدكتور أدوين لويس نفسه.

أوضح الدكتور لويس في رسالته إلى المقتطف أنه لم يدَّع أن مذهب داروين محقق الصـــحة، وأن ما أراده من ذكر هذا المذهب إنما هو التمثل، أمام الطلاب، برجل العلم وجدية البحث، عله مثل هذه الجدية في البحث والإخلاص للعلم تكونان قدوة للطلاب في مســـتقبل حياتهم. وبهذه المناســـبة يؤكد الدكتور لويس إيمانه بالله، مثلما يؤكد إيمان داروين ذاته مستشهداً بقول داروين في ختام كتابه "أصل الأنواع":

"إذا اعتبرنا أن الخالق نفخ نســـمة الحياة بقواها المتعددة في صور قليلة أو في صورة واحدة أصلية ففي هذا الاعتبار ما فيه من العظمة".

أما الطالب المتخرج "يوســـف الحايك" فقد عدد صـــفات الدكتور لويس الممتاز كأستاذ، ثم يؤكد ـ كذلك ـ أن لا مآخذ هناك، من الوجهة الدينية، على خطاب الأستاذ لويس[٢].

يبدو أن مناقشـــات شـــفوية ومراســـلات إدارية حامية جرت خلال صيف وخريف ١٨٨٢ في دوائر الكلية السورية الإنجيلية، سواء في بيروت، أو مركز إدارتها في أمريكا. ويبدو أن رســـائل متبادلة شـــديدة اللهجة تبودلت بين الطرفين ووصلت في حدتها وإشكاليتها إلى درجة رأت معه مجلة المقتطف في العدد الأول من ســـنة ١٨٨٣ ـــــ كانون الثاني ـ أن الأفضل، أو حسب تعبير المجلة:

"أن نهمل كل ما ورد علينا"

وهنا انتهى النقاش العلني ـــــ علمياً ولاهوتياً ـــــ مؤقتاً ـــــ وبدأت المناورات والإجراءات الإدارية التي أنتهت بفصـــــل الدكتور لويس، ومعها إضـراب الطلاب الشـــهير آنذاك الذي تحدث عنه جرجي زيدان

---

[٢] ـــــ سبق أن أعدنا نشر مقالات أدوين لويس وجايمس أنس ويوسف الحايك كاملة في كتاب "حرية الاعتقاد الديني" . ص٢٧ . ٤٧. منشورات رابطة العقلانيين العرب + دار بترا . دمشق . ٢٠٠٥.

بالتفصيل في مذكراته، فقد كان جرجي زيدان [١٨٦١ ــ ١٩١٤] أحد قادة هذا الإضــراب الذي انتهى كذلك بترك جرجي زيدان دراســة الطب، وذهابه إلى مصر وبدء مسيرة حياته المعروفة في مجلة الهلال وفي النهضة العربية عموماً[٣].

عام ١٨٥٩ أصــدر دارون كتابه "أصــل الأنواع" وقد اســتقبل هذا الكتاب أو هذه النظرية في أوروبا ما بين مؤيد ومعارض[٤]، فقد كان من طليعة المؤيدين علماء مثل "توماس هكلســي [١٨٢٥ ـــ ١٨٨٧] وكان هناك علماء معارضون مثل "جون أغاسي [١٨٠٧ ـــ ١٨٧٣] وقد كانت معارضــة أغاسـي من أشد المعارضــات التي تمزج اللاهوت بالعلم، وتنتصــــر للاهوت مبدئياً، أي لمبدأ الخلق كما ورد حرفياً في التوراة، ويقصـــد بهذا القول أن الله خلق الأنواع منفصـــلة نوعاً نوعاً، وليس هناك مبدأ نشـــوء واحد تطورت عنه، حســـب الظروف، أنواع مختلفة كما تقول الدراوينية.

من جملـة مؤيـدي دارون، عـالم ألمـاني هو لودفيغ بخنر [١٨٠١ ـ ١٨٩٥] أصدر بوخنر عام ١٨٦٨ كتاباً بعنوان "ست محاضرات حول نظرية دارون" ويبدو أنه كانت هناك جمعية علمية في باريس تتابع نظرية دارون وتروج لها من منطلق إلحادي، و هذه الجمعية هي التي قامت بترجمة كتاب بوخنر الآنف ذكراً، إلى اللغة الفرنسية[٥]، ويبدو أن الدكتور شـبلي شـميل اطلع عن هذه الترجمة، أو قرأ عنها واستنكرها، خلال دراسته في الكلية الإنجيلية السـورية (متخرج عام ١٨٧١) وبعد

---

[٣] . عن هذا الموضوع والحوادث يمكن مراجعة:

١ . مذكرات جرجي زيدان. دمشق . ٢٠٠٥ ط٢

٢ ـ دارون وأزمة ١٨٨٢ بالدائرة الطبية ـ شفيق جحا بيروت ١٩٩١ ـ وفيه توثيق ممتاز للأحداث التي تحدثنا عنها.

[٤] ـــ عن اســتقبال نظرية دارون في أوروبا ما بين مؤيد ومعارض يمكن مراجعة كتاب: دارون وشركاه بيير توللي. ترجمة د. إياس حسن. دار الكنوز الأدبية . بيروت ١٩٩٦.

[٥] . راجع. دارون وشركاه حول هذه الناحية من الموضوع. مذكوراً سابقاً.

تخرجه من الكلية السورية ذهب الدكتور شميل إلى أوروبا عام ١٨٧٤ وهناك اطلع على النظرية الداروينية، ثم جاءت أزمة "قضـــية لويس" في بيروت والموقف اللاهوتي الرافض والمتعنِّت لغالب أساتذة الكلية، فكانت حافزاً للدكتور شــبلي شــميل للدخول في المناظرة، أو تجديدها بعد أن أغلقت المقتطف باب المناظرة أو النقاش حول الموضـــوع. تخرج شبلي شميل [١٨٥٠ ـــ ١٩١٧] من الكلية السورية الإنجيلية. وكان زميلاه في الدراســـة يعقوب صـــروف وفارس نمر، مثلما كان أستاذه وأستاذهما المدرس المتحرر فكرياً وذهنياً كرنيليوس فان دايك، ثم ذهب على أوروبا لمدة عام للدراســـة، وهناك اطلع على المذهب الداروينى مفصـــلاً، وعلى مختلف الآراء حوله، مع العلم أن الدكتور شـــميل، وعلى الرغم من نفوره الأولي من مذهب دارون، كان مهيأ ذهنياً لقبول هذا المذهب، وفي ذلك يقول:

"في سنة ١٨٧١ ـ وكنت أدرس الطب في المدرسة الكلية السورية سمعت ـــ ولا أذكر كيف ـــ أنه قام رجل يدعي أن أصل الإنسان من القرد... فلم أتحر حقيقة هذا القول.... وغاية ما أذكر أنني لم أسمع به حتى أظهرت اشـــمئزازي منه ومن قائله الذي اعتبرته حينئذٍ دعياً ما خالف إلا ليعرف..... ثم مرت الشـــهور ولا أذكر أني عرفت عن هذا المذهب شيئاً جديداً حتى نسيته. ومن الغريب أني بعد ذلك بزمان عند نيلي الشـــهادة كان موضـــوع خطابي المدرســـي النهائي "اختلاف الحيوان والإنسان بالنظر إلى الإقليم والغذاء والتربية" وقد جئت فيه بكثير مما يؤيد هذا المذهب وأنا لا أقصد فكنت كالذي يقول النثر وهو لا يدري"[٦].

على كل حال فقد اطلع الدكتور شــبلي شــميل فيما بعد على مذهب دارون عن طريق كتاب بوخنر على ما يبدو، وعلى أثر قضـــية أو "أزمة لويس". وكمســـاهمة منه في المناظرة حول المذهب الداروني، أو كـإعلان لموقف ودعوة للمنهج العلمي في الدراســـة بدل المنهج اللاهوتي فقد قرر الدكتور شميل ترجمة كتاب بوخنر ـ **ست محاضرات**

---

٦ . فلسفة النشوء والارتقاء. مقدمة الطبعة الثانية ص ٢٦. مطبعة المقتطف. مصر . ١٩١٠.

حول مذهب دارون ١٨٦٨، وفعلاً ترجم شـميل الكتاب ونشـره تحت العنوان التالي بعد عامين من "أزمة لويس":

"تعريب لشـرح بخنر على مذهب في انتقال الأنواع وظهور العالم العضوي وإطلاق ذلك على الإنسان"

الإسكندرية ـ مطبعة جريدة المحروسة ـ ١٨٨٤"

وقد أطلق على الترجمة، على سـبيل الاختصـار اسـم "**شـرح بخنر على مذهب دارون"**

ومن الطريف هنا أن نذكر تعريف إدوار فان ديك، وابن كرنيليوس فان دايك الإنسـان المتحرر وأستاذ الجماعة "يعقوب صـروف، فارس نمر. جرجي زيدان، شبلي شميل". لكتاب شرح بخنر. وذلك من كتابه "فهرسة" "اكتفاء القنوع"[٧]

"شـــبلي شـــميل اللبناني الطبيب. له: تعريب لشـــرح العلامة الأورباوي بوخنر على مذهب دارون تصـــرَّف في تعريبه وصـــدَّره بمقدمة فلسفية أعرب فيها عن أرائه الخصوصية في الحكمة"

وقبل ذلك كان فانديك الابن إذا ذكر شـبلي شـميل يقول عنه "**تتلمذ على فنديك"** الأسـتاذ الأب، أما هنا، في شـــرح بخنر فلم يذكر هذه التلميذة، بل ذكر بأن لشـبلي شـميل أراء خاصـة، وأنه تصـرف في الترجمة. وكما هو واضـح فهذا نوع من النقد المبطن لترجمة شـبلي شميل لكتاب بخنر.

ينبغي بداية أن نلاحظ أن شبلي شميل لم يترجم نصاً لدارون نفسه، بل قام بترجمة "محاضرات" حول المذهب وسماها شرحاً على طريقة العرب القدماء في ترجمة **الشـروح على أرسطو والمؤلفات اليونانية الفلسفية عموماً**، أي ترجمة الشروح قبل المتن، أو الترجمة الشارحة، إن صح التعبير. وهنا لا يسع المرء أن يقول أن شميل سهل الأمر أكثر من المطلوب، وهو معرفة المذهب في أصوله. وزاد بأن استخلص من

---

[٧] ـــــــ إكتفاء القنوع بما هو مطبوع. لجامعه إدوارد فان ديك مطبعة الهلال. القاهرة. ١٨٩٦م ـ ١٣١٣هـ. والكتاب من أوائل فهارس الكتب في الثقافة العربية الحديثة، إن لم يكن أولها.

شـــرح بوخنر على مذهب دارون "**إطلاق ذلك على الإنســـان**" كما شـرح شـبلي شـميل، وكما لاحظ فان ديك الأبن، لكن لماذا فعل شـبلي شـميل ما فعل؟! لماذا "شـرح شـروح بوخنر" على مذهب دارون ولم يترجم دارون؟ وما نتيجة ذلك؟! يقول شبلي شميل عن دواعي وأصداء هذه الترجمة حين نشرها عام ١٨٨٤:

"وقد أحدث نشـــره يومئذ لغطاً عظيماً، مع أنه لم يطبع منه إلا خمسمائة نسخة لم تنفذ إلا بعد خمس عشرة سنة، لغطاً كان قليله في الخاصـة المعدودة، فقاموا ينفونه كله، أو بعضـه، كل على قدر علمه، أو حســب هواه. وكثير من العامة الذين أكثروا من الجلبة عن سـماع لا عن مطالعة لأنهم سمعوا أن فيه مساساً بأعز شيء لديهم هم عليه حريصـــون، عن إرث وعادة، لا تدبر وروية. "على أن هذه الرجَّة التي حصـلت حينئذ هي المقصـودة مني في ذلك الحين لإيقاظ الأفكار من نومها العميق، والحركة مهما كانت، خير من السكون"[٨]

حسناً. لقد حدثت الرجة المقصودة، فلنتابعها كما حدثت إذن.

كان الشيخ إبراهيم الحوراني[٩]، وهو مدرس سوري لاهوتي سابق في الكلية الإنجيلية، ثم من موظفي البعثة التبشرية البروتستانتية، ومن أركان النهضـــة العربية فيما بعد، قد رحب بخطبة لويس عام ١٨٨٢ قائلاً في النشرة "الأسبوعية" وهي مجلة البعثة التبشيرية البروتستانتية ما يلي في عرضه "احتفال التخرج":

"ثم تلا جنـاب الـدكتور لويس خطبـة رائعـة... مملوءة بـالفوائـد والمبادئ العلمية، وبموافقة المســائل والاكتشـــافات العلمية الحديثة للمبادئ الدينية، وملاءمة أفعال خالق العالمين في الطبيعة لأقواله في صحف الوحي.. فنشني على همة الدكتور المومأ إليه خير الثناء."[١٠]

---

[٨] . فلسفة النشوء والارتقاء. ديباجة الكتاب ص. ب. ج.

[٩] . راجع عنه: الشيخ إبراهيم الحوراني. شاعر وأديب. د. كمال اليازجي. بيروت. ١٩٦٣.

[١٠] ـــ النشرة العدد: ٣٠ تموز ١٨٨٢. نقلاً عن دارون وأزمة. ١٨٨٢ ـــ مرجع مذكور سابقاً. ص٦٥.

لكن بعد أن عارض المحافظون في الكلية مذهب دارون إثر خطاب لويس، وبعد أن نشر الدكتور شميل ترجمته لشرح بخنر، مع مقدمته وآرائه الفلسفية الخاصة **"وإطلاق ذلك على الإنسان"** وبعد أن أراد الدكتور شميل إحداث "رجة" أو "صدمة" فقد كانت نتيجة هذه الرجة ـ الصدمة أن ارتج الشيخ الحوراني وانبرى للرد على شبلي في النشرة "الأسبوعية" التي مدح فيها خطاب لويس، ثم أعاد نشر ردوده في كراس سماه "مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء ـــ ١٨٨٤" ومحتوى الرسالة واضح من عنوانها، فما كان من الدكتور شبلي شميل إلا أن كتب رداً مباشراً على الشيخ إبراهيم الحوراني سماه **"الحقيقة ـ ١٨٨٥"** وفي هذه الرسالة يوضح الدكتور شميل موقفه ويدافع عنه ويهاجم الشيخ إبراهيم الحوراني. فكانت النتيجة أن الشيخ الحوراني كتب رسالة أسماها "الحق اليقين في الرد على بطل دارون ــ ١٨٨٦" وهنا صارت اللهجة والرمي المتبادل بالجهل والتجاهل قوية عند المتناظرين، فكل منهما يتهم الآخر "بالهيام في أودية الضلال والخيال" وخلاصة رأي الحوراني بالنسبة لشبلي شميل: **".. فإني من محبي حسن صيته ورفعة مقامه، وإن كنت من مبغضي كفره وأوهامه"**[11]

في عام ١٨٨٤ توسعت جبهة النقاش اللاهوتي ـــ المسيحي البروتستانتي على النقاش الكاثوليك، غرماء البروتستانت، فشنت جريدة "البشير ـــ ١٨٧٠" الناطقة باسم اليسوعيين الكاثوليك هجوماً قوياً على مجلة "المقتطف" وخاصة لأن المقتطف نشر مقالات يتشكك فيها في السحر وحقيقته ويروج لنظرية دارون "الإلحادية" وللفلسفة المادية عموماً، و"كفرت" المجلة صاحبي المقتطف، فما كان من المقتطف إلا أن ردت بهجوم مضاد "مكفرة" جريدة "البشير" في مقالة عنوانها: "إيمان المقتطف وكفر البشير" [أيلول ـــ ١٨٨٤]. واعتباراً

---

[11] ـــ الحق اليقين في الرد على بطل دارون. تأليف العالم الفاضل إبراهيم أفندي الحوراني. طبع في بيروت سنة ١٨٨٦. ص٧ الديباجة علم اليقين في مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق ـــ ١٩٣٧" وكلها تناقش مذهب دارون من وجهة نظر لاهوتية وتؤكد على إلحاد دارون.

من هذه الفترة اتســـعت المناظرة الكبرى حول الداروينية في الثقافة العربية عموماً، واســـتمراراً في هذه المناظرة فقد كتب رجل الدين "جرجس صــفير الماروني، كتاباً ســماه "**أصــل الكائنات والإنســان ـ ١٨٩٠**" وفي هذا الكتاب "يدحض" المؤلف مذهب دارون، وقبله كان مطران اللاذقية الشهير جرمانوس معقد قد نشر مقالين عام ١٨٩٩ في مجلة "المشرق ـ ١٨٩٨" حاول فيهما التوفيق بين الدين والعلم، وكانت قضية دارون في خلفية نقاشه[١٢].

إلى هذا التـاريخ والمســـألـة تكـاد تكون مطروحـة على الجـانـب المســـيحي وفيه. وكان يجب الانتظار إلى عام ١٩١٠ حين أصـــدر الدكتور شـــبلي شـــميل "مجموعته" وفيها أعاد نشـــر كتاباته بما فيها وترجمته وشـــرحه على بوخنر، وكتاب الحقيقة ومجموعة من مقالاته حتى عام ١٩١٠[١٣].

أعادت إعادة نشر الدكتور شبلي لكتاباته الموضوع من جديد إلى حلبة النقاش ومارسـت هذه الإعادة تأثيراً كبيراً في الظروف الثقافية الجديدة التي تتمثل في تكون فئة جديدة من المثقفين العرب، وفي مجال واســـع وجديد للنشـــر والإطلاع والقراءة، وبالتالي تكون مجال أوســـع للتأثير وللقبول والرفض ومن ثم المناقشـــة، مما أدى إلى خروج النقاش من دائرته الضـــيقة الأولى. أي خروجها من الدائرة اللاهوتية التي كانت دائرة مسيحية تقريباً، خلا استثناء واحد سنورده في مكانه فيما يأتي.

---

[١٢] ـــــ بعد ذلك كتب في الموضوع نفسه كل من: إسكندر طوران في مجلة المشرق عام ١٩٢١. ثم الأســـقف خير الله اســـطفان "صـــفوة علم اليقين في حقيقة مذهب دارون ـ ١٩٢٩" ثم حليم عطية ســـوريال "تصـــدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق ـ ١٩٣٧" وكلها تناقش مذهب دارون من وجهة نظر لاهوتية ـــــ مسيحية رافضـة وتؤكد إلحاد دارون.

[١٣] ـــــ تحتوي مجموعة الدكتور شـبلي شـميل على كتابين. الكتاب الأول ويحتوي: ١ ـ فلسـفة النشـوء والارتقاء وهو الجزء الأول من المجموعة، ويحتوي على كتب ثلاثة هي ١ ـ شرح بوخنر.. ٢ ـ كتاب الحقيقة. ـ ٣ ـ ملحق مباحث في الحياة لتأييد الرأي المادي فيها. وهذه التي يعاد طبعها في هذه النشرة التي تقدم الآن.
أما الكتاب الثاني فيحتوي مجموعة مقالات الكاتب في صحف ومجلات مختلفة حتى سنة ١٩١٠.

كان الشيخ الطرابلسي حسين الجسر (١٨٤٥ ــ ١٩٠٩) من أوائل من ألمح إلى نظرية دارون من وجهة نظر المثقفين أو رجال الدين المسلمين، وذلك في كتابه المعروف "الرسالة الحميدية ـــ ١٨٨٨" وخلاصة رأي الشيخ الجسر أن المهم في الموضوع "نظرية دارون" أن النظرية ظنية، ثم أن الله هو خالق هذا الكون، وهذه الأنواع، وليس مهماً إن كان الخلق قد تم تطوراً أو تمَّ دفعة واحدة.

"ما أردت الآن إيراده عليكم وهو كافٍ في بيان أن دلائلكم ومعتمداتكم في النشوء ظنية لا تعارض نصوص الشريعة الإسلامية"[١٤].

بعد الشيخ حسين الجسر كتب السيد محمد رضا الأصفهاني كتاباً أسماه (**نقد فلسفة دارون ـ ١٩١٤**) وطبع في بغداد في مطبعة الولاية على جزأين، وخلاصة رأي السيد الأصفهاني أن **مذهب دارون، أو مذهب النشوء والارتقاء ليس مما ينافي الدين لأن جميع الموجودات هي من صنع إله واحد قادر حكيم قد وسع علمه وقدرته كل شيء وأتقن صنع كل شيء... وأن مذهب النشوء ـ إن صح ـ هو تعبير عن ترتيب مخلوقات وكيفية صنع الله لها... ولهذا فلا موجب لأن نعتبر هذه النظرية أساساً للإلحاد"**[١٥] وخلاصة الخلاصة في رأي هذا

---

[١٤] ـ أوردنا نص رأي الشيخ الجسر كاملاً في: حرية الاعتقاد الديني. ص٦٥ ـ ٧٧ ـ دار بترا دمشق ـ والشيخ حسين الجسر هو والد الشيخ نديم الجسر مؤلف كتاب "قصة الإيمان ـ بيروت ــ ١٩٦٢" وفيه يحاول الشيخ الأبن أيضاً التوفيق بين العلم والإيمان ــ وهو من الكتب التي أحدثت صدى حسناً في فترة الستينات، فترة التوفيق، وقبل الهجوم "الإسلامي" على العلم. كما سنرى فيما بعد. وموقف الشيخ نديم من دارون استمرار لموقف والده إذ يكتب الشيخ نديم الجسر في كتابه هذا فصلاً كاملاً "بين دارون والجسر" يقع في أربعين صفحة (١٥٧ ــ ١٩٦). وفيه يقول: "وسوف ترى أن تلك الحملة القاسية من قبل العلماء ورجال اللاهوت في أوروبا) إنما نشأت من عدم معرفة حقيقة آراء دارون، أو من توهم تعارضها مع الإيمان بوجود الله، تعارضاً أساسياً قاطعاً. وسوف تعلم أنه، لا آراء دارون في أصل الأنواع وقوانين الذشوء والارتقاء، ولا فلسفة التطور التي وضعها سبنسر، تنافي وجود الله، خالق المادة بعناصرها، وقوانينها في تحولها وتطورها. ص ١٥٨ الطبعة الثانية ١٩٦٣.

[١٥] ـــ لم يتيسر لي الاطلاع على نص كتاب الأصفهاني وأنقل الرأي هنا ملخصاً عن كتاب: عباس محمود العقاد الإنسان في القرآن الكريم. ص ١٠٥ ـــ ١٠٦. دار الهلال القاهرة ـ لا تاريخ. وهناك طبعة لهذا الكتاب: كتاب الهلال ١٩٦١.

الكاتب، ويبدو أنه رجل دين شيعي، أن النظرية الداروينية مع أنها غير مثبتة علمياً، لكنها ما تزال عرضـــة للنقاش، فهي إن صـــحت، غير مخالفة لنصوص الدين، وهذا الموقف سنراه عند كل المثقفين المسلمين من الشيخ محمد الجسر، كما رأينا، إلى السيد الأصفهاني، إلى عباس محمود العقاد عام ١٩٦١ كما سنرى. وبعد ذلك دخل استقبال الداروينية في اتجاه أخر، كما ســنرى فيما بعد في الثقافة العربية كما هو واضـح كان الكلام يجري عن دارون في غيابه، أو بواســطة شـــروح بخنر وتفسيرات واستنتاجات وآراء أو قل شروحات الدكتور شبلي شميل، لكن ماذا قال دارون شخصياً وأين هو دارون دون وسائط أو شروح أو تفسيرات، أو استنتاجات أين هو دارون دون بوخنر وشبلي شميل؟.

٣ ـ استقبال دارون أو التعرف عليه مباشرة:

قام بمهمة التعريف بدارون الأســتاذ [إســماعيل مظهر [١٨٩١ ـ ١٩٦٢]، ويبدو أن شـروحات بوخنر على مذهب دارون، إضــافة إلى تفسيرات وشـروحات أخرى، ثم إعادة نشـر مجموعة كتابات الدكتور شبلي شميل، قد أحدثت تأثيراً قوياً في فئة جديدة من المثقفين العلمانيين الجدد، أي ممن تعلموا في المدارس "العلمانية" وهي المدارس الحديثة التي أنشأتها الدولة، عكس المدارس التي كانت آنذاك قائمة في المساجد والزوايا وبعثات التبشـــير كاليســـيوعية الكاثوليكية والكلية الســـورية الإنجيلية البروتستانتية. كان من هذه الفئة الجديدة شخصيات مثل خليل السكاكيني الفلسطيني [١٨٧٨ ـ ١٩٥٣]

وإسماعيل مظهر المصري. يكتب خليل السكاكيني معبراً عن مدى تأثير "مجموعة" الدكتور شبلي شميل في جيله ومرحلته:

"بينما نحن نعيش على خرافاتنا في دورنا الأول، وفي حيرة في دورنا الثاني، طلعت علينا مجموعة الدكتور شـــبلي شـــميل. الأولى فالثانية، فإذا هناك لأول مرة صـــراحة بلا لبس الشـــرق. وما قرأت

المجموعتين إلا أحسست أني أقابل الحقائق وجهاً لوجه، وأما خرافاتي، وما كان أكثرها، فلم يبق لها من أثر في ذلك الحين"[١٦].

أما إسماعيل مظهر فيكتب في تقديم كتاب "مذهب النشوء والارتقاء ـ ١٩٢٣"

"وإني لأشـعر وأنا مكبٌّ على كتابة هذه السـطور أن جرأتي على مثـل هـذه الموضـوعـات سـوف تثير عجـب الكثيرين من القراء والباحثين. غير أني لا أشك مطلق الشك في أن إحساسهم بالعجب لا يلبث أن يزول متى عرفوا يقيناً بأني مكب على ترجمة أصـل الأنواع والإطلاع على ما كتب في مذهب النشـوء الحديث واسـتجماع مواد البحث فيه منذ أوائل عام ١٩١١ حيث كنت إذ ذاك مكباً على الفلسفة القديمة أنهل من موارد العرب بأقصـى ما تصـل إليه اسـتطاعتي. حينذاك وقعت في يدي نسخة من كتاب دكتور شميل "فلسفة النشوء والارتقـاء" فـأحـدثت قرائتهـا في ذهني من الانقلاب والأثر مـا تعجز الكلمات واللغة عن التعبير عنه، أو وصـفه، فدلفت إلى مفازة الآراء المادية، والحق أنها مفازة كثيرة الأشـواك موحشـة مجرودة صـمـاء، عانيت في اجتيازها أشـد ما يعانيه كل من تعمد مثل هذه الأسـفار الطويلة من مشـقات يتلقفه فيها الشـك بعد اليقين، ويقرضـه فيها اليقين شـيئاً من الطمـأنينـة والهدوء بعدمـا يعنتـه الشـك وتقتلـه الريب"[١٧]

هكذا ــ إذن ــ وتحت التأثير الشديد لكتابات وترجمات شبلي شميل عن نظرية دارون قرر إسـماعيل مظهر أن يعود إلى الأصـل، إلى كتاب تشارلز دارون الأساس: "**أصل الأنواع ــ ١٨٥٩**" ليطلع عليه ويترجمه من بعد. فكانت ترجمة إسـماعيل مظهر لأصـل الأنواع

---

[١٦] ــ المجموعة الكاملة لمؤلفات السكاكيني. القدس ١٩٦٢. عن أحمد ماضي. في شبلي شميل والدين. مجلة الفكر العربي. العدد ٣٩/٤٠/١٩٨٥. بيروت.

١٧ ـ إسماعيل مظهر. مذهب النشوء والارتقاء الجزء الأول: مذهب النشوء عامه. بحث انتقادي علمي فلسـفي في مذهب النشـوء والارتقاء وأثره في الانقلاب الفكري الحديث ص٤/ طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر. الطبعة الأولى ١٣٤١ ـ ١٩٢٣.

بعد ذلك سيصدر إسماعيل مظهر كتابه السابق: "مذهب النشوء" كاملاً باسم: ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء. المطبعة العصرية ـ مصر ١٩٢٦.

الصـــادرة للمرة الأولى عام ١٩١٨، وهي ترجمة ما تزال متداولة في المكتبة العربية، أرفقها إسماعيل مظهر فيما بعد بكتابه الشارح للنظرية "ملقى السبيل ـ ١٩٢٦"

على سـبيل دعم المذهب الداروني، وشـرحه لعموم القراء بأسـلوب مبسط، كتب سلامة موسى (١٨٨٧ـــ ١٩٥٨) كتاب "نظرية التطور وأصل الإنسان ـــ ١٩٥٢" متابعاً خط شبلي شميل في تطبيق النظرية على الإنسـان. كما ترجم في الاتجاه نفسـه عصـام الدين حفني ناصـف. وهو راديكالي مصـــري كتاب هرمان كلاتشـــن "النشـــوء والارتقاء ـ ١٩٢٧" وكان حسـن حسـين قد ترجم كتاب "فصـل المقال في فلسـفة النشوء والارتقاء" في كتاب لأرنست هيكل [١٨٣٤ ـــ ١٩١٩] في نظرية التطور.

في مناقضـة المذهب الداروني خصـوصـاً وما صـار يعرف باسـم "المذهب المادي" عموماً كتب "محمد فريد وجدي ـ ١٨٨٥ ـ ١٩٥٤" كتاب "على أطلال المذهب المادي ـ ١٩٢١" بدأه، أو "روسَّه" مقتبساً عبارة شـبلي شـميل، أو "ترويسـته" المفتاحية الشـعارية لكتاب: فلسـفة النشـوء والارتقاء، وكأنه يريد أن يرد على شـبلي شـميل على طريقة "من بابك أدخل عليك" والعبارة هي:

"طالع هذا الكتاب بكل تمعن ولا تطالعه إلا بعد أن تطلق نفسك من أسـر الأغراض لئلا تغم عليك وأنت واقف تطل على العالم من شـرفة عقلك تتلمس الحقيقة من وراء ستارها"[١٨]

أمـا في عـام ١٩٦١ فقد أصـــدر عبـاس محمود العقـاد [١٨٨٩ ـ ١٩٦٤] كتاب "الإنسان في القرآن الكريم" وفي هذا الكتاب يستعرض العقاد مذهب النشـــوء والارتقاء كما يعرض بدقة ما ســـماه "المكتبة

---

[١٨] . على أطلال المذهب المادي الجزء الأول ص٧ . مطبعة دائرة المعارف القرن العشرين بمصـر. سـنة ١٩٢١. والعبارة نفسـها كتبها شـبلي شـميل في فلسفة النشوء والارتقاء في صفحة العنوان وكأنها شعار.

النشوئية" في عرض ومناقشة مذهب دارون في "الشرق العربي" من شبلي شميل إلى معارضيه، ومنتهياً إلى الرأي التالي:

"وليس يخالجنا كثير من الشــك ولا قليل في خلو كتاب الإســلام (القرآن) مما يوجب القول بتحريم هذا المذهب (مذهب دارون).. فقد يثبت غداً أن المذهب صــحيح كله، أو باطل كله، أو يثبت أن بعضــه صحيح وبعضه باطل، ولكن كتاب الإسلام لا يصد عن سبيل العلم في أية وجهة من هذه الوجهات"[١٩]

وهكذا كان موقف المثقفين المســلمين، رجال الدين وعلمانيين من الشيخ حسين الجسر إلى الشيخ رشيد رضا (١٨٦٥ ــ ١٩٣٤) الذي لم يبد اعتراضــاً على النظرية، وربما أيدها في مقالة في مجلته المنار [١٨٩٨ ـــ ١٩٣٥] عام ١٩٠٩ كتبها تعقيباً على استنكار الشيخ عبد القادر القباني [١٨٤٨ ـــــ ١٩٣٥] صــاحب مجلة "ثمرات الفنون البيروتية" [١٨٧٥ ـــ ١٩٠٨] لمقالة كتبها شبلي شميل في الهلال في حزيران عام ١٩٠٩ من الموضــوع إياه. فقد رأى الشــيخ رشــيد أن الداروينية، إذا ما فهمت في حدودها كنظرية علمية، لا تختلف مع الدين الإســلامي[٢٠]، وقد سـبق أن رأينا موقف الشــيخ الأصــفهاني عام ١٩١٤ المتفهم للداروينية وأخيراً كان هناك رأي العقاد المتعقل بعد استعراضه لمجمل تاريخ المسألة.

بقيت مسـألة في هذا المقام "هي مسـألة رسـالة الشـيخ [جمال الدين الأفغاني ــ ١٨٣٨ ــ ١٨٩٧]" "الرد على الدهريين ــ ١٨٨٢" وهي رسـالة مكتوبة باللغة الفارسـية، وقد نشـرت في الهند رداً على الدعوة إلى العلوم الطبيعية والحركة الإصــلاحية في الهند في ذاك الوقت، ولهذا يبدو واضحاً أن الرسالة كتبت في سياق ثقافي وفكري آخر، وقد ترجمها محمد عبده (١٨٤٩ ـــــ ١٩٠٥) عام ١٨٨٦ أثناء نفيه في

---

[١٩] ــ الإنسان في القرآن الكريم /ص ١٢٦/ دار الهلال. دون تاريخ ــ وهناك طبعة عامة أخرى في السلسلة الدورية . كتاب الهلال . ١٩٦١.

[٢٠] ـــ راجع: الاتجاهات الفكرية عند العرب. على المحافظة ص٢٤٢ ـــ ٢٤٣. بيروت . ط١٩٨٣/٤.

بيروت، ولا يستبعد أن يكون قد ترجمها متأثراً بأصداء المعركة حول مذهب دارون في بيروت آنذاك. لكن رأي جمال الدين الأفغاني في مذهب دارون وفي شبلي شميل إنما يلتمس في مكان آخر، أي في كتاب **خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني ـــ ١٩٣١**[٢١] ، **لمؤلفه محمد باشا المخزومي**، وفي هذا الكتاب يقول الأفغاني في فصل بعنوان:

"رأيه ـ الأفغاني ـ في مذهب النشوء والارتقاء وأن العرب سبقوا وقالوا في هذا المذهب ـــ وذِكْرِهُ الدكتور شبلي شميل مستطرداً، ومذهب دارون...

(... وبالنتيجة يريد الدكتور شميل والأستاذ بِرن وغيرهما أن يوافقوا دارون إذا أصر على إنكار "الخالق" ويخالفون إذا أقر بوجوده" ..." هذا الذي رأيت ما يؤاخذ به الحكيم شبلي شميل، وقد خالف إمامه وأستاذه دارون، وفيما عدا ذلك فإني أقدر الشميل قدره في دقة بحثه، وتحقيقه وجرأته على بث ما يعتقده من الحكمة، وعدم تهيبه من سخط المجموع لما يجهله من حقائق العلم"[٢٢].

وهنا يبدو الأفغاني سائراً في المسار نفسه لباقي المثقفين المسلمين: عدم الاختلاف مع النظرية الداروينية علمياً، والاختلاف مع شبلي شميل في تفسيره اللاديني، أو غير اللاهوتي للنظرية الداروينية.

٤ ـ استقبال نظرية دارون سياسياً:

حتى فترة نهاية فترة الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين المنصرم كانت مناظرة الداروينية في الثقافة العربية قد هدأت لاهوتياً وعلمياً على صيغة مرنة ومعتدلة محتواها ما يلي:

---

[٢١] ـــ خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني. وفيها مجمل آرائه وأفكاره ومرتئاه في أهل الشرق والغرب أخلاقاً وسياسية واجتماعاً. تأليف: محمد باشا المخزومي ـــ طبع في المطبعة العلمية ليوسف صادر. بيروت سنة ١٩٣١.

[٢٢] . المصدر السابق ص١٨٥.

قد تكون نظرية داروين صحيحة، وقد تكون خاطئة، علمياً، إلا أنها في صيغتها العلمية لا تتعارض مع الوحي، وفي كل الأحوال، هي كنظرية علمية ليست إلحادية، حتى ولو قال بذلك بعضهم مثل هكسلي وبوخنر في الغرب والدكتور شبلي شميل في الشرق. فطالما ما يزال أمر الخلق الأول، غير محسوم، وطالما ما نزال نستطيع أن نتحدث عن الذي "**نفخ نسمة الحياة بقواها المتعددة في صور قليلة أو في صورة واحدة أصلية**" فلا مشكلة ــ إذن ــ إن كانت إرادة الخالق قد تمت دفعة واحدة، أم أنها تمت على دفعات؛ خلقاً أم نشوءاً وتطوراً.. فالأمر كله، أولاً وآخراً بيد الله ومشيئته فما هو الجديد الذي دفع كثيرين من الكتاب المسلمين، بعد أن تألف الكتاب المسيحي على الموضوع، بدءاً من ستينيات القرن العشرين إلى العودة إلى مهاجمة داروين والداروينية، ولماذا المناظرة، دون الإتيان بجديد، بل ودون الخروج الحقيقي والحاسم على الصيغة التي رست عليها النظرية لاهوتياً وسياسياً كما تقدم؟!

لم أفهم أين أكتب هذه العبارة..... "صيغة أن نظرية داروين فرضية علمية قابلة للنقاش لكنها لا تختلف مع الوحي

كان الجديد في الستينيات من القرن العشرين هو التبدل الاجتماعي والسياسي والثقافي الحاصل في بعض المجتمعات والدول العربية، خصوصاً في مصر وسوريا والعراق، مما أوجد تبدلات هامة في المناخ والأوضاع الاجتماعية والسياسية، فثمة طبقة اجتماعية جديدة ظهرت على مسرح المجتمع واستولت على السلطة، وثمة فئات متعلمة جديدة، ومن أصول طبقية جديدة تختلف عن طبقة السكاكيني وإسماعيل مظهر "الإقطاعية" وثمة انتشار جديد لمقولات ومفهومات ومؤسسات العلم الحديث، والمجتمع الحديث بل ثمة أحزاب وقوى سياسية وفكرية شبه علمانية وعلمانية وصلت السلطة وغيرت المجتمع، وبعضها يدعو جهاراً إلى العلم والعقلانية والتقدم والاشتراكية، بل وصارت نظرية التطور ذاتها تدرس في بعض المدارس والجامعات الرسمية العربية. ثمة... وثمة الكثير مما لا يسر عقول وقلوب السلفيين والمحافظين دينياً، وهذا ما دفع أنصار وقوى

الاتجاه السـلفي الإسـلامي إلى القيام بهجوم مضـاد على "ثقافة" وإيديولوجية هذه الأنظمة ومعارضـتها، لكن بما أن الرد المضـاد المباشـر كان صـعباً، ولا سـيما في قوة وفورة تسلط هذه الأنظمة، فقد أتى الرد متخذاً صيغة الهجوم على الفكر الرائج آنذاك، أي على "الفكر العلمي" الذي تدعي هذه الأنظمة وقواها الأخذ به، طالما أن المعارضة السياسية المباشرة صعبة، أولها مجال آخر[٢٣].

وكانت نظرية دارون هي الأرضـية التي اختارت هذه القوى "السـلفية" حتى لا نقول "الرجعية" الهجوم عبرها طالما هناك من يفسـر هذه النظرية تفسـيراً "علمياً" أو إلحادياً، ولهذا ظهرت هذه المعارضة السياسية متجلببة بالجلباب العلمي ـــ الداروينى عبر تقديم كتب تهاجم هذه النظرية باعتبارها ملحدة وشـيوعية وعلمية ومادية... الخ. وغالبها كتب مكتوبة بلهجة خطابية دينية تكفيرية "أخلاقية" إنشـائية معادية للعلم وللنظرية ولمفهوم التطور ولمن يقول بهذه النظرية. وهاكم أمثلة:

"كما أن هذه النظرية ـــ نظرية دارون ـــ أنعشت روح الإلحاد، ووسـعت المجال لدعاة التحلل والإباحية أن يقولوا أكثر مما كانوا يقولون[٢٤].

ثم يوضح المؤلف الهدف الخفي، بل المعلن من كتابه قائلاً:

"وهدفنا من وضـع هذا الكتاب هو مسـاندة الشـباب المسـلم في معركته المضـنية التي يخوضـها (مرغماً) مع تيارات التشـكيك

---

[٢٣] ـــ من الأمثلة للرد المباشـر على الأنظمة الجديدة وثقافتها وأفكارها ومشـاريعها يمكن مراجعة الكتب التالية: التضليل الاشتراكي ــ صلاح الدين منجد ــ ١٩٦٥. الثورة العربية الاشـتراكية وعلاقتها بالغزو الشـيوعي والصـهيونية. محمد عزت نصـر الله. ١٩٦٩. الديمقراطية التقدمية والثورة الاشتراكية ـــ عدنان الأتاسي ـــ إضافة إلى بدء انتشار كتب المودودي وسيد قطب.

[٢٤] ـ محمد أحمد شميل. الإسلام ونظرية دارون ص ـ٧٠. (كلمة المؤلف)، مطبعة شركة الطبع والتوزيع اللبنانية بيروت . ١٩٦٤.

والإلحاد التي اكتسحت المدرسة والجامعة والصحافة والنادي ـ ضمن فيوضـــات المذاهب والأفكار العادات التقاليد الأجنبية الدخيلة التي حملتها إلينا المدنية الحديثة فيما حملت، والتي يمر بها القارئ والسامع في مراحل تحصيله العلمي والفكري"[٢٥].

واضـــح أن المؤلف إنما يهاجم الجامعة والمدرســـة والصـــحافة والإذاعة... الخ. أي أنه كان يهاجم ليس النظرية الداروينية فقط، بل هو يهاجم عبرها الدولة التي تُعْتَبَرَ الأقنية التي هاجمها بمثابة "جهاز الدولة الإيديولوجي" وهي الأجهزة التي برفضـــها الســـلفيون شـــكلاً ومحتوى. أضـــف إلى ذلك مهاجمة "المدنية الحديثة" كلها، حاملة هذه الأوبئة من نظرية دارون إلى نظرية ماركس، إلى هذا الشـــكل الجديد للأنظمة السياسية والثقافة السائدين آنذاك.

على الخط نفســـه أتى بعد ذلك كتاب "**نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضـيها ـــ ١٩٧١**" لمؤلفه **قيس قرطاس**، وبعد ذلك أتى كتاب "**نظرية دارون خرافة باسم العلم ـ ١٩٨٩**" لمؤلفه **طالب الجنابي**، ثم ترجم "بتصرف" كتاب "**خلق لا تطور ـــ ١٩٨٢**" والمترجم **إحسان حقي**. وهذه الكتب كانت معاً من طرف خفي وبعيد لكنه واضـــح إنما تهاجم الأنظمة والأفكار الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة آنذاك. إنها شكل من أشكال المعارضة السياسية، وغالبها مكتوبة بأساليب الدعاة والوعاظ والتشـــهير والتكفير، وإن أدعى بعضـــها أنه يقدم "**النظرية بين مؤيديها ومعارضيها**" ولهذا لا مجال لمناقشتها العلمية. هنا فهي مجرد كتب دعاوى سياسية ـــ دينية، وليست كتباً علمية. فقد كانت هذه الكتب مجرد واسطة لمهاجمة الثقافة والأنظمة شبه العلمانية ولمهاجمة مفاهيم علمية وتطوير المجتمع عموماً. ولم تكن كتباً علمية

وهذه هي مراحل اســـتقبال النظرية الداروينية الأربعة في الثقافة العربية الحديثة. اســـتقبال علمي، ثم لاهوتي، ثم عودة إلى أصـــل الأنواع، وأخيراً الاستقبال السياسي.

---

[٢٥] . المصدر نفسه. ص٩.

ملاحظات وتعليقات وشروح على البحث

١ ـ عن النظرية العلمية والنظرية الداروينية

يمكن أن نسمي نظرية علمية القول الذي يستند على ـــ أو يمكن برهنته بالتجربة المطردة التجربة أو التي يمكن تكرارها، أو أي مبدأ يمتلك قوة البرهنة والاختبار التجريبي وله اتساق وتماسك منطقي وقوة تفسيرية، أو قابلية لتفسير بعض الظواهر والوقائع المشاهدة عيانياً وتجريبياً، وهي وقائع قد تبدو متنافرة أو غير مفهومة، وربما يكون ظاهرها عكس محتواها، وربما تكون مشوشة في الذهن، أضف إلى ذلك قابلية أية نظرية علمية للنقض أو التعديل.

ونظرية دارون من الصنف الذي يمتلك قوة تفسيرية، وقابلية النقض والتطوير، وعن ذلك يقول توماس هكلسي نصير دارون الوفي والقوي:

"لا أعتقد أبداً أن فرضية التحول مبرهنة، أو أي شيء من هذا القبيل، إنما اعتبرها على أنها أداة قوية للبحث، أتبعوها، وسوف تقودكم إلى مكان ما، في حين أن التصور الآخر، (يقصد التصور الديني م.خ) على غرار كافة التصورات التي تلجأ إلى الأسباب الغائية، بشكل أو بآخر، هي عذراء عقيمة"[٢٦].

ضمن هذه الحدود قدم دارون نظريته، أو فرضيته، ولم يناقش أية مفاهيم غيبية، ولم يثبت أو ينكر أية مفاهيم دينية، فِعْلَ بعض المثقفين غير المتدينين ورجال الدين هم الذين افترضوا أن نظرية دارون تنفي نظرية الخلق دينياً.

وبهذا صارت الداروينية حقاً، وكما قال كارل بوبر [١٩٠٢ ـ ١٩٩٤] "ميدان صراع ميتافيزيقي" وعلى هذا الأساس عوملت نظرية دارون في الثقافة العربية، فقد صارت ـــ مع الأسف الشديد ميدان صراع لاهوتي، ثم صراع سياسي، ولم تكن ميدان اختلاف علمي مما جعلها "أداة" صراع وليس فرضية علمية، أو معرفية. مع إضافة

---

[٢٦] . دارون وشركاه. تأليف: بيير توللي. ترجمة. د. إياس حسن. ص٥٥. دار الكنوز الأدبية . بيروت . ١٩٩٦.

عربية جديدة تتمثل في اتخاذها أداة معارضة إيديولوجية وسياسية بدءاً من ستينيات القرن العشرين كما أوضحنا في متن الدراسة، ولهذا لا مجال ــــ في بحثنا ــــ لمناقشة المصداقية أو الصحة العلمية لنظرية التطور، أضيف إلىذ لك أن الكاتب ليس شخصياً عالماً أو مهيئاً لذلك، ولكن هذا ما فعله كافة الذين استقبلوا نظرية دارون في الثقافة العربية تقريباً، ولهذا انحصر نقاشهم في الأهداف الخاصة للمتناظرين، وفي الهدف اللاهوتي ثم السياسي فكانت و سيلة لمهاجمة الأنظمة السياسية والعلوم مبتعدين من النقاش العلمي، وهذا عائد بالطبع، لضعف المعرفة والقاعدة العلمية العربية وهذا عكس استقبال.

النظرية ونقاشاها في أوروبا حيث رفضها من رفضها متعللاً بأسباب علمية "آغاسي مثلاً": إضافة إلى الأسباب اللاهوتية، وقبلها من قبلها متعللاً بأسباب علمية (هكسلي ــــ بوخنر)، واستنتج منها من يريد ما يريد مثل هربرت سبنسر (١٨٢٠ ــــ ١٩٠٣) الذي بنى عليها نظرية في علم الاجتماع، وربما كان تعامل سبنسر مع نظرية دارون هو الذي هيأ لها كل الشهرة والذيوع خارج النطاق العلمي المحض مثلما كان هو الذي أطلقها من مجالها العلمي المحض إلى المجال الاجتماعي ـ الإنساني.

٢ ـ عن الدكتور شبلي شميل وحماسته لنظرية دارون

أراد الدكتور شبلي شميل أن يحدث "رجَّةً" أو صدمة، أو عاصفة في الفكر السكوني السائد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في المجتمع والثقافة العربيين، فكان مدخله إلى ذلك هو "العلم" فقد رأى في العلم المخلخل الأول للبنى الفكرية وربما الاجتماعية السائدة، والتي يريد الدكتور تغييرها، فقد كان العلم هو "إيديولوجية" القرن التاسع عشر، وتقوم هذه الإيديولوجية التي يتبناها شبلي شميل على اعتبار العلم هو منقذ البشرية، من كل الشرور السابقة، ولا سيما شرور الإقطاع والدين والتخلف، مثلما هو معارف المعارف البشرية وضابطها، بل هو مخلص الإنسان من كل شرور الاستبداد، بما فيها استبداد الحكام ورجال الدين وكان مدخل شبلي شميل إلى العلم هو نظرية دارون الجديدة آنذاك، والتي اعتبرها مدخلاً جيداً لمهاجمة

المفاهيم الدينية التي تعوق نشـــر العلم وتعليمه، منطلقاً، على ما يبدو، حسب السياق التاريخي من مشكلة الدكتور أدوين لويس عام ١٨٨٢، وما كان منها من تحريم لذكر، ناهيك عن تعليم نظرية علمية، ثم طرد مدرس ـــ عالم ثم استقالة أساتذة آخرين، "زميلاه: يعقوب صروف وفارس نمر، بل وطرد الطلاب من القســم الطبي، ثم عودة بعضـــهم وترك بعضـــهم للدراســـة نهائياً مثل جرجي زيدان الذي هاجر إلى مصـــر[٢٧]. وثمة سـبب آخر لعداء شـبلي شـميل للدين، ولرجاله على الأصـح، يتمثل في أنه من جيل عانى ما عانى، بل كانت ما تزال ماثلة في ذاكرته مذابح ١٨٦٠ الدينية ـــ الطائفية في بلاد الشام. مع العلم أن شـــبلي شـــميل صـــرح أكثر من مرة عن احترامه للأديان، كأفكار تاريخية، بل وصرح أكثر من مرة قائلاً: لست مبشراً بالإلحاد.

حول هذه النقطة: تحدي النفوذ الديني على طريقة شـبلي شـميل، قد يكون من المناسب إيراد ما قاله عباس محمود العقاد محاولاً تفسير هذا "العداء للدين"، وخصوصية بلاد الشـام في الثقافة العربية الحديثة في هذا "العداء" ، وهو يعلق على هذه الصفة ـ الظاهرة عند فرح أنطون:

"ولعل سائلاً يسأل: ولماذا يكون التحدي للنفوذ الديني خاصة من خواص النشـأة السورية؟: فأقول لهذا السـائل أنني كذلك أعجب لهذا الأمر وأستغرب الغيظ الشديد الذي تتوهج به كتابة السوريين الأحرار حين يحملون على النفوذ الديني في بلادهم ويصـفون تغلغله في كافة شـــؤون قومهم. وكنت لا أعرف لذلك علة حتى تذكرت القوة التي يقبض على زمامها رجال الدين في ســورية، فخطر لي أنه لا عجب! لأن رجال الدين هناك ربما كانوا أقوى الطوائف الدينية في العالم وأوســـع رعاة الكنائس إشـــرافاً على حياة اتباعهم. فقد جمعوا بين الزعامة في الدين والزعامة في السياسة والزعامة في العلم. وناهيك بها من سطوة هائلة تغري بالتحدي وتضري بالمناجزة."[٢٨]

[٢٧] ـ نحيل مرة إلى التوثيق الممتاز لحادثة الدكتور لويس وإضراب طلاب الكلية إلى الكتاب العام: دارون وأزمة ١٨٨٢ بالدائرة الطبية. شفيق جحا. ١٩٩١ ـ بيروت.

[٢٨] . عباس محمود العقاد. مطالعات في الكتب والحياة . ص٦٣ . مقال. فرح أنطون. المطبعة التجارية الكبرى . مصر . ١٣٤٣ . ١٩٢٤.

واعتقد أن تفسير عباس محمود العقاد معقول، وفيه يندرج ويفسر عداء شبلي شميل لسلطة الإكليروس وللنفوذ الديني جملة، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، كما ورد، حوادث ١٨٦٠ الطازجة، وحادثة "لويس" الأكثر طزاجة.

وأضيف من عندي أن التنوع الديني والطائفي والمذهبي والإثني في بلاد الشام ــ آنذاك ــ واستغلاله من قبل القوى المتصارعة المحلية والدولية، والسياسيين وما جرَّه من كوارث وفتن وصدامات طائفية، تزيد في عداء كثير من المثقفين لرجال الدين واستخدام الدين في بناء المجتمعات والتنظيمات الاجتماعية والدولة وبالتالي تزيد من ميل كثير من المثقفين السوريين إلى العلمانية.

وهكذا فإن شبلي شميل سرعان ما حول "نظرية دارون العلمية" إلى "فلسفة" أي حولها من ميدان العلم إلى ميدان "الآراء" والميتافيزيقيا، وهذا سر تعليق أدورد فان ديك عليه كما ورد في متن الدراسة.

ببساطة: أراد شبلي شميل الوصول بسرعة إلى ما يعتبره النتائج الاجتماعية والفكرية للنظرية العلمية، فحولها من نظرية أو فرضية علمية إلى "حقيقة" علمية، بل وإلى فلسفة، واتخذها أداة لنشر العلم والمفهوم العلمي وتحريك الثقافة الساكنة السائدة: ثقافة وأفكار رجال الدين.

لقد كانت نظرية دارون في القرن التاسع عشر استمراراً وتوسعاً وتدعيماً لـ"نظرية التقدم" كما صاغها كوندورسيه [١٧٤٣ ــ ١٧٩٢] في القرن التاسع عشر، وعليها بنى هربرت سبنسر نظريته في التطور الاجتماعي. ولكن هذه النظريات إنما كانت تعالج مشكلة وضع الإنسان في العالم ولا تعالج "خلقه" ولهذا لا يصح وصف النظريات العلمية عموماً بالنظريات الملحدة أو المؤمنة، بل هي نظريات علمية، والعلم عموماً لا شأن له بقضية الإلحاد أو التدين. وبصريح العبارة العلم لا ينفي الله ولا يثبته، والكتب التي تحاول نفي هذا الخالق "علمياً" هي: هراء في هراء، مثلها مثل الكتب التي تحاول "إثبات الخالق علمياً".

المفارقة "العربية" هنا تكمن في التالي:

إذا كان شــبلي شــميل في ثمانينات القرن التاســع عشــر قد أراد اســتخدام النظرية الداروينية أداة لنشــر العلم والمفاهيم والنظريات العلمية في المجتمع والثقافة العربية، فإن "الحركة الإسلامية والسلفية" العائدة بقوة منذ ســبعينيات القرن العشــرين قد اســتخدمت النظرية الداروينية إياها أداة ورأس حربة في الهجوم على الأفكار المتحررة العلمية والعلمانية، مثلما اســتخدمتها ســتاراً للهجوم على الأنظمة الحاكمة آنذاك. والمفارقة الثانية أن أكثر الإســلاميين لا ينكرون النظرية الداروينية نكراناً تاماً، بل يتركون هامشــاً لصــحتها، ويقولون بعدم منافتها ــ إن صحت ــ لنظرية الخلق، لكنهم مع ذلك يهاجمونها، والســبب هو كما ورد: أنها اســتخدمت أداة لمهاجمة مفهوم العلم كعلم، وأداة لمهاجمة أنظمة يرى هؤلاء السلفيون الجدد أنها علمية ـ علمانية: ولهذا يقرنون الداروينية بالإلحاد وبالماركســية والفرويدية والغرب عموماً، وهذا عكس نظرة المثقفين المســلمين الســابقين المتعقلة كما أوردناه منذ الشــيخ حســين الجســر وجمال الدين الأفغاني مروراً بالأصــفهاني ورشــيد رضــا، وأخيراً عباس العقاد ونديم الجسـر الذين نظروا للنظرية الداروينية نظرتهم إلى "نظرية علمية"، ولم تكن نظرتهم سياسية ـ إيديولوجية ـ تكفيرية.

٣ ـ فهم النظرية الداروينية علمياً:

في عقد العشرينيات حاول كل من إسماعيل مظهر وسلامة موسى فهم النظرية الداروينية وتقديمها علمياً واجتماعياً أي حاولا أن يخرجا المناظرة من جلبابها اللاهوتي، وشــبهتها الإلحادية فترجم إســماعيل مظهر أصل الأنواع وكتب دراسة تقديمية تكلم فيها عن ملامح نظرية التطور عند الفلاســفة والمفكرين العرب القدماء[٢٩] مثل ابن مســكويه وإخوان الصــفا والبيروني وغيرهم في محاولة لاســتدماج النظرية الداروينية بالتراث العربي، وفي الاتجاه نفســه ترجم كتاب تشــارلز دارون الثاني "نشــأة الإنســان" في المشــروع القومي للترجمة عام

[٢٩] . في الاتجاه نفسه كتب الدكتور مجدي عبد الحافظ كتاب. فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام. ترجمة هدى كشرود. المشروع القومي للترجمة. القاهرة . ٢٠٠٥.

٢٠٠٥، ترجمة: حمدي المليجي، وبهذا استكمل مشروع استقبال أو التعرف العلمي على دارون. ويبدو أن ضجة الإسلاميين المتعصبين وتكفيرهم لدارون ونظريته قد خفت في مطلع القرن الحادي والعشرينن بعد أن أدت هذه الضجة مهمتها السياسية في مهاجمة الأنظمة "الراديكالية" في النصف الثاني من القرن العشرين، وكذلك بعد أن تخلت هذه الأنظمة عن راديكاليتها وشبه علمانيتها، وبالتالي لم يعد من حاجة لمهاجمة هذه الأنظمة عبر دارون، أو مهاجمة "الأداة" دارون.

ترى ما الفرق بين استخدام الدين في السياسة، أو استخدام العلم في السياسة؟:

حسناً لقد استخدم السلفيون بدءاً من ستينيات القرن العشرين في محاربتهم "للأنظمة" والأفكار الجديدة كل الأسلحة الممكنة بما فيها "سلاح الإرهاب" والاغتيال والقتل الجماعي والتكفير، فهل من عجب أن يستخدموا دارون ونظريته أداة سياسية بغض النظر عن "علميتها" أم عدم علميتها في السياسة؟! لكن ثمة تهمة واحدة نجا منها دارون في الثقافة العربية والداروينية وهي الصهيونية، ودارون، لسوء حظ هؤلاء كان إنكليزياً صميماً.

٤ ــــ إذا كان شبلي شميل قد حاول في النصف الثاني من القرن التاسع عشر استخدام العلم والنظرية الداروينية لنشر الفكر العربي، وخلخلة أسس المجتمع التقليدية، فإن السلفيين الجدد "الإسلاميين" منذ النصف الثاني من القرن العشرين حاولوا، متبعين "تكتيك" شبلي شميل نفسه، أي حاولوا "الغاية" نفسها وهي خلخلة أسس الأنظمة القائمة لكن في اتجاه معاكس، إذ استخدموا نقد العلوم والداروينية، و"الغرب" عموماً سبيلاً لإعادة الأفكار والمجتمع التقليديين، بل حاولوا استخدموا طريقة شميل نفسها لمهاجمة وتقويض اسس أفكار التقدم، والعلمانية و"الأنظمة التقدمية"

٥ ــــ في العقد الثاني والثالث من القرن العشرين حاول كل من إسماعيل مظهر وسلامة موسى وعصام الدين حفني ناصف وحسن حسين أن يعيدوا المناظرة حول الداروينية إلى أساسها العلمى وتخليصها مما أحاط بها من لغو لاهوتي، فترجم إسماعيل مظهر كتاب

دارون، موضوع النقاش، "أصل الأنواع" وكتب سلامة كتاب: نظرية التطور، وترجم كل من عصام حفني ناصف وحسن حسين كتباً علمية عن نظرية دارون.

.كاإن إسـماعيل مظهر يريد أن يخلص النظرة الداروينية "العلمية" مما أحاط بها من نظرة وتشـكيك بالإلحاد، ومن ردود الفعل اللاهوتية المعادية للنظرية ولدارون شـخصـياً، أما سـلامة موسـى فقد كان يريد نشـر العلوم ومناهجها ومن ثم تطبيقها على المجتمع، أي نشـر النظرة "العلمية" المتحررة للمجتمع والإنســان، فرداً وجماعة ولم يكن يبالي باتهامه ـ في محاولته هذه ـ بالتغرب الكامل.

٦ ـ لعبت مجلة المقتطف [١٨٧٦ ـ ١٩٥٢] الدور الأساسي والمهم في نشـر الداروينية والنظريات والأخبار والاتجاه العلمي في الثقافة العربية الحديثة وقد كانت أحد منابر شبلي شميل الأساسية، بينما لعبت دور "المعارضة اللاهوتية" للداروينية آنذاك جريدتا ــ مجلتا ــ ١ ـ النشرة البروتستانتية [١٨٧١ ــ] بينما حاولت مجلة المشرق ١٨٩٨ بإدارة الأب لويس شيخو [١٨٥٩ ــ ١٩٢٧] التوفيق بين العلم والدين وكذلك فعلت مجلات الهلال بإدارة جرجي زيدان [١٨٩٢ ــ مستمر] والمنار "السلفية" بإدارة رشيد رضا، وغيرهما.

لوحة تاريخية لإحداثيات المناظرة
حول نظرية دارون في الثقافة العربية

١- استقبال نظرية دارون علمياً

١٨٠٩ ـ ولادة تشارلز دارون

١٨٥٠ ـ ولادة الدكتور شبلي شميل

١٨٥٩ ـ صدور أصل الأنواع للمرة الأولى

١٨٦٨ ـــ لودفيغ بخنر يصدر كتاب: ست محاضرات حول نظرية دارون

١٨٧١ ـ دارون ينشر كتاب أصل الإنسان

١٨٧٦ ــ يعقوب صروف وفارس ـــ يصدران مجلة المقتطف في بيروت برعاية كرنيليوس فان ديك

١٨٧٦ ــــــ ثلاث مقالات لرزق الله برباري في مجلة المقتطف بعنوان: أصل الإنسان

١٨٨٢ ـ وفاة تشارلز دارون

٢- استقبال نظرية دارون لاهوتياً

١٨٨٢ الدكتور أدوين لويس يلقي خطابه التاريخي في حفل طلاب الطب في الكلية السـورية الإنجيلية، في بيروت وهو الخطاب الذي افتتح مناظرة أو معركة الداروينية في الثقافة العربية

١٨٨٢ ـ مقالات ونقاشات من نظرية دارون في المقتطف

١٨٨٤ ـــ شبلي شميل يترجم كتاب لودفيغ بخنر ست محاضرات حول مذهب دارون بعنوان: شرح بخنر على مذهب دارون

١٨٨٤ ـــ الشيخ إبراهيم الحوراني يرد على شبلي شميل بكتاب: إبطال مذهب دارون: أو: مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء

١٨٨٥ ـــ مجلة المقتطف تهاجر إلى مصر وتستمر في الكتابة عن نظرية دارون

١٨٨٤ ـ جريدة البشير تهاجم المقتطف وتكفرها فترد المجلة بمقالة: "إيمان المقتطف وكفر البشير"

١٨٨٥ ـــ شبلي شميل يرد على إبراهيم الحوراني بنشر كتاب "الحقيقة"

١٨٨٦ ـــ محمد عبده يترجم كتاب "الرد على الدهريين" لجمال الدين الأفغاني

١٨٨٦ ـــ إبراهيم الحوراني يرد على كتاب "الحقيقة" لشبلي شميل بكتاب: الحق اليقين في الرد على بطل دارون

١٨٨٨ ـ كتاب الرسالة المحمدية للشيخ حسين الجسر

١٨٩٠ ـــ جرجس صفير الماروني يرد على شبلي شميل ونظرية دارون بكتاب "في أصل الكائنات والإنسان"

١٨٩٩ مقالات للتوفيق بين الدين والعلم (نظرية دارون) في مجلة المشرق لجرمانوس معقد / مطران اللاذقية

١٩٠٩ ـــ مقالات مختلفة لشبلي شميل وعبد القادر القباني ورشيد رضا وجرجي زيدان عن نظرية التطور.

١٩١٠ ـــ شميل يعيد نشر كتاباته باسم: مجموعة الدكتور شبلي شميل.

١٩١٣ ـــ محمد رضا الأصفهاني ينشر في بغداد كتاب: نقد فلسفة دارون.

١٩١٧ ـ وفاة الدكتور شبلي شميل.

٣ ـ التعرف على دارون:

١٩١٨ ـــ إسماعيل مظهر ينشر ترجمته لكتاب دارون: أصل الأنواع.

١٩٢٠ محمد فريد وجدي ينشر كتاب: على أطلال المذهب المادي.

١٩٢١ ـ مقالات للأب إسكندر طوران في مجلة المشرق يناقش فيها الداروينية.

١٩٢٣ ـــ كتاب: مذهب النشوء والارتقاء لإسماعيل مظهر فصول من الكتاب

١٩٢٤ ـ حسن حسين يترجم كتاب هيكل عن نظرية التطور.

١٩٢٥ ـ نظرية التطور وأصل الإنسان لسلامة موسى

١٩٢٦ ـ إسماعيل مظهر ينشر كاملاً كتابه: مذهب النشوء والارتقاء بعنوان: ملقى السبيل

١٩٢٧ ـ عصام الدين حفني ناصف يترجم كتاب: النشوء والارتقاء لهرمان كلاكشن.

١٩٢٩ ـــ الأسقف خير الله اسطفان يذشر كتاب: صفوة اليقين في حقيقة مذهب دارون.

١٩٣٧ ـــ حليم عطية سوريا ينشر كتاباً بعنوان: تصدع مذهب دارون والإثبات العلمي لعقيدة الخلق

١٩٦١ ـــ كتاب "الإنسان في القرآن الكريم" لعباس محمود العقاد. عرض شامل للمناظرة الداروينية (حتى أواسط القرن العشرين).

١٩٦٢ ـ "قصة الإيمان" للشيخ نديم الجسر

٤ ـ استقبال لـ نظرية دارون سياسياً

١٩٦٤ ـ الإسلام ونظرية دارون: محمد أ حمد باشميل

١٩٧١ ـ نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها: قيس القرطاس

١٩٨٢ ـ خلق لا تطور: كتاب عربه بتصرف الدكتور إحسان حقي

١٩٨٩ ـ نظرية التطور خرافة باسم العلم. طالب الجنابي.

٢٠٠٩ الاحتفال بمناسبة مرور ٢٠٠ سنة على ولادة داروين.

لوحة حياة وأعمال الدكتور شبلي شميل

١٨٥٠ ـ ١٩١٧

١٨٥٠ ـ الولادة . كفر شيما ـ لبنان

١٨٦٧ ـ دخول الكلية الإنجيلية السورية ـ الجامعة الأمريكية اليوم ـ للدراسة زميلاه في الدراسة: يعقوب صروف وفارس نمر.

يتذكر الطالب يعقوب صروف زميله شبلي شميل قائلاً:

"شاب في النحو السابعة عشرة، قصير القامة، أسمر اللون، سريع الخاطر تلوح عليه مخايل النجابة والذكاء، مرتدياً لثياب الإفرنجية، وكان لبسها نادراً بين الوطنيين في ذلك العهد".

١٨٧١ ـــ التخرج طبيباً من الكلية السورية الإنجيلية ـــ بيروت [الجامعة الأمريكية منذ عام ١٩٢٠]

١٨٧٤ ـ رحلة إلى أوروبا والأستانة (أسطنبول)

١٩٧٥ ـ الهجرة إلى مصر ـ طنطا ـ للعمل طبيباً

١٨٨٤ ـ صدور كتاب: شرح بخنر على مذهب دارون

١٨٨٥ ـ الانتقال إلى القاهرة وافتتاح عيادة فيها

١٨٨٥ ـ يصدر كتابي: الأدوية والمياه والبلدان والحقيقة

١٨٨٥ ـ يصدر رسالة في الأصفر "الكوليرا" والوقاية والعلاج

١٨٨٦ ـ يصدر مجلة طبية باسم "الشفاء"

١٨٨٦ ـ يصدر كتاب الحقيقة. وهو رد على إبراهيم الحوراني

١٨٠٨ ـ يصدر رسالة في المعاطس بتوقيع مستعار "بن جلا" وهي رسالة على شكل رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، وقد أعدنا نشر رسالة في المعاطس في كتاب الدكتور شبلي شميل ـ دمشق ـ ٢٠٠٥.

١٨٩٦ ـــ يصدر: شكوى وأمال. وهي اقتراح في إصلاح الدولة العثمانية

١٩١٠ ـ يصدر كتاب فلسفة النشوء والارتقاء، وهو يحتوي عملياً إعادة نشر كتابين سابقين هما "شرح بخنر على مذهب دارون

وكتاب الحقيقة، إضافة إلى مجموعة من المقالات المعاد نشرها. وهو الكتاب الذي يعاد نشره في هذه الطبعة

١٩١٠ ــــ صدور مجموعة الدكتور شبلي شميل وهو مجموعة مقالات سبق نشرها في الصحافة.

١٩١٢ ــــ صدور آراء الدكتور شبلي شميل. وقد أعدنا نشر هذا الكتيب في "أداء الدكتور شبلي شميل ـ دمشق ـ ٢٠٠٥.

١٩١٣ ــنشر رسالة "العرب والترك" ــ بالفرنسية.. الاشتراك في تأسيس حزب اللامركزية "ــ"

١٩١٤ ــــ يحكم عليه بالإعدام غيابياً من قبل الديوان العرفي في عالية الذي حاكم وأعدم شهداء السادس من أيار ١٩١٤

١٩١٥ ــــ ينشر مسرحية بعنوان "المأساة الكبرى" وموضوعها مأساة الحرب الكونية الأولى . وللدكتور ترجمة لمسرحية أفجينيا في أوليد" لراسين شعراً. نشر قسم منها في مجلة الهلال بعد وفاته

١٩١٧ ــ وفاة الدكتور شبلي شميل، وقد رثاه كثيرون منهم الشاعر المعروف حافظ إبراهيم الذي نعيد نشر رثائه في هذه الطبعة من فلسفة النشوء والارتقاء

ملاحظة: كانت غالبية كتابات ومساجلات الدكتور شبلي شميل الصحيفة في مجلات المقتطف ويحررها صروف ونمر، والهلال ويحررها جرجس زيدان وفي جريدة البصير يحررها أخوه رشيد الشميل.

سلاسل الكتب والقراءة الشعبية

في

النشر العربي

كما تعرفون، كان اختراع الطباعة واستخدامها أوائل عصر النهضة الأوروبية الحديثة (القرن التاسع عشر) يعادل في أهميته وتأثيره، على الأغلب، اختراع الحروف الأبجدية واستخدامها زمن الفينيقيين، فإذا كان اختراع الحروف الأبجدية واستخدامها قد أتاح للمعارف أن تُدوَّن وتُتنَاقل من جيل إلى جيل، ومن إنسان إلى آخر، أو من مكان إلى مكان، فإن هذا الاختراع- الطباعة- قد أتاح للعقل، أيضاً، أن يضبط تفكيره، ويضبط خطواته وخطواته، مثلما أتاح للغة الشفوية نظاماً عقلياً وفكرياً آخر بحيث صرنا نميز ما بين "المنطق الشفوي" و" المنطق الكتابي" في التفكير. وتلك نقلة كبرى في تاريخ التفكير البشري ادت الى حفظه عبر تدوينه، كما هو معروف.

كذلك فإن اختراع الطباعة قد أتاح للمعرفة والعلوم والأفكار أن تنتشر بين مختلف صنوف وفئات وطبقات الناس، وبهذا كُسِر احتكار التدوين الخطي النادر والصعب والمكلف من قبل رجال الدين والحكام، وهم من كانت تتوجه إليهم، أو من كانوا يمولون في الغالب، صناعة الكتاب المخطوط[٣٠]، وبهذا كانت الطباعة الخطوة الأساس في ديمقراطية وشعبية المعرفة والأفكار والعلوم، وبالتالي اليمقراطية السياسية وبهذا المعنى ـــ أيضاً ـــ تعتبر الطباعة اختراعاً شعبياً وديمقراطياً أتاح للشعب وللجماهير دخول التاريخ، والمساهمة في صنعه، لا سيما بعد انتشار التعليم العام وكسر قيد الأمية، مما أتاح للفرد سهولة التعلم وسهولة الحصول على المعرفة، أي إمكانية تكوين

---

[٣٠] ـ **من هنا أتت عادة أو تقليد "إهداء" الكتاب إلى شخصية ما في الكتب الحديثة.**

"رأســمال" جديد يمكن هذا الفرد من الوصــول إلى أعمال ووظائف ودخول جديدة، وهذا كان أحد أســباب ومظاهر تشــكل برجوازية الموظفين الصــغيرة منذ عشــرينيات في القرن العشــرين في المنطقة العربية. وبهذا فقد أنهت الطباعة المرحلة الشفوية في التفكير واسست ـ حقاً ـ المرحلة الكتابية. والمرحلتان متمايزتان ـ كما هو معروف ـ في مستوى التفكير والحضارة وتنظيم العقل والعلوم والمعارف عامة.

بهذا كانت الطباعة من بعض مظاهر الحداثة والديمقراطية والعلمنة، مثلما هي من وسائل نشرهما، إذ عن طريقها استغنى الرجل الشــعبي عن رجل الدين كواسـطة أو وسـيلة للمعرفة. وقد اقترن ذلك بترجمة الكتب الدينية والأدبية والعلوم إلى اللغات الشــعبية، أو "المحلية". كالألمانية والفرنســية والإنكليزية وأمثالها في أوروبا أو التأليف بهذه اللغات المحلية أو الشــعبية، فقد كانت العلوم والآداب قبل النهضـــة الأوروبية مدونة في اللغات اليونانية واللاتينية والعربية غالباً[٣١].

من هنا تأتي أهمية سلاسل الكتب الموجهة للشعب كافة، أو للقارئ العادي والعام، وربما عبر هذه الســلاســل، أو هذا النوع من الكتب، إضافة إلى الدوريات أو "المجلات" حصل ويحصل أكثر الناس على علومهم ومعــارفهم، وعبرهــا شــكلوا رؤاهم وآراءهم وأفكــارهم وخياراتهم في الفكر والسياسة والسلوك الاجتماعي العام، ولعلنا نتذكر هنا الكراســات التي صــدرت أولاً باســم "الموســوعة" قبيل الثورة الفرنســية، فكانت على ما يقول المؤرخون، من ممهدات هذه الثورة، فهذه الكراسات كانت موجهة إلى عامة الناس، وتناقش مختلف شؤونهم الفكرية والمهنية؛ من قضــية التعصــب إلى مهنة التجارة، إلى المهن العملية كالنجارة والحدادة، وبعدها الكراســات التي كانت تصــدر زمن

---

[٣١] ـ هذه كانت اللغات الثقافية آنذاك في العالم، وكانت باستثناء العربية بالنسبة لأمثالها لغات لا يقرأها إلا خاصة الناس والاكليروس . وبالطبع كان ذلك نوعا من احتكار الثقافة.

الثورة الفرنســـية فكانت زيتاً في وقود هذه الثورة، ولعل أشـــهرها كراس" الأب سيس: ما هي الطبقة الثالثة؟".

ربما تكون الموسوعة الفرنسية وكراسات الثورة الفرنسية"١٧٨٩" هي أساس السلاسل الشهرية رخيصة الثمن الموجهة إلى عامة القراء في العصر الحاضر. وقد كان تكوُّن الطبقة العمالية ونشاطها وتعلمها، في القرن التاسع عشر، أحد أهم أسباب انتشار هذا النوع من الكراسات أو الكتيبات الشـــعبية التي توجهت أولاً إلى هذه الطبقة، إلى جانب الروايات الشـعبية التي كانت تصـدر مسـلسـلة في الصـحف، أو في كراسات سياسية أو تعليمية مسلسلة مستقلة منذ ما قبل ذلك، مما أدى إلى ظهور ما يسمى "بأدب الأكشـاك" وهو كتيبات أو سـلاسـل وكتب شـعبية زهيدة الثمن وغير كثيرة عدد الصـفحات بحيث تسـهل قراءتها مضـمونـاً ومكانا وزمناً. وغالباً ما كانت موضـوعات هذه الكراسـات سياسية راهنة، أو روايات وآداب ومعارف عامة. وقد ظهر منذ أواخر القرن التـاســع عشـــر وأوائل القرن العشـــرين عدد كبير من هذه المطبوعات في أوروبا، إلى أن كانت الخطوة، أو الثورة الأســـاس في نوعية أو طريقة سـلسـلة الكتاب الشـعبي رخيص الثمن والموجه إلى عامة القراء عام ١٩٣٥ عندما أصدر السير ألن لين في بريطانيا سلسلة كتب "البنغوين" الشـهيرة التي ما تزال مسـتمرة الصـدور. وميزة هذه الكتب أنها كانت تباع بحوالي نصـــف ليرة ومجلدة تجليداً بســـيطاً[٣٢]. وعنها نقلت أغلب تقاليد هذا النوع من الطباعة في ألمانيا وأســـبانيا وفرنسـا والوطن العربي. وهنا ينبغي ملاحظة أن الكتاب المطبوع ظل ضـــعيف التواجد في بيوت كافة الناس قبل ثورة كتاب البنغوين هذه. وقد أقيم أول معرض لهذا النوع من الكتب في لندن عام ١٩٦٠.

في منطقة الثقافة العربية الحديثة تأخر ظهور الكراسـات وسـلاسـل المعارف العامة، أما السـلاسـل الشـعبية المنظمة على طريقة البنغوين فقد كان ظهروها قريباً من زمن صـدور سـلسـلة البنغوين التأسـيسـة،

---

[٣٢] ـ الغلاف السميك للكتاب، وتجليده المقوى بالجلد قديماً لحفظ أوراقه، هو أصل تعبير "بين دفتي أو جلدتي الكتاب" وبعدها صار التجليد فناً جميلاً مستقلاً.

وأول سلسلة كتب شعبية منظمة الظهور، وتحقق شروط هذا النوع من الكتب كانت سلسلة "كتاب الشهر". وقد ظهرت في مصر عام ١٩٣٧، وبعدها حذت حذوها باقي السلاسل الشعبية منتظمة الظهور وأشهرها فيما بعد سلسلة "أقرأ ١٩٤٣" الشهيرة والمستمرة التي كتب تقديمها، وكان ممن أدارها طه حسين [١٨٨٩ ـ ١٩٧٣] الرجل الذي كان يريد أن يجعل التعليم والثقافة منتشرين كالماء والهواء للشعب، وبعدها تتالت هذه السلاسل كما في الجدول المرفق بهذا البحث لأهم هذه السلاسل.

١ ـ سلاسل كتب المعارف العامة والروايات:

١ ـ في مصر:

كانت مصر رائدة في السلاسل الشعبية للكتب منذ الثلاثينيات في القرن العشرين وحتى اليوم، وأهم سلاسل الكتب العامة هي السلاسل ذات الطابع الروائي والمسرحي. أي سلاسل غير المتخصصة في العلوم، أو غير موجهة للمختصين في علم من العلوم كعلم النفس، مثلاً، وأهم هذه السلاسل في مصر:

١ ـ مسامرات الشعب   من ما قبل الحرب العالمية الأولى

٢ ـ كتاب الشهر   ١٩٣٧ ـــــ ظهر منها حوالي مائتي كتاب

٣ ـ اقرأ   ١٩٤٣ ـ مستمرة أغلبها مؤلف

٤ ـ كتب للجميع   ١٩٤٨ توقفت

٥ ـ روايات الهلال   ١٩٤٩ مستمرة

أغلبها كان روايات عالمية ملخصة في البداية ثم كاملة فيما بعد

٦ ـ كتاب الهلال   ١٩٥١ مستمرة ـ كتب ثقافية منوعة. أغلبها مؤلف

٧ ـ الكتاب الذهبي   ١٩٥٢ ـــــ جعلت من الكتاب القصصي العربي كتاباً مقروءاً شعبياً

٨ ـ كتاب أخبار اليوم ١٩٥١ ــ منوعات قصصية مترجمة ومؤلفة

٩ ـ كتاب روز اليوسف ١٩٥٤ ـ منوعات سياسية وقصصية، وهناك إصدار ثانٍ عام ١٩٧٣

١٠ ـ مطبوعات كتابي ١٩٥٦ غـالـبـاً روايـات. مترجمة.

١١ ـ الألف كتاب ١٩٥٧ ـ وهي سلسلة معارف عامة ولمختلف مستويات القراءة وليست "شعبية" حصراً، وليست منتظمة الظهور.

١٢ ـفنون الأدب العربي ـ دار المعارف.

١٣ ـنوابغ الفكر العربي ـ دار المعارف.

١٤ ـالكتاب الفضي ـ قصص "وريث الكتاب الذهبي"

وبعد عام ١٩٦٠ حدثت في مصـر عناية كبيرة بتنظيم السـلاسـل الشعبية التي تصدرها الدولة، فصدرت السلاسل التالية:

١ ـ أعلام العرب ١٩٦٠ ـ عنيت بأعلام التاريخ الثقافي العربي القديم خصوصاً

٢ ـ المكتبة الثقافية ١٩٦٠

٣ ـ روائع المسرح العالمي

٤ ـ مسرحيات عالمية ١٩٦٠

٥ ـ روايات عالمية ١٩٦٠

٦ ـ مطبوعات الجديد ـ ١٩٧٢

٧ ـ كتابك ١٩٧٥

وأخيراً سلاسل "القراءة للجميع" أو "مكتبة الأسرة" التي ما تزال مستمرة. منذ عام ١٩٩٥

وكان هناك سـلاسـل "مؤسـسـة فرانكلين" الأمريكية في مختلف الشؤون الثقافية والتعليمية، وهي سلاسل كثيرة ومتنوعة صدرت في مصر، وان لم تكن منتظمة الصدور. بدأت هذه السلاسل عام ١٩٥٤ وتعرضـت لحملات كثيرة وشـديدة اللهجة من المثقفين اليسـاريين

والقوميين خلال الســـتينيات التالية، زمن المد القومي والاشـــتراكي، باعتبارها أمريكية ورأسمالية التفكير والتمويل والتوجه.

سورية:

١_مناهل الفكر العالمي _صـــدرت عن دار ابن المقفع _أوائل الخمسينيات

٢ـ أحسن القصص ١٩٥٤ ـ قصصية في غالبها.

العشرين

٣ـ مختارات ٢٠٠٣ ـ مستمرة ـ وزارة الثقافة.

٤ـ آفاق ثقافية ٢٠٠٣ ـ مستمرة ـ وزارة الثقافة.

٥ـكتاب الجيب ٢٠٠٧ _ اتحاد الكتاب العرب .

٧ـأيضا هناك سلسلة" حوارات" تصدر عن دار الفكر.

٨ _"سلسلة كراسات الأوان" عن دار بترا.

الكويت:

١ ـ من المسرح العالمي ـ تحولت إلى سلسلة إبداعات ١٩٦٩ مستمرة

٢ ـ عالم المعرفة ١٩٧٨ مستمرة ـــ موجهة لمختلف مســتويات القراءة وغالباً للمراحل العليا من القراءة وليســت "شعبية" حصراً.

وأخيراً كتاب مجلة دبي الثقافية ٢٠٠٩

العراق: الموسوعة الصغيرة صدرت في السبعينيات من القرن العشرين

لبنان: الروائع ـ المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٥ ـ أول سلسلة شـــعبية عرفت بالتراث العربي. أدارها. فؤاد البســتاني، ولعبت دوراً هاماً في تثقيف عموم قراء النصـف الأول من القرن العشـرين، خصوصا في سورية ولبنان.

ـ مناهل الأدب العربي ـ دار صادر ـ أواخر الأربعينيات

- روائع الزجل ١٩٤٦
- علم نفسك - دار العلم للملايين ١٩٥١
- السلسلة السيكلوجية - دار العلم للملايين - أواخر الأربعينيات من القرن العشرين
- سلسلة: زدني - علماً - دار عويدات - أغلبها مترجم عن الفرنسية
- سلسلة: أعلام الفكر العالمي - المؤسسة العربية. - بيروت ١٩٧١ - ليست "شعبية" حصراً.
- السعودية: كتاب الرياض. يصدر عن جريدة الرياض منذ عام ١٩٩٣.

وكان هناك في الستينيات في لبنان محاولات متفرقة لإصدار سلاسل شعبية، لكن أغلبها لم تستمر أكثر من سنة واحدة، مثل كتب سلسلة: المؤسسة الأهلية وكانت سلسلة قصصية. كما كان هناك سلاسل هامة لكن غير دورية لاسيما سلسلة: كنوز القصص العالمية لمترجمها منير بعلبكي - دار العلم للملايين - وسلاسل دار بيروت عن أعلام الثقافة الأدبية والمفكرين العالميين في الأربعينيات والخمسينيات وسلسلة- الخالدون- لقدري قلعجي - وسلسلة كنوز القصص العالمي التي صدرت عن دار العلم للملايين وقد ترجمها منير البعلبكي. وكتب السلاسل الأخيرة هذه مازالت جديرة بإعادة الطبع والقراءة، وربما كانت أهم زاد ثقافي لقراء الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

ينبغي أن نشير هنا كذلك إلى كتاب المدى الشهري [دار المدى - دمشق] الذي يوزع مع بعض الصحف العربية، وإلى "كتاب في جريدة" الذي تشرف عليه اليونسكو ويوزع كذلك مع بعض الصحف العربية، لكن طريقة طباعة هذا الكتاب لا تساهم في قراءته وحفظه، إذ يطبع على شكل جريدة.

تكمن أهمية هذا النوع من السلاسل في توجهها لعامة القراء وليس الى مجرد المختصين في علم من العلوم، كما تكمن أهميتها في انتظامها الشهري ورخص ثمنها وإتاحتها المعارف لكافة القراء، مثلما

تكمن أهميتها في ربط القارئ العادي بمتعة القراءة عن طريق تسلسلها وانتظام صدورها وتوزيعها اليومي مع الصحف والمجلات، ومعالجتها مواضيع جادة ترقى على مستوى الصحيفة اليومية، مما يغري بحفظها، وبالتالي تكوين نواة مكتبة بيتية أو شخصية، أضف إلى ذلك مجانيتها أو ثمنها الزهيد نسبياً.

بالطبع ما كان لسلاسل الكتب أن توجد لولا اختراع الطباعة أولاً، وشيوع التعليم ثانياً، والأفكار الديمقراطية ثالثاً، مما ساعد على انتشار العلوم والمعارف عموماً، والأفكار الديمقراطية خصوصاً، وتكوين "رأسمال" جديد لغير المالكين مالاً أو عقارات أو شهادات مما يسهم بالارتقاء الوظيفي والاجتماعي. وبهذا كانت هذه السلاسل، إضافة إلى المجلات والدوريات كما تقدم، نوعاً من المدارس والجامعات لمن يسعفه الحظ أو ظروفه المادية أو نشأته الطبقية، في التعليم الرسمي المنظم.

أخيراً نختم بما كان يجب أن نبدأ به وهو تعريف الكتاب الشعبي، ولعله أتضح من خلال عرضنا على كل حال.

نعني بسلسلة الكتاب الشعبي: الكتاب منتظم الصدور، تقع صفحاته في حدود المائتين يعالج موضوعات تهم عامة القراء وبلغة وأسلوب يستطيع القارئ العادي استيعابه. وهو كتاب مجلد تجليداً ورقياً بسيطاً، وزهيد الثمن.

ختاماً:

اعتقد أنه كان لهذا النوع من الكتب تأثير كبير وأكبر مما نعتقده، وربما أكبر من تأثير الكتب الأكاديمية المتخصصة، وخاصة من جهة إتاحته الكتب الهامة والنادرة، إضافة إلى الكتب الجديدة، ووصل شبكة مختلفة من القراء عبر الزمن والمكان مما يسهم في تكوين وعي وأرضية فكرية وتاريخ ثقافي متجانس، بحيث يشكل كل ذلك أساس شخصية اجتماعية فكرية واعية ومطلعة على الأفكار والثقافات ومتفاعلة معها، مما ينمي علاقات ومشاعر المواطنة المشتركة و"مشاعر التلاحم الاجتماعي" المعتمدة على أساسيات ثقافية عامة متفاعلة مشتركة ومتجانسة. واعتقد أن هذا من جملة ما تحتاجه

مجتمعاتنا العربية، كما أن هذا ما تساعد وساعدت عليه سلاسل الكتب، أو القراءة الشعبية العامة التي جرى الحديث عنها آنفا.

ملاحظات:

١ ـــ بالطبع هناك سلاسل أخرى لم نذكرها، فهدفنا في هذه الورقة الإشـــارة إلى تاريخ الظاهرة وإلى أهميتها وتأثيرها وأهم ما قدمت، وليس هدفنا الدراسة المسحية أو الإحصائية.

٢ ـــــ مع الأســف الشــديد فإن الطريقة الوحيدة للحصـــول على مطبوعات هذه الســـلاســـل الهامة اليوم هي "بســـطات" الكتب على الأرصـفة. وبهذه المناسـبة فإنني أشـكر هؤلاء البائعين أصـحاب هذه البسـطات، على إتاحتهم للقارئ كتب مثل هذه السـلاسـل وغيرها من الكتب، وأدعو القراء ـــ لفائدتهم ـــ لتناول هذه الكتب عن الأرصفة وقراءتها وحفظها نظراً لأهميتها الثقافية والمعرفية والتاريخية.

٣ ـــ غلبت الترجمة التلخيصية وغير الدقيقة في كثير من الأحيان على السلاسل الشعبية، لا سيما سلاسل الروايات، باستثناء سلسلة "إقرأ" وكتاب "الهلال" فقد كان التأليف فيهما هو الغالب.

٢٠٠٩

شـــذرات

٢٥ ٠فبراير ٢٠١٦ ٠

- خرائط الأمر الواقع -

من منا يجرؤ على تصور = تخيل هذا الأمر :

الثقافة العربية منذ النصف الثاني من القرن العشرين ، أو ما قبله ، دون :

-١- في الشعر:

عمر أبو ريشـــه ، بدوي الجبل ، نزار قباني ، أدونيس ، محمد الماغوط ، رياض صالح الحسن ، و .... وأمثالهم من الشعراء

-٢- الأدب القصصي :

حنا مينه ، شكيب الجابري ، صباح محي الدين،جورج سالم ، سعيد حورانية ، حســيب كيالي ، زكريا تامر ، فواز حداد ، و ... و .. وغيرهم من الروائيين والقصاصين .

-٣- في المسرح :

ســعداله ونوس ، فواز الســاجر ، هيثم حقي ، الدراما الســورية .. وامثالهم من المسرحيين

-٤- في السينما :

نبيل المالح ، عمر أميرلاي ، محمد ملص ،عبد اللطيف عبد الحميد وغيرهم

٥-- في مجال نشــر الكتب : مطبوعات وزارة الثقافة الســورية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، مطبوعات دور النشــر الخاصــة السورية ..و.. و..

-٦- في الرسم والنحت والتصوير الضوئي :
لؤي كيالي ، فاتح المدرس ، غسـان السـباعي ، نذير نبعة ، الياس زيات ، عاصـم الباشـا ، محمد الرومي ، عبدالله مراد ، غسـان جديد ، و .. وغيرهم

-٧- في الجامعة السورية :
سعيد الافغاني ، بديع الكسم ،شاكر مصطفى ، كامل عياد ، صادق جلال العظم ، عادل العوا ، و ... وغيرهم

-٨ - في الترجمة :
سامي الدروبي ، الياس بديوي ، وجيه الأسعد . صالح علماني ، ،. الاسعد. وغيرهم و غيرهم

-٩- في السياسة :
خالد العظم ،شكري القوتلي ، عبد الرحمن الشـهبندر ، خالد بكداش ، هاشـم الاتاسـي ، يوسـف العظمة وبشـير العظمة ، ميشـيل عفلق ، أكرم الحوراني ، معروف الدواليبي ، رشدي الكيخيا ، عصام العطار، ناظم القدسي وفارس الخوري .

-١٠- في الموسيقى والغناء :
صـلحي الوادي ، صـباح فخري صـبري مدلل ، غزوان زركلي ، نوري رحيبـاني ، وغير هؤلاء كثير وكثير في مختلف الحقول والمجالات

-١١- من الثوار:
أحمد مريود ، ابراهيم هنانو، سـلطان الأطرش ، صـالح العلي ، حسن الخراط و . . و .. و ..

من منا يجرؤ على تصور = تخيل هذا ؟!

المرعب أكثر أن نتخيل = نفكر أن ســوريا- هذه – انتهت ، أو أنها قد تنتهي- الى الأبد- .

لكن من منا كان يتخيل .. يفكر ، في يوم من الأيام ، أن حلب القديمة ، أو الجديدة ، أو حمص- مثلا- ستدمران ؟!

كرياليسون ، كرياليسون ، كرياليسون .

تحديث :

... وفي هذا اليوم- ٢٥ / ٢ / ٢٠٢٣- أضيف إلى هذا التدوين القديم ما يلي

نعم قد انتهت .. ولا حاجة لأن- نفكر في الأمر

لنرى الأمر على

- حقيقته- .. وواقعه ، وبكل شجاعة وأسى . .

لننظر الى

- الخرائط الجديدة-

... خرائط الأمر الواقع ..

فقط لا غير.

- ١ -

- حيوات الناس اليومية في كتب التواريخ العربية-

ثمة قول شائع ، وكثيرا ما تكون الأقوال والأراء الشائعة أكثرها بعدا عن- الحقيقة- والصواب ، ومختصر هذا أن التاريخ العربي ، وربما غيره من التواريخ ، إنما كتب على لسان الحكام والملوك وأمثالهم ، وأن الشعب ، وبالتالي الحقيقة ، غائبان عن التاريخ.

صحيح أن هناك تواريخ دونت على هذا الأساس ، ولكن هناك كتباً وتأليفات تاريخية أخرى كتبت على لسان الشعب العادي ، وأن الشعب العادي و- عوام الناس- موجودون في كثير ، وربما في كل الكتب الأخرى ، لكن هذا لمن يحسن ملاحقتهم ورؤيتهم ، أويحسن القراءة بعين- شعبية- تاريخية أخرى ، كما في الوثائق الشرعية وكتب التراجم- حيوات الأشخاص- وكتب الفتاوى- الفتاوى تعالج عادة حيوات الناس اليومية ومشكلاتهم-.

سأحاول في تدوينات قادمة عرض بعض الكتب والتواريخ العربية القديمة ، والتي قدمت الحياة اليومية للناس العاديين ، أو الشعب- كما يقال في إصطلاحات هذه الأيام.

أبدأ بابي حيان التوحيدي المتوفى عام- ٤١٤ هجرية- وكتابه

- الرسالة البغدادية-

في هذا الكتاب ثمة رجل يقضي نهارا واحدا يدور في مدينة بغداد مسجلا كل يراه من حيوات الناس العاديين محاولا- كشف أخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم، وكالانموذج المأخوذ من عاداتهم ،كما قال المؤلف ، عبر حكاية يوم بعيني رجل يدور مراقبا أحداث ومجريات- أحوال يوم واحد- من عام- ٣٦٠- هجرية- في بغداد.

في هذا الكتاب يكاد المؤلف يذكر يحصي كل ما يراه في بغداد ، حتى أعداد السكان والملاحين والمؤذنين والفقهاء والرقصات والعوادت- موسيقيات- م . خ- وأنواع الطعام والشراب والأثاث والأزهار والملابس والمساكن ... ألخ.

- هنا أفتح قوسا ، وأتذكر رواية-عوليس- ل- جمس جويس- التي

تدور أحداثها خلال في يوم واحد من عام- ١٩٠٤- في دبلن عاصمة ايرلندا-

- الكتاب- الرسالة البغدادية.

- تأليف أبو حيان التوحيدي-.

تحقيق- عبود الشالجي-.

الناشر- دار صادر . بيروت-. ١٩٨٠–

٢٦/١١/٢٠٢١

٢-

-

- حيوات الناس اليومية في الكتب التاريخية العربية-

هذا كتاب ليس مكتوبا بحبر مأخوذ من محابر الحكام ، بل هو مكتوب ضدهم بحبر مأخوذ من محابر الناس ومعاناتهم في مجاعاتهم وغفلتهم عن أسباب ما يعانون ، وباسم هؤلاء الناس الذين يعانون- المجاعات- والكوارث بسبب الحكام وسوء تدبيرهم ، أو سوء حكمهم وفسادهم ، حسب التعبيرات المعاصرة.

]وبعد فإنه لما طال أمد هذا البلاء المبين- يقصد الكاتب المجاعات- م . خ- ، وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المهين ، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها ، ولا مر في زمن شبهها ، وتجاوزوا الحد فقالوا لا يمكن زوالها ، ولا يكون أبداً عن الخلق انفصالها ، وذلك أنهم قوم لا يفقهون ، و بأسباب الحوادث جاهلون ، ومع العوائد واقفون ، ومن روح الله أيسون . ومن تأمل هذا الحادث- المجاعات .م . خ- من بدايته إلى نهايته ، وعرفه من أوله إلى غايته ، علم أن ما بالناس سوى سوء تدبير الزعماء والحكام، وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد ، لا أنه كما مر من الغلوات- المسافات والمدد الزمنية- م .خ- ، وانقضى من السنوات المهلكات ، إلا ان ذلك يحتاج ألى إيضاح وبيان ، و يقتضي إلى شرح وتبيان- انتهى).

من الصفحة- ٤- المقدمة.
هذا- الشرح والتبيان- لأسباب المجاعات في مصر ، في ذاك الزمان ، وربما في زمننا المعاصر ، وربما في غير مصر ، أيضا ، يتكفل به الكتاب التالي

- أغاثة الأمة بكشف الغمة.
تأليف- تقي الدين أحمد المقريزي- متوفى عام- ٨٥٤- هجرية .- ١١٤٤- ميلادية-

تحقيق- محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال-
الناشر- لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة . طبعة أولى- ١٩٤٠- والثانية- ١٩٥٧- ، وعنها ننقل
وللكتاب طبعة سورية أخرى صادرة عن- دار ابن الوليد- في حمص- سورية- ١٩٥٦-.

٢٨/١١/٢٠٢١
-٣-
- حيوات الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-
]ودخلت سنة- ١١٥٦- .... وقد هل هذا العام الجديد ، ورطل الخبز الشامي ، بأربعة مصاري ، ورطل الأرز بثمانية مصاري ، و أوقية السمن ب .. ولحم البقر ب .. .. و أوقية الزيت ب ..- قائمة بأسعار باقي المواد الغذائية م . خ-
..في تلك الأيام- شهر رمضان- ١١٥٦- هجرية- ١٧٤٣- ميلادية- م . خ- ، رجعت الإفتاء الى الشيخ العمادي ، وفي ليلة السبت خسف القمر ، بعد نصف الليل خسوفا شديدا فاحشا ، وبقي إلى أن طلع النهار . وفي رابع عشر الشهر من هذا العام، ألقى رجل نفسه من أعلى منارة جامع الدقاق إلى الأرض ، فهلك سريعا ، بعد أن تكسر جسمه ،

واسمه الشيخ حسن بن الشيخ يوسف الرفاعي . فسألنا عن سبب ذلك ، فقيل لنا أن أخا زوجته أتى بامرأة إلى بيته ، وكانت من الخطيئات ، فنهاه عن ذلك ، فنهره وضربه ، فذهب فأخبر أكابر الحارة ، فلم يلتفتوا أليه لأنهم فوق ذلك بالانغماس . فذهب إلى جامع الدقاق ، وصلى الصبح مع الأمام ، وصلى على نفسه صلاة الموت ، وصعد إلى المنارة ونادى
- يا أمة الإسلام، الموت أهون ، ولا التعريض مع دولة هذه الأيام.
ثم ألقى نفسه إلى الأرض ، عفى الله عنه . وفي ثامن عشر من هذا الشهر ، رمضان ، وضع رجل يقال المجري ، طبنجة في بطنه وقتل نفسه ، فسألنا عن السبب .... وفي هذا ...] انتهى- الصفحة-٤٩- ٥٠- من كتاب
- حوادث دمشق اليومية
- -١١٥٤- ١١٧٥هجرية-.
- -١٧٤١- ١٧٦٢ ميلادية-.
- جمعها- الشيخ أحمد البديري.
نقلها- الشيخ محمد سعيد القاسمي.
حققها- دكتور أحمد عزت عبدالكريم-
الناشر- مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
القاهرة- ١٩٥٩-

-٤-
أما صورة الكتاب الثاني
- حلاق دمشق-
فهي لكتاب مؤلف ومترجم كدراسة عن كتاب الحلاق البديري المتقدم ذكره والنقل منه ، وعن الكتب الأخرى المشابهة لكتاب البديري في التأريخ للوقائع اليومية ، أو التأريخ ب
- الوقائع اليومية-.
- حلاق دمشق.
- محدثو الكتابة في بلاد الشام إبان العهد العثماني-.
تأليف- دانه السعدي.

ترجمة- د . سرى خريس.
الناشر- مشروع كلمة- أبو ظبي – ٢٠١٨

٢٨/١١/٢٠٢١
-٣-
- حيوات الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-
]ودخلت سنة- ١١٥٦- .... وقد هل هذا العام الجديد ، ورطل الخبز الشامي ، بأربعة مصاري ، ورطل الأرز بثمانية مصاري ، و أوقية السمن ب .. ولحم البقر ب .. .. و أوقية الزيت ب ..- قائمة بأسعار باقي المواد الغذائية م . خ-
..في تلك الأيام- شهر رمضان- -١١٥٦ هجرية- ١٧٤٣- ميلادية- م . خ- ، رجعت الإفتاء الى الشيخ العمادي ، وفي ليلة السبت خسف القمر ، بعد نصف الليل خسوفا شديدا فاحشا ، وبقي إلى أن طلع النهار . وفي رابع عشر الشهر من هذا العام، ألقى رجل نفسه من أعلى منارة جامع الدقاق إلى الأرض ، فهلك سريعا ، بعد أن تكسر جسمه ، واسمه الشيخ حسن بن الشيخ يوسف الرفاعي . فسألنا عن سبب ذلك ، فقيل لنا أن أخا زوجته أتى بامرأة إلى بيته ، وكانت من الخطيئات ، فنهاه عن ذلك ، فنهره وضربه ، فذهب فأخبر أكابر الحارة ، فلم يلتفتوا أليه لأنهم فوق ذلك بالانغماس . فذهب إلى جامع الدقاق ، وصلى الصبح مع الأمام ، وصلى على نفسه صلاة الموت ، وصعد إلى المنارة ونادى
- يا أمة الإسلام، الموت أهون ، ولا التعريض مع دولة هذه الأيام.
ثم ألقى نفسه إلى الأرض ، عفى الله عنه . وفي ثامن عشر من هذا الشهر ، رمضان ، وضع رجل يقال المجري ، طبنجة في بطنه وقتل نفسه ، فسألنا عن السبب .... وفي هذا ...] انتهى- الصفحة-٤٩- ٥٠- من كتاب
- حوادث دمشق اليومية
- -١١٥٤- ١١٧٥هجرية-.
- -١٧٤١- ١٧٦٢ ميلادية-.

- جمعها- الشيخ أحمد البديري.
نقلها- الشيخ محمد سعيد القاسمي.
حققها- دكتور أحمد عزت عبدالكريم-
الناشر- مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.
القاهرة- ١٩٥٩ _

٢٨/١١/٢٠٢١
-٤-
أما صورة الكتاب الثاني
- حلاق دمشق-
فهي لكتاب مؤلف ومترجم كدراسة عن كتاب الحلاق البديري المتقدم ذكره والنقل منه ، وعن الكتب الأخرى المشابهة لكتاب البديري في التأريخ للوقائع اليومية ، أو التأريخ ب
- الوقائع اليومية-.
- حلاق دمشق.
- محدثو الكتابة في بلاد الشام إبان العهد العثماني-.
تأليف- دانه السعدي.
ترجمة- د . سرى خريس.
الناشر- مشروع كلمة- أبو ظبي- ٢٠١٨- .

٢٩/١١/٢٠٢١
- ٥-
- حيوات الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-
]مروان بن أبي حفصة
الشاعر المشهور، كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة، وكان يحصل من الأموال شيئا كثيرا جدا ، وكان مع ذلك من أبخل الناس لا يكاد يأكل من اللحم من بخله، ولا يشعل في بيته سراجا، ولا يلبس من الثياب ألا الكرابيس والفرو الغليظ . خرج يوما إلى المهدي- الخليفة .م خ- فقالت امرأة من أهله.

- إن أطلق لك الخليفة شيئا فاجعل لي منه شيئا.
فقال
- إن أعطاني مائة ألف فلك درهم.
فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دوانيق . توفي عام-١٨٢-
هجرية] انتهى . الصفحة- ١٠٧-
من كتاب
- الفلاكة والمفلوكون.
- تأليف- مولانا شهاب الملة والدين احمد بن علي الدلجي- ٧٧٠-
٨٣٨- هجرية . ١٣٦٨- ١٤٣٥- ميلادية.
الناشر- مكتبة الأندلس- بغداد- ١٣٨٥ هجرية- ١٩٦٦- ميلادية.

...الفلاكة
كلمة فارسية الأصل.
المفلوك هو المصاب بالفلك.
أي
سيء الطالع والحظ ، وغريب السلوك ، على الرغم من- تعقله- في
أموره العامة الأخرى.
يكاد يكون هناك ، في سلوك المفلوك ما يشبه ما يسميه علم النفس
- الأفعال ، أو الوسواس القهرية-.
هذا الكتاب يسجل سوء الطالع ، أو الحظ ، وطرافة ما يؤدي إليه ذلك
من- وساوس وأفعال قهرية- لدى بعض الناس ، مما يجعل سلوكهم
طريفاً و غريباً في الحياة اليومية .

٣٠/١١/٢٠٢١
-٦-
حيوات الناس اليومية في الكتب التاريخية العربية-
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان.
تأليف- شمس الدين محمد بن طولون الصالحي- ٨٨٠- ٩٥٣- هجرية-
١٤٧٦- ١٥٤٦- ميلادية.

تحقيق- محمد مصطفى.
الناشر- وزارة الثقافة المصرية- القاهرة- ١٩٦٢-.

[وفي يوم الجمعة سادس عشر- منشورات ذي القعدة- ٩٠٣- هجرية . م .خ- نادى نائب الغيبة بالأمان وأبطال المناكير مطلقا على اختلاف أنواعها ، وأن لا يحمل أحد سكينا ولا ما يعتاده أهل الزعارة- القبضايات في إصطلاحنا المعاصر . م .خ- ، وقد أصاب في ذلك ، أيده الله تعالى .] الصفحة-١٩٦- من الكتاب- الجزء الأول-.

تلاحظ الباحثة- نائلة قايد بيه- مايلي على محتويات هذا الكتاب

[قد يكشف تحليل كمي للنص أن معظم السرد ينقل الجور والظلم الذي تعرض له العوام ...وأبرز سمات هذا التأريخ أن ابن طولون يبدو مدافعا عن الناس وليس عن العلماء فقط ... لقد ظهر ابن طولون في ذلك الزمان العصيب مدافعا عن العوام .- الشعب باصطلاحنا المعاصر- م . خ-] انتهى.
عن كتاب
- حلاق دمشق- الصفحة-١٤٠- .

١/١٢/٢٠٢١
-٧-
- حيوات الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-
]ربيع الأول سنة- ١١٢٠ هجرية.
...وفي ذلك اليوم دعانا بعض الأصحاب إلى بستان يقال له بستان ابن القرندس، وكان أيام الزهر ، وكان معنا الشيخ أبراهيم الأكرمي ، أمام جامع السلطان سليم خان ، عليه الرحمةوالرضوان.
..وفي سادس عشر ربيع الأول ، أنزلوا كتب السيد إبراهيم أفندي ابن حمزة إلى الجامع الأموي لأجل البيع ، وبقيت تباع كل يوم إلى مقدار شهر.

وخلص الشيخ صادق أفندي بن الخراط الحنفي نحو ثلاثمائة مجلدة ، كلها من وقف العمرية- مدرسة . م . خ- . وكان السيد إبراهيم ناظرا على الموقوفة بالعمرية ، مهما أراد يأخذ منها . وهذه كتب الوقف عند كثير من الناس ، لأن الناظر قد يعير منها للطلبة ويكتب اسمه في دفتر حتى لا تتعطل ، لشغور المدرسة العمرية عن المجاورين- أي المقيمين . م .خ- ، فإنها خالية ما عدا بعض الفقراء من المتسببة- باعة الأرصفة والجوالون. م . خ- ، ولا قوة ألا بالله .]- انتهى- . الصفحة- ١٣٩- ١٤٠-

- الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية.
تأليف-محمد بن كنان الصالحي- توفي عام-١١٥٣ هجرية- ١٧٤٠ ميلادية.
تحقيق- أكرم حسن العلبي.
الناشر- دار الطباع- دمشق- ١٩٩٤-

ملاحظة-

-١يبدو أن الناشر ، أو المحقق ، لأسباب- محلية- وتجارية وضع من عنده عنوانا جديدا للكتاب هو
- يوميات شامية-
وهذا فعل غير حميد في رأيي، وكان يمكنه الاكتفاء بالاشارة إلى ما يريد من- يوميات شامية- في تقديمه للكتاب ، ويبقى عنوان المؤلف أقرب إلى الجمال .. والصدق..
يسجل الكتاب فترة السنوات- ١١١١- ١١٥٣- هجرية- ١٦٩٩- ١٧٤٠--ميلادية.

... -٢ومن الطريف ان نذكر أن مؤلف هذا الكتاب كان شخصا- نزهيا- محبا للعزائم و-السيارين- في الطبيعة ، بحيث لا يمر شهر دون أن يذكر عزيمة ، أو-سيرانا- في الغوطة وبساتينها .

٤/١٢/٢٠٢١
-٨-

- حياة الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-
- أخبار حلب كما كتبها نعوم بخاش.تأليف- نعوم بخاش- توفي عام- ١٨٧٥-.
تحقيق- الأب يوسف قوشاقجي- ١٩١٤- ١٩٩٥-. الناشر- مطرانية الروم الكاثوليك- حلب. الكتاب مؤلف من أربعة أجزاء صدرت بين عامي- ١٩٨٥- ١٩٩٥-. وهي تغطي الفترة بين عامي-١٨٣٥- ١٨٧٥- . من خلال تدوين معلم كتاب ليوميات- مكتبه- . وهذه الجمعةطلعت من الخبا من بعد رواح ابراهيم- ابراهيم باشا ابن محمد علي . م . خ- الى الجديدة- حي في حلب . م خ- ... والأحد أولها أيضا- سنة ١٨٤١- م . خ- كنت سهران ببيت المقسي نعمة الله حمصي وكان بيت العجوري ليلتها عندهم سهرانين. والجمعة نظم الباشا إلى العيان- الأعيان . قوشاقجي .- بهدلة لأن الإسلام كانوا عمال يبهدلوا النصارى ، وقلب لفات وغير اشيا ، فقال الباشا- تعرفوا أن النصارى مؤمنين- بالتشديد م . خ- ومولانا السلطان لولا يريد النصارى بملكه نفاهم ، ومن الآن وصاعدا ، وهو الحالف من فمه والله العظيم ، أن بعد اليوم صار بهدلة للنصارى قبل ما أطلع من حق- أنزل به العقاب . قوشاقجي- الذي بهدل ، أطلع من من حقكم أنتم قبلا ، وبعدها بطلع من حقا الذي جرت على يده ، ومن الآن وصاعدا ديروا بالكم أن يصير بهدلة ، أو كسر نام- شرف ، بالفارسية .
قوشاقجي-ي. م والباشا اسعد العظم] انتهى . الصفحات- ١٥٦- ١٥٧-
ويقول محقق الكتاب في مقدمة الجزء الأول] وأحسن ما تظهر فيه الحياة اليومية هو ما كتب بعض الناس في سر بيتهم ، فلم يخطر ببالهم أن ما كتبوه سوف تتناوله الأيدي وتدرس وتنشره . كتبوا ما كتبوا من غير تكلف وتصنع ولا زخرفة ، فكانوا صادقين في وصف ما شاهدوا ورواية ما سمعوا. [وبهذا القول أنهي سلسلة هذه التدوينات عن --:
حياة الناس اليومية في كتب التاريخ العربية-

...علما أنه توجد كتب أخرى كثيرة جديرة بالعرض والتنويه. .
والقراءة، لكنني أعطيت مجرد أمثلة لهذا النوع من الكتب المتجاهل دلالتها وأهميتها .

خاتمة، أو كالخاتمة

١٩ ،مارس ٢٠٢٣ ،

- عن رؤية المستقبل -

"أودعكم بكثير من الألم وبقليل من الأمل". عبارة قالها طه حسين (١٨٨٩م- ١٩٧٣) في أواخر أيامه.

كثير ما قرأت أن ما حدث من- كارثة عربية- أتت مفاجئة، ولم يستطع كاتب أو مثقف عربي الاحساس بها، أو التنبيه أليها ، أو أن يقوم بدوره في الإشارة اليها ، قبل حدوثها ، أو قبل الانهيار الكبير الذي نعيشه اليوم، في مطلع القرن الحادي والعشرين، بعد أن قضينا القرنين التاسع عشر والعشرين نتغنى بالنهوض والمستقبل المشرق والآمال الكبار .

أعتقد ان هذا كلام غير دقيق. بل وفيه إجحاف بحق كثير من المثقفين العرب الذي قاموا بدورهم- فعلا – كتابة-، وحذروا من الكارثة الأتية، والتي أتت فعلا فيما بعد.

فيما يلي، وفي تناول سريع وقريب من مكتبتي الشخصية ودون بحث- استقصائي- ، قد اقوم به في يوم من الأيام -ها أنا- أذكر- بأربعة كتب- نبهت- إلى هذه الكارثة التي أتت ، وها نحن في خضمهما اليوم ، وربما غدا .

- ١-

- مجتمع جديد ، أو الكارثة .

- زكي نجيب محمود- .

الطبعة الأولى القاهرة – ١٩٧٨- .

طبعات متعددة ، فيما بعد ، من دار الشروق في القاهرة .

- ٢-

- الكارثة التي تهددنا .

- صلاح عيسى .

- الناشر- دار مدبولي . القاهرة – ١٩٨٧- .
- ٣ -
- خروج العرب من التاريخ .
- الدكتور- فوزي منصور .
- الناشر- دار الفارابي .بيروت- ١٩٩١–

-٤ -
- وردة أم قنبلة ، إعادة تكوين سورية .
- محمد كامل الخطيب .
- منشورات-..٢١- دمشق
-.-٢٠٠٦

أضـــف إلى كتب هؤلاء المذكورين وغيرهم، كلمة- طه حســـين- ١٨٨٩- ١٩٧٣- التوديعة- لنا- الأخيرة والشـهيرة، في أخر مقابلة معه أجريت معه

((أودعكم بكثير من الألم ، وقليل من الأمل .))

صدر للمؤلف:

١ ، قصص قصيرة:

١ الأزمنة الحديثة، ١٩٧٤، الطبعة الثانية ١٩٩٩

٢ جيران البحر، ١٩٧٦، الطبعة الثانية ١٩٩٩

٣ النخلة المضيئة، ١٩٧٩، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٤ المدن الساحلية، ١٩٧٩، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٥ بلاد كالزيتون، ١٩٨٧، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٦ ثلاثة فناجين قهوة، ١٩٩٩.

٧ صور قديس مجهول، ٢٠٠٣.

٨ قصص مرئية، ٢٠١٠.

٢ ، روايات:

١ هكذا... كالنهر، ١٩٨٦، مترجمة إلى الانجليزية

٢ الأشجار الصغيرة، ١٩٩٩، مكتوبة عام ١٩٨٧

٣ أجمل السنوات، ١٩٩٩.

٣ ، نقد:

١ المغامرة المعقدة، ١٩٧٦ ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٢ السهم والدائرة، ١٩٧٩.

٣ الرواية والواقع، ١٩٨١.

٤ انكسار الأحلام، ١٩٨٧ ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٥ تكوين الرواية العربية، ١٩٩٠ ، الطبعة الثانية ٢٠٠٠

٦ الرواية واليوتوبيا، ١٩٩٥.

٧ ايوتوبيا المفقودة، ٢٠٠١.

٨ أعشاب الماضي:، دراسة في السيرة الذاتية،، ٢٠١٠.

٤ ، دراسات فكرية:

١ مسائل راهنة، ١٩٨٦.

٢ الثقافة، السياسة، السلطة، ١٩٨٩.

٣ المجتمع المدني والعلمنة، ١٩٩٢.

٤ وردة للمختلف، ٢٠٠٠.

٥ بلاد أخرى: مقالة في المجتمع المدني، ٢٠٠١

٦ آخر أخبار المسألة الشرقية: ما يزال الرجل مريضاً، ٢٠٠٣.

٧ العرب وجهة نظر عربية، ماذا لوكنا كذلك ؟، ٢٠٠٥.

٨ وردة أم قنبلة؟ إعادة تكوين سوريا، ٢٠٠٦.

٩ أحمر أسود وألوان أخرى: السياسة والدين والمجتمع المدني، ٢٠٠٨.
١٠ مائة عام من العذاب.. المأساة السورية، ٢٠١١.

٥، *تحرير وتقديم:*

١ سليم خياطة: الأعمال الكاملة ١-٢، ١٩٨٩١٩٩٠.
٢ رحلة إلى الأندلس: أحمد زكي، ١٩٩٢.
٣ كامل عياد: مختارات ١٢، ١٩٩٤.
٤ عبد الرحمن الشهبندر: الأعمال الكاملة ١-٤، ١٩٩٤.
٥ المؤتمر العربي الأول: باريس.. ١٩١٣، ١٩٩٦.
٦ رحلات في الزمان والمكان، ٢٠٠٠.
٧ فؤاد الشمالي: كتابات مجهولة، ٢٠٠١.
٨ آراء الدكتور شبلي شميل، ٢٠٠٥.
٩ سعيد حورانية: الأعمال القصصية الكاملة، ٢٠٠٥.
١٠ صباح محي الدين: الأعمال القصصية الكاملة، ٢٠٠٥.

٦، *سلسلة قضايا وحوارات النهضة العربية: تحرير وتقديم:*

١ " موسوعة الثقافة العربية الحديثة ": ١٨٠٠، ٢٠٠٠.

آ، *الأرضية العامة:*

١ الإصلاح والنهضة ١–٢، ١٩٩٢.

٢ القديم والجديد، ١٩٨٩.

٣ الشرق والغرب ١–٢، ١٩٩١

ب، قضايا فكرية واجتماعية:

٤ القومية والوحدة ١–٣، ١٩٩٢.

٥ الاشتراكية، ١٩٩١.

٦ قضية المرأة ١–٣، ١٩٩٩

٧ قضية الفلسفة، ١٩٧٩.

٨ حقوق الإنسان وحرياته ١–٤، ٢٠٠٥.

٩ قضية اللغة العربية ١–٤، ٢٠٠٤.

١٠ حرية الاعتقاد الديني، ٢٠٠٥.

١١ قضية الملابس، ٢٠٠٨.

ج، الأجناس الأدبية:

١٢ نظرية الرواية، ١٩٩٠.

١٣ نظرية المسرح ١–٢، ١٩٩٤.

١٤ نظرية الشعر ١–٨، ١٩٩٦١٩٩٧.

١٥ نظرية النقد ١–٣، ٢٠٠٢.

د، مقدمة عامة للفترة وللمشروع:

١- تكوين النهضة العربية ٢٠٠٠

***. صناعة الكتاب في سورية، ٢٠٠٨.**

****. بورتريهات ٢٠٢٢**

***** . جيوبوليتيكيات- يوميات المكان والزمان والإنسان - ٢٠٢٣**

الفهرس

محمد كامل الخطيب

جيوبوليتيكيات

يوميات المكان والزمان والإنسان

"ذلك أن تحت التاريخ الصاخب الطنان الذي يصنعه الرؤساء والمشرّعون ورجال الشرطة والجلادون يوجد تاريخ آخر، تاريخ سري نقي تنسجه الحياة لملايين البشر الذين يعملون بصمت ويتأملون ويبدعون آثاراً ويربون أطفالاً وينقذون على الأقل الإنسانيَّ في ذواتهم، ويجمعون طاقة روحية لا يزال في وسعها تبديل العالمْ إننا نقرأ في كتاب عاقل من من القرن السادس عشر ــ إن جميع الأزمنة تصلح ليعيش المرء عليها عيشاً فاضلاً"

الكاتب الفرنسي
بيير هنري سيمون
(1903- 1972)